

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

—قسنطينة—

تخصص: مقارنة الأديان

الشفاعة في المسيحية والإسلام

—دراسة تحليلية مقارنة—

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في مقارنة الأديان

إشراف الأستاذة الدكتورة

آسيا شكيرب

إعداد الطالبة

بودراع فضيلة

تاريخ المناقشة...2017/10/02....

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر —قسنطينة—	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ لمير طبيبات
مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر —قسنطينة—	أستاذ التعليم العالي	د/ آسيا شكيرب
عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر —قسنطينة—	أستاذ التعليم العالي	د/ يوسف العايب
عضوا مناقشا	المدرسة العليا للأساتذة —قسنطينة—	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ نعيمة إدريس
عضوا مناقشا	جامعة أم البواقي	أستاذ التعليم العالي	د/ عبد الوهاب العمري
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 01	أستاذ التعليم العالي	د/ ليليا شنتوح

السنة الجامعية 1437 /1438 هـ - 2016 /2017 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير عبد  
الاعظم الإسلامية

## إهداء

إلى روح والدي رحمة الله وأبي أطل الله في عمره

إلى زوجي ورفيق دربي الذي ساعدني

كثيرا في إخراج هذا البحث إلى النور

إلى أهلي وإخوتي وأخواتي وكديقاتي

إلى الشموع التي تحترق لتضيء الآخرين

إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا البحث المتواضع راجية من المولى

عز وجل أن يبد القبول والنجاح

جامعة الإمام  
الشيخ محمد  
بن عبد  
العزيز  
الملك  
الرحمن  
الرازقي  
القادر  
العلوم  
الإسلامية

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل، أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل، وفي تذليل ما واجهته من صعوبات، وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة الدكتورة: شكيرة أسيا، التي لم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة، التي كانت عوناً لي في إتمام هذا البحث.

# مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعد الشفاعة من العقائد التي تضرب بجذورها في القدم، عرفتھا الشعوب والأمم والحضارات والديانات على اختلافها، الوضعية منها والسماوية، لأنها تمثل إحدى الوسائل الهامة التي تعلق بها الإنسان في الحصول على مغفرة الذنوب والخطايا، والأمل بدخول الجنة مبتغى كل إنسان.

وكيفما كان أصل الشفاعة فإنها تمثل جانبا نفسيا عميقا من الوجدان الإنساني، لأنه من طبيعة البشر الأمل في المغفرة الإلهية، ولما كانت الخطيئة في التفكير الإنساني القديم إحدى الحوائل التي تكون حاجزا في رسم العلاقة بين الخاطئ والله، ونظرا لامتناع وعدم قدرة الإنسان الخاطئ من الاتصال المباشر بالله بسبب الذنب، جاء الاعتقاد في الشفيع الذي يشفع لأجله، وإعادة العلاقة الصحيحة بينه وبين الله. إن الطبيعة الضعيفة في الإنسان هي التي ساعدت هذه العقيدة على الانتشار في المجتمعات الدينية القديمة والحديثة، وهي التي جعلت الإنسان يلجأ للبحث عن شفيع ليشفع له، وقد بقي على ذلك إلى أن جاءت مرحلة الأديان الكتابية، التي برزت معها هذه العقيدة من خلال الأنبياء المختارين، الذين كلفوا بتبليغ الرسالة الإلهية للبشر، وانطلاقا من مكائنتهم التي حباهم بها الله وفضلهم بها على الناس، و مكائنتهم الخاصة عنده وأن دعاءهم مستجاب عند الله، جاء الاعتقاد فيهم بالشفاعة، خاصة في المسيحية والإسلام الذي يشكل موضوع بحثنا، حيث ارتبطت هذه العقيدة بشخصية المسيح عليه السلام في المسيحية، وبشخصية الرسول محمد عليه السلام في الإسلام ارتباطا وثيقا، غير أنها لا تقتصر عليهما فقط.

لقد كان لهذه العقيدة دورها البارز في المجتمعات المسيحية والإسلامية على حد سواء، فالتعلق بالشفيع أدى ببعضهم إلى الانحراف بهذه العقيدة عن مسارها الصحيح، والغلو فيها إلى حد الإشراف بالله تعالى، ولما كان ارتباط الشفاعة بأمور العقيدة، وما طالها من الانحرافات والشبهات، جاء هذا البحث ليعطي الصورة الصحيحة لعقيدة الشفاعة.

### أهمية الموضوع:

ومن هنا تكمن أهمية الموضوع في إطار الدراسات الدينية المقارنة، كونه إحدى المواضيع العقيدية التي ارتبطت بالحياة الدنيوية للإنسان من جهة، وارتباطها باليوم الآخر من جهة ثانية، كما أنه من المواضيع التي عرفت اختلافات كثيرة بشأنها، سواء بين الديانتين المسيحية والإسلام، وحتى في الديانة الواحدة، وأيضا لما لهذه العقيدة من آثار بالغة الأهمية في الحياة الدنيا والآخرة للإنسان.

## الإشكالية:

ضمن هذا الإطار ووفق هذه التدايعيات يأتي بحثي ليحيب عن الإشكالية الكبرى للموضوع، وهي كالتالي: ماهي حقيقة الشفاعة في المسيحية والإسلام، وهل هناك تصور واحد لها في كل من الديانتين، أم هناك اختلافاً بينهما؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- الإشكال الاصطلاحي: ويتمحور حول ماهية الشفاعة من حيث الاشتقاق اللغوي والاصطلاحي للمصطلح في كل من المسيحية والإسلام، واستخدامات المصطلح في الديانتين.

- الإشكال التاريخي: والذي يدور حول التصور العام لهذه العقيدة في الديانات التي سبقت المسيحية والإسلام، باعتبارها ديانات سابقة لهما من حيث الظهور للوجود، وباعتبار الشفاعة من العقائد الموغلة في القدم، والضاربة بجذورها التاريخية في معتقدات الشعوب والحضارات القديمة المختلفة واستمرارها حتى وقتنا الحاضر.

فما هو التصور العام لعقيدة الشفاعة في الديانات القديمة وفي الديانة اليهودية تحديداً باعتبارها الديانة السابقة للمسيحية؟

- الإشكال الفكري: والذي يدور حول المضامين الفكرية والأصول العقيدية لعقيدة الشفاعة في المسيحية والإسلام، والآثار المترتبة على هذه العقيدة.

فما هو التصور الديني القائم للشفاعة في المسيحية، وهل عرفت هذه العقيدة الاتفاق أم الاختلاف بشأنها وفيما تتمثل الآثار المترتبة عنها؟

ما هو التصور الإسلامي للشفاعة، وما هي الاختلافات المثارة حولها بين المسلمين، وفيما تكمن الآثار المترتبة عنها؟

## أسباب اختيار الموضوع:

تعددت أسباب اختياري لموضوع البحث، فمنها ما يرجع إلى أسباب ذاتية، ومنها ما يرجع إلى أسباب موضوعية.

## الأسباب الذاتية:

- الرغبة في تناول المواضيع العقيدية التي لها صلة بالحياة الدنيوية والأخرية للإنسان، والشفاعة من المواضيع التي مست الجانبين معا.

- اهتمامي ورغبتي الشديدة في تناول المواضيع ذات الصلة بعلم الأديان المقارن، فكان موضوع الشفاعة الذي قارنت فيه بين ما جاء في المسيحية والإسلام.
- رغبتي في رفع الالتباس وسوء الفهم القائم حول الشفاعة في الإسلام، والشكوك الكثيرة التي أثرت حولها.

### الأسباب الموضوعية

- الوقوف على حقيقة الشفاعة، وما عند الآخر في ذات الموضوع باعتبار أنها من العقائد التي عرفتها كل الديانات، وإن كانت كل ديانة لها تصورها الخاص بها.
- كون موضوع الشفاعة من المواضيع الذي أثار خلافات شديدة بين الديانتين المسيحية والإسلام، وحتى في الديانة نفسها.
- أن لعقيدة الشفاعة آثارا بالغة الأهمية في الحياة الدنيا أو في الحياة الأخروية للإنسان، خاصة وأن هذه العقيدة استمرت إلى وقتنا الحاضر، لحاجة وتعلق الإنسان بها في حياته الدنيوية والأخروية على حد سواء.
- الفهم الخاطئ لهذه العقيدة في المجتمعات بين أتباع الديانتين المسيحية والإسلام، وما ترتب على ذلك من آثار سلبية في المجتمع.
- قلة الدراسات الأكاديمية، إن لم نقل منعدمة فيما يخص الشفاعة، كموضوع مقارن بين المسيحية والإسلام.

### أهداف البحث:

- تتلخص أهداف البحث فيما يلي:
- الوقوف على حقيقة الشفاعة، ومعرفة الإشكالات المثارة حولها في كل من المسيحية والإسلام.
- التعرف على الأصول الدينية للشفاعة، وبيان الاعتقاد الصحيح في ذلك.
- الوقوف على أهم نقاط التشابه، ونقاط الاختلاف الجوهرية لهذه العقيدة بين المسيحية والإسلام.
- كشف أحد المؤثرات الأساسية في الحياة الإنسانية الدنيوية والأخروية.

### المنهج المتبع:

اعتمدت في هذه الدراسة على مناهج متعددة وذلك حسب مقتضيات البحث وتتمثل في:



**المنهج التحليلي:** استخدمته في تحليل الأفكار الواردة في البحث باعتباره دراسة تحليلية.  
**المنهج الاستقرائي:** الذي وظفناه في جمع المعلومات والأفكار حول الموضوع للوصول إلى نتائج ذات أهمية في البحث.

**المنهج النقدي:** استخدمته في نقد المعتقدات المسيحية، خاصة التي واجهت الكثير من الانتقادات كشفاعة القديسين وغيرها كما استخدمته أيضا في نقد بعض الفرق الإسلامية كغلاة الشيعة وغيرها.

**المنهج المقارن:** في المقارنة بين ما هو متواجد في الإسلام وما هو في المسيحية، بإبراز أوجه الشبه والاختلاف.

#### منهجية البحث:

أما بالنسبة لمنهجية البحث فقد عمدت إلى عرض موضوع الشفاعة في المسيحية ثم في الإسلام مع عقد مقارنة ضمنية وذلك منعا للتكرار أما بالنسبة لترجمة الأعلام، فقد ترجمت للشخصيات غير المعروفة التي لها علاقة مباشرة بالبحث وليس كل الشخصيات الواردة بالبحث.  
 كما عرّفت ببعض المصطلحات المبهمة الواردة بالبحث خاصة ما تعلق منها بالمسيحية.

#### الدراسات السابقة:

إن موضوع الشفاعة في المسيحية والإسلام -دراسة تحليلية مقارنة- بهذا العنوان وبالخطة التي وضعناها، لم يبحث فيه من قبل على أساس بحث أكاديمي، أو عنوان كتاب حسب ما اطلعت عليه، ولا نزعم بذلك أننا من أوائل الذين خاضوا في غمار هذا البحث، فهناك بعض المراجع التي كتبت في هذا الموضوع؛ كدراسة أحمد حجازي السقا "الشفاعة بين المسلمين وأهل الكتاب"؛ وقد جاءت دراسته مختصرة، ليست بكل التفاصيل المتعلقة بموضوع الشفاعة، وقد ركز فيه على شفاعة النبي محمد ﷺ، وما جاء أيضا في كتاب لفرج عبد الله الباري، تحت عنوان "يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية"، حيث تناول فيه الشفاعة كمبحث من مباحث الكتاب باعتبارها من المواضيع المتعلقة باليوم الآخر، وقد جاءت دراسته هي الأخرى مختصرة.

والإضافة التي تقدمها هذه الدراسة إلى الدراسات السابقة، هي التوسع في الموضوع، والإلمام به من كل جوانبه من خلال ما جاء في كل من المسيحية والإسلام والمقارنة بينهما.

### أهم المصادر والمراجع:

تعد المصادر والمراجع هي الأساس الذي يبنى عليه البحث العلمي، لهذا فقد اعتمدت مصادر ومراجع متعددة بتعدد جوانبه، ففي الجانب المسيحي من الدراسة كانت له مصادر ومراجع الخاصة وأهمها: "الشفاعة" لمرقس ميخائيل و"الشفاعة على ضوء الكتاب المقدس وأقوال الآباء والقديسين" لميخائيل مكسي اسكندر، و، و"قضايا إيمانية - قضية الشفاعة -" لجميل نجيب سليمان، و"الكهنوت" لعوض سمعان، و"Intercession of Christ" لـ Thomas Houston، وغيرها من المراجع، إضافة إلى القواميس والموسوعات، نذكر منها: "دائرة المعارف الكتابية" لصموئيل حبيب وآخرون، و"موسوعة الأنبا غريغوريوس" و"موسوعة علم اللاهوت" لميخائيل مينا وغيرها.

أما في الجانب الإسلامي من البحث فمن المصادر المعتمدة، "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم، و"المواقف في علم الكلام" للإيجي، و "التمهيد" للباقلاني إضافة إلى كتب التفسير، ك"التفسير الكبير" للرازي، و"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، و"تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا، وكذلك كتب الحديث ك"شرح مسلم" للإمام النووي، و"شرح صحيح البخاري" لفتح الباري وغيرها، بالإضافة إلى بعض الدراسات الحديثة ك"الشفاعة" لفاروق الدسوقي، و"الشفاعة في الحديث النبوي" لعبد القادر مصطفى المحمدي، وغيرها من المصادر والمراجع المهمة التي أسست عليها هذا البحث.

### صعوبات البحث:

لا يكاد يخلو بحث علمي من صعوبات تواجه الباحث وهو بصدد إنجاز بحثه من حيث جمع المادة العلمية، خاصة وأن موضوع الشفاعة لم يتناول من ناحية الدراسات المسيحية العربية بصورة دقيقة، وكل ما وجد هو دراسات عامة، خاصة فيما تعلق بالآثار المترتبة على الشفاعة.

### خطة البحث:

لقد قمت بتقسيم البحث إلى؛ مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس للآيات والأحاديث والمصطلحات والموضوعات.

أما المقدمة فقد اشتملت على توطئة للموضوع، إشكالية البحث الكبرى مع التساؤلات الفرعية للبحث، أسباب اختيار البحث، الأهداف الكبرى للبحث، المنهج المتبع، الدراسات السابقة، أهم المصادر والمراجع المعتمدة، ومخطط البحث.

أما الفصل الأول منه فهو دراسة مفاهيمية وتاريخية للشفاعة، قسمته إلى مبحثين؛ تناولت في المبحث الأول منه مفهوم الشفاعة في المسيحية والإسلام، وفي المبحث الثاني تناولت دراسة تاريخية للشفاعة في الديانات القديمة والديانة اليهودية، باعتبارها ديانات سابقة للمسيحية والإسلام؛ حاولت فيه الوقوف على حقيقة التصور العام للشفاعة في الديانات القديمة؛ كالديانة المصرية القديمة، وحضارة بلاد الرافدين، والحضارة الصينية، وعند الإغريق، كما تعرضت للشفاعة في اليهودية باعتبارها أولى الديانات السماوية الثلاث، وكتمهيد لدراسة الشفاعة في المسيحية.

أما الفصل الثاني فخصصته لدراسة الشفاعة في المسيحية، وقد قسمته إلى أربع مباحث؛ تناولت في المبحث الأول منه دراسة شفاعة المسيح على أساس اعتبارها شفاعة كفارية، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب؛ الأول منه: طبيعة شفاعة المسيح، والثاني: خصائص شفاعة المسيح، والثالث: حدود شفاعة المسيح، أما المبحث الثاني، فكان حول شفاعة الروح القدس، على أساس أنها شفاعة نيابية، ويندرج تحته ثلاث مطالب؛ المطلب الأول: تعريف شفاعة الروح القدس، والمطلب الثاني: منح الروح القدس الشفيع، والمطلب الثالث: بينت فيه كيف يشفع الروح القدس للمسيحيين، ومكانة هذا النوع من الشفاعة في العقيدة المسيحية، وأما المبحث الثالث من هذا الفصل، فتناولت فيه الشفاعة التوسلية باعتبارها ثالث أنواع الشفاعات المسيحية؛ خصصت المطلب الأول منه لشفاعة الملائكة، درستها في اللاهوت المسيحي، ثم تطبيق هذه الشفاعة في حياة الفرد المسيحي في الطقس الكنسي، أما المطلب الثاني فخصصته لشفاعة القديسين؛ تناولت فيه هذا النوع من الشفاعة في اللاهوت المسيحي، ثم ممارستها في الطقوس الكنسية، أما المطلب الثالث فكان حول شفاعة مريم في اللاهوت المسيحي، وبعدها بينت الجانب التطبيقي لشفاعتها في الطقوس الكنسية، أما المبحث الرابع، فخصصته لدراسة الآثار المترتبة عن الشفاعة في الحياتين الدنيا والآخرة، وقسمته إلى مطلبين؛ الأول: في الحياة الدنيا، والثاني: في الحياة الآخرة.

أما الفصل الثالث فخصصته لدراسة الشفاعة في الإسلام، وقد قسمته إلى أربعة مباحث؛ تناولت في المبحث الأول منه مذاهب المسلمين في الشفاعة، وقد جاء فيه ثلاثة مطالب؛ الأول: الاتجاه المثبت للشفاعة، والثاني: الاتجاه النافي للشفاعة، والثالث: الاتجاه المتوسط بين الإثبات والنفي، أما المبحث الثاني بينت فيه شروط الشفاعة، وتضمن ثلاثة مطالب؛ الأول: شرط الإذن، والثاني: شرط الإيمان، والثالث: شرط الرضا، أما المبحث الثالث فتناولت فيه أنواع الشفاعة، وقد تضمن مطلبين؛ الأول: الشفاعة المتعلقة بالأشخاص؛ وتمثل في شفاعة الأنبياء عليهم السلام، شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، شفاعة المؤمنون، الشهداء، العلماء والأولاد، والثاني: الشفاعة المتعلقة بالأعمال؛ وتمثل في شفاعة الصيام، شفاعة القرآن وشفاعة الصبر على شذائد المدينة، أما المبحث الرابع فقد درست فيه الآثار المترتبة عن الشفاعة، وقد قسمته إلى مطلبين؛ الأول: الآثار العقديّة للشفاعة، والثاني: الآثار العملية للشفاعة.

الخاتمة؛ وقد اشتملت على النتائج المتوصل إليها في البحث والتوصيات.

## الفصل الأول

مدخل مفاهيمي وتاريخي للشفاعة

المبحث الأول: دراسة مفاهيمية للشفاعة

المبحث الثاني: دراسة تاريخية للشفاعة

## الفصل الأول: مدخل مفاهيمي وتاريخي للشفاعة

### المبحث الأول: دراسة مفاهيمية للشفاعة

#### المطلب الأول: مفهوم الشفاعة في المسيحية

##### أولاً: الشفاعة في اللغة

الشفاعة في اللغة العربية؛ تفيد "الإضافة" أو "المعونة" أو من "القرن" أو "الإلحاق"، فقد ورد في المنجد في اللغة والآداب تحت كلمة "شفع" كان وترا، فشفعه بآخر أي قرنه به، ويقال شفّع فلان أي طلب إعانتته، ويقال "تشفّع" فلان طلبه بمذكرة، بمعنى ألحق بطلبه مذكرة أو أضاف إلى طلبه مذكرة<sup>(1)</sup>. أما في اللغات اللاتينية فالكلمة المستخدمة هي (Intercession) باللغة الفرنسية وهي مركبة من كلمتين: الأولى "Inter" بمعنى "بين"، والكلمة الثانية "Cédere" بمعنى "تقع"، ومعنى الكلمة "تقع بين" أو "التموضع بين"، وهي أيضا التدخل لمصلحة شخص، أو التوسط والتدخل لصالح شخص<sup>(2)</sup>.

فالشفاعة والوساطة من حيث الفعل تفيد التدخل، غير أن الشفاعة تأتي بين طرفين للتوسل لصالح طرف آخر، أما الوساطة فتكون بالوقوف في الوسط بين طرفين لأجل المصالحة أو بغرض الجمع بينهما<sup>(3)</sup>.

والشفاعة كلمة لها معاني كثيرة ومتعددة، وقد تكررت أو تشابحت المعاني بنفس الصورة في العهدين القديم والجديد<sup>(4)</sup>.

وتأتي الشفاعة في أصلها العبري بمعنى بالغ أو تجاوز، وتشير هنا إلى شخص تجاوز الحد واعتدى

(1) - لويس معروف: المنجد في اللغة والآداب والعلوم، ط19، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، دت)، ص390.

(2) - Claude Augé : **La rousse universel –Nouveau Dictionnaire encyclopédique-** (Paris : librairie Larousse, 1992), Tome1, p10200. أنظر أيضا، G. Jaquemet : **Catholicisme hier aujourd’hui demain** (Paris : Letouzey et Ané Publier sous la direction de G. Jaquemet du clergé de paris, 1948), p1870. أنظر أيضا، Dominique le Tourneau : **Les mots du christianisme** (Paris : Fayard librairie, 2005), p333.

(3) - Charles G. Herbermann and authers: **The catholic encyclopedia**, (New York: Robert Appleton company, 1910), Vol 08, p71.

(4) - صفاء داود فهمي: الشفاعة، (القاهرة: دار الطباعة القومية، 1996)، ص7، أنظر أيضا، مرقس ميخائيل: الشفاعة، (مصر: مطبعة المقتطف والمقطم، 1925)، ص7.

أو طلب الشيء وألح في طلبه<sup>(1)</sup>، واستخدمت أيضا في المدافعة عن، أو محاولة تبرير موقف الشخص الآخر<sup>(2)</sup>.

والكلمة المستخدمة في اليونانية - في العهد الجديد- هي (Entygchuno)، "أنتيغحانو" ومشتقاتها؛ ومعناها يلتمس أو يتوسل ضد أو يتوسل من أجل<sup>(3)</sup>.

ويلاحظ عند استخدام هذه الكلمة، أنها ترفع من شخص له حاجة إلى آخر يستطيع أن يفي بهذه الحاجة؛ كما فعل "إيليا" حينما توسل ورغب من كل قلبه بأن يعاقب بنو إسرائيل على خطيئتهم لأنهم قتلوا أنبياء الله<sup>(4)</sup>: "3«يَارَبُّ، قَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ وَهَدَمُوا مَدَابِحَكَ، وَبَقِيتُ أَنَا وَوَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي!». 4لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ لَهُ الْوَحْيُ؟ «أَبَقِيتُ لِنَفْسِي سَبْعَةَ آلَافِ رَجُلٍ لَمْ يُحْنُوا رُكْبَةً لِعَمَلٍ». 5فَكَذَلِكَ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ أَيْضًا قَدْ حَصَلَتْ بَقِيَّةٌ حَسَبَ اخْتِيَارِ النُّعْمَةِ. 6فَإِنْ كَانَ بِالنُّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالْأَعْمَالِ، وَإِلَّا فَلَيْسَتِ النُّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالْأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً، وَإِلَّا فَالْعَمَلُ لَا يَكُونُ بَعْدُ عَمَلًا. 7فَمَاذَا؟ مَا يَطْلُبُهُ إِسْرَائِيلُ ذَلِكَ لَمْ يَنْلُهُ. وَلَكِنْ الْمُخْتَارُونَ نَالُوهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَتَقَسَّوْا، 8كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَعْطَاهُمْ اللهُ رُوحَ سُبَاتٍ، وَعَيُونًا حَتَّى لَا يُبْصِرُوا، وَآذَانًا حَتَّى لَا يَسْمَعُوا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ». 5، ففي هذا النص يفيد استعمال الشفاعة بالتوسل ضد، أما معنى التوسل من أجل، ما جاء في الكتاب المقدس: "26وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعْفَاتِنَا، لِأَنَّنا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لِأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنْتَاتٍ لَا يُنْطِقُ بِهَا. 27وَلَكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لِأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقَدِيسِينَ." 6.

فالملاحظ عند نسبة هذه الكلمة إلى الروح القدس وإلى المسيح فإن ترجمتها تغيرت، لأنها حملت معنى آخر فلم تترجم بكلمة "توسل" بل بالفعل "يشفع"<sup>(7)</sup>، وهو ما نصه في الكتاب المقدس: "34وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِمْ؟ وَالْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ قَامَ، وَهُوَ الَّذِي عَنِ يَمِينِ اللهِ يَشْفَعُ لَنَا." 8.

(1) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، (دم: دار الثقافة، دت)، مج4، ص530.

(2) - المصدر نفسه، ص530، أنظر أيضا، فهيم عزيز: الشفاعة، (القاهرة: دار الثقافة، دت)، ص20.

(3) - المصدر نفسه، ص530، أنظر أيضا، فهيم عزيز: المصدر السابق، ص20.

(4) - فهيم عزيز: المصدر السابق، ص21.

(5) - رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 11: 3-8.

(6) - رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 8: 26-27.

(7) - فهيم عزيز: المصدر السابق، ص21.

(8) - رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 8: 34.

كما يعطي الإنجيل كلمة أخرى للشفاعة، وهي بارقليط حيث ترجمت كلمة شفيع في نص يوحنا: "يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ لِنَلَّا نُحْطِئُوا. وَإِنْ حَطِيئَةٌ أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا، لَا لِخَطَايَانَا وَحْدَهَا، بَلْ لِخَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ." (1)، عن الكلمة اليونانية (Paracletos) "باركليطوس"، وهي مشتقة من الفعل اليوناني "باراكلين"، فلقب البارقليط يستخدم في النصوص المقدسة بمعان متعددة مثل المحامي، المعلم، المعزي، وفي معناها الأصلي تشير إلى أي شخص يدعى للمساعدة من أي نوع كانت (2)، وبوصفه مصطلحا قانونيا، كان يستعمل في محاكم اليونان والرومان للشخص الذي يقدم المساعدة للفقراء والجرمين، ويدفع عنهم التهم ويدافع عنهم ويسعى بكل الجهد لتبرئتهم (3).

فالمعنى الأكثر شيوعا بحسب ما هو مفهوم من كثير من كتابات بعض أدباء الإغريق، هو استدعاء شخص ما للوقوف إلى جوار شخص آخر لمعاونته، خاصة وأن هذا الاستدعاء مبني في أساسه على ما يتميز به هذا المعين "البارقليط" من سمات التفوق العقلي، فهو شفيع يدافع ويحامي عن إنسان متهم (4). وقد استخدم اليهود الكلمة عينها بمعنى شفيع أو محام، وقد استخدموها في عكس كلمة "متهم"، وهكذا يوجد عند الأبحار قولاً يذكرونه في معرض حديثهم عما سيحدث يوم الدينونة فيقولون: "كل وصية يحفظها الإنسان من وصايا الناموس، تكون له بارقليطا يوم الدين، وكل وصية يكسرهما الإنسان ستكون له متهما"، "وكل أعمال البر والرحمة التي يفعلها الإنسان في هذا العالم، تكون سلاما عظيما له وشفعاء كبار لهم شأنهم يشفعون له، ويدافعون عنه أمام الآب الذي في السماء"، كما قالوا أيضا: "إن ذبيحة الخطيئة تشفع للإنسان عند الله" (5).

وهكذا دخلت كلمة "بارقليط" في عداد الكلمات المسيحية الشائعة، واستخدمت بمعناها الحرفي للشخص الذي يحضر نيابة عن أصدقائه، ويوجد في العهد الجديد أكثر من إشارة إلى "يسوع" باعتباره

(1) - رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1-2.

(2) - Thomas Houston : **The intercession of Christ**, (Edinburgh : James Gemmell, 1882), p52.

(3) - **Ibid.**, p52.

(4) - وليم باركلي: تفسير العهد الجديد - رسائل يوحنا ويهوذا-، ترجمة: جاد المنفلوطي، (القاهرة: طبع بدار نوبا للطباعة، 1983)، ص 67.

(5) - المصدر نفسه، ص 67-68.



الصديق والشفيع الذي يدافع عن الإنسان<sup>(1)</sup>، فعندما يستعمل لقب البارقليط للمسيح يشير إلى أنه المدافع والمحامي الوحيد الذي يدافع عن المذنبين، من أجل غفران خطاياهم في محكمة السماء<sup>(2)</sup>. فكما استخدمت هذه الكلمة في الكتاب المقدس للدلالة على شفاعة المسيح، استخدمت أيضا للدلالة على شفاعة الروح القدس، كما أن الكتاب المقدس لم يفرق من حيث اللفظ بين شفاعة المسيح وبين شفاعة الروح القدس وشفاعة القديسين، إلا أن سياق النصوص الكتابية يدل على أن الشفاعة إذا نسبت إلى السيد المسيح فلها مفهوم خاص، يختلف عن مفهومها إذا نسبت إلى الروح القدس، وعن مفهومها إذا نسبت إلى الملائكة والقديسين<sup>(3)</sup>.

غير أن اللغة اليونانية -لغة العهد الجديد-، تقدم كلمة ثانية للشفاعة وهي "ميسيتيس" (Mesites) وتعني وسيطا، وقد نسبت هذه الكلمة لموسى في العهد القديم أيضا، كما استخدمت أيضا لتشير إلى المسيح بصفته وسيط العهد الجديد الأفضل<sup>(4)</sup>، كما جاء في الرسالة إلى العبرانيين مقارنا بين وساطة موسى ووساطة المسيح، حيث ذكر أنه: "وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلٍ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَنَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدِ أَفْضَلٍ"<sup>(5)</sup>.

كما ترجمت كلمة (Entyghchuno) أيضا من اليونانية إضافة إلى التوسل والالتماس، بالابتهال، ما نصه: "فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ تُقَامَ طَلِبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالَاتٌ وَتَشْكُرَاتٌ لِأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ"<sup>(6)</sup>، وكذلك بالصلاة<sup>(7)</sup>، وهو ما جاء في: "لأنه يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ"<sup>(8)</sup>.

على هذا الأساس يتبين بأن الاستخدامات المتنوعة لكلمة شفيع عند المسيحيين بصفة عامة، لا تخرج عن ثلاثة استخدامات شائعة، وهي الصلاة من أجل الآخرين، كما تستخدم للدفاع أو تبرير الموقف، كما تستخدم أيضا للوساطة، وهذه هي أكثر المعاني شيوعا في العهدين القديم والجديد، غير أن معنى كلمة شفاعة لم تتوقف عند المعاني الثلاثة الرئيسية السابقة فقط، بل امتدت أيضا لتشمل معاني أخرى

(1) - وليم باركلي: تفسير العهد الجديد -رسائل يوحنا ويهوذا-، ص68.

(2) - Thomas Houston : **Intercession of Jesus Christ**, p52.

(3) - غريغوريوس: موسوعة الأنبا غريغوريوس، (القاهرة: شركة الطباعة المصرية، 2003)، ص4277.

(4) - صفاء داود فهمي: شفاعة المسيح كيف ولماذا؟، (القاهرة: دار الطباعة القومية، 1996)، ص8-9.

(5) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 8: 6.

(6) - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس، إصحاح 2: 1.

(7) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ص530.

(8) - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس، إصحاح 4: 5.

متشابهة؛ كالإلحاح، التوسل، الترجي، التضرع، الصراخ لأجل، الصلاة لأجل والابتهاال، وكل هذه المعاني استخدمت للتعبير عن الصلوات<sup>(1)</sup>.

### ثانيا: الشفاعة في الاصطلاح الديني

بناء على ما سبق فالشفاعة في الاصطلاح الديني هي طلب الصلاة، ويقوم بها شخص لشخص آخر<sup>(2)</sup>، كما جاء تعريفها أيضا في معجم الإيمان المسيحي؛ بأنها صلاة يرفعها أحد الأحباء لصالح غيره من الأحباء أو يرفعها أحد الطوباويين في السماء لصالح أعضاء الكنيسة المجاهدة<sup>(3)</sup>، هذا التعريف ينطبق أكثر على ما يسمى في المسيحية بالصلاة الشفاعية.

فالصلاة الشفاعة قديمة قدم نوح وإبراهيم وموسى، وحياة المسيح كانت مليئة بالصلوات الشفاعية، بل إن الصلاة الربانية تحمل روح الشفاعة في طلب الملكوت ومغفرة ذنوب الآخرين<sup>(4)</sup>.

كما جاء تعريف الشفاعة في قاموس الكتاب المقدس بأنها: التوسط بين شخص وآخر، وهي دليل محبة الإنسان لأخيه الإنسان، كما أنها مؤسسة على أن معاملة الله للبشر معاملة ليست فردية فحسب بل جماعية أيضا<sup>(5)</sup>.

وعليه فالشفاعة هي التوسل أو الصلاة من أجل الآخرين، وهي لا تنبعث من مجرد العاطفة أو المنفعة، بل عن إدراك واع بأن علاقة الله بالإنسان ليست علاقة فردية فحسب بل واجتماعية أيضا<sup>(6)</sup>.

### ثالثا: الفرق بين الشفاعة والوساطة والكهانة

درج المسيحيون على اعتبار كلمتي الوساطة والشفاعة بمعنى واحد ومدلول واحد وكأتهما خدمة واحدة، ولكن عند إمعان النظر في النص: "لأنَّ اللهَ وَاحِدٌ، وَالْوَسِيْطُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ وَاحِدٌ هُوَ الْمَسِيْحُ يَسُوْعُ الْإِنْسَانُ"<sup>26</sup> الَّذِي ضَحَّى بِنَفْسِهِ فِدَى لِكُلِّ النَّاسِ"<sup>(7)</sup>، وبين ما جاء في نص: "لِيَا

(1) - صفاء داود فهمي: شفاعة المسيح كيف ولماذا؟، ص13-14.

(2) - G. Jaquemet : **Catholicisme hier aujourd'hui demain**, p1870.

(3) - صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه: الأب جان كوربون، (بيروت: دار المشرق، 1998)، ص284.

(4) - بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، ط13، (بيروت: مطبعة الحرية، 2000)، ص512.

(5) - المصدر نفسه، ص512.

(6) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ص530.

(7) - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس، إصحاح 2: 5-6.

أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ لِئَلَّا تُخْطِئُوا. وَإِنْ خَطِيئَةٌ أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا، لَا لِخَطَايَانَا وَحْدَهَا، بَلْ لِخَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ.<sup>(1)</sup>، يتبين الفرق بين المعنيتين والمدلولين، حيث أنهما لا يشيران إلى خدمة واحدة، وإن كان الشخص الذي توفرت فيه شروط القيام بهما شخص واحد وهو يقوم بهما على أساس واحد وهو موته فدية وكفارة<sup>(2)</sup>.

لقد ذكرت بعض الأبحاث المسيحية بأن الوساطة تكون للمصالحة بين الله والناس المذنبين المحتاجين إلى من يوفق في مصالحتهم مع الله، وأما الشفاعة فتكون للمؤمنين الذين بإيمانهم ولدوا ولادة جديدة وصاروا فعلا أولاد الله الذين سبقوا وتصالحوا معه بواسطة المسيح على أساس الفداء، وظهور المسيح أمام الله لأجل أتباعه باستحقاق كفارته التامة هو لأجل تأييدهم وتثبيتهم في مراكزهم الذي أوصلهم إليه بمصالحته إياهم مصالحة أبدية، وهذا هو عمل شفاعته الدائم.

فالوساطة لأجل تقريب الناس إلى الله ومصالحتهم مصالحة أبدية، والشفاعة لأجل إبقائهم قريبين ومصالحين على الدوام وإلى الأبد، بسبب الكفارة التامة التي قُدمت لأجل كل خطية من الخطايا التي يمكن أن تصدر منهم بعد إيمانهم، ووجودهم في مركز البنين المصالحين<sup>(3)</sup>.

كما ارتبطت خدمة الكهنوت بالشفاعة في المسيحية، من حيث كون الذي يقوم بعمل الكهنوت والشفاعة والوساطة هو الشخص ذاته المسيح، فبعد صعوده إلى السماء أسند إليه خدمة الكهنوت، وهو لا يزال يباشرها لأجل أتباعه في السماء لأجل إعانة المؤمنين في حياتهم، وتأهيلهم للوجود في الحالة التي تناسب دعوتهم ومقامهم.

من هذه الأقوال المختصرة، يتضح ارتباط الخدمات الثلاث المسنودة إلى المسيح بعضها ببعض، حسب ما يبينه المسيحيون، لأنها تستمد قوتها ودوام فعاليتها كخدمة واحدة من منبع واحد؛ وهو شخصيته الفريدة، المزوجة بين اللاهوت والناسوت معا، فالمسيح هو الوسيط الوحيد، والشفيع الوحيد، ورئيس الكهنة الوحيد، بحسب تدبير الله لخلاص البشر، لأنها كلها متضمنة في كلمة مخلص، وهذا هو معنى الخلاص الموهوب من الله للبشر ليقبلوه مؤمنين به<sup>(4)</sup>.

(1) - رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1-2.

(2) - بحث في الوساطة والشفاعة، (القاهرة: زكي أفندي وهبة شارع جرجرة بدران رقم 25 بشبرا مصر، 1935)، ص 24.

(3) - المصدر نفسه، ص 25-27.

(4) - المصدر نفسه، ص 35-37.

## المطلب الثاني: مفهوم الشفاعة في الإسلام.

### أولاً: الشفاعة في اللغة

الشفاعة في اللغة من الشفع وهو خلاف الوتر، وهو الزوج، تقول كان وترا فشفعته شفعا صيره زوجاً<sup>(1)</sup>.

وهي من الفعل شفع، بمعنى ضم الشيء إلى مثله<sup>(2)</sup>، وشفع لي شفاعة وتشفع طلب واستشفع بفلان على فلان وتشفع له إليه وقال الفارسي: استشفعه؛ طلب منه الشفاعة أي قال له كن شافعاً<sup>(3)</sup>. والفعل شفع ويشفع لا يتم إلا بعد أن يطلب الطالب لنفسه فلا يجاب مطلبه، أو يدعو الداعي لنفسه فلا يستجاب لدعائه، ومن ثم يحتاج إلى من يطلب له أو من يدعو له، فيكون الطالب لنفسه وترا، والطالب الثاني الذي يطلب له شافعاً، لأنه يطلب الطلب له وليس لنفسه، فالشافع يدعو بنفس الدعاء للداعي الأول فيكون طلب الثاني أو دعائه شفاعة<sup>(4)</sup>.

ومن معاني كلمة الشفاعة في اللغة:

- الإعانة: يقال إن فلانا يشفع لي بالعداوة أي يعين علي<sup>(5)</sup>.
- الدعاء<sup>(6)</sup>: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾<sup>(7)</sup>.

(1) - محمد ابن منظور: لسان العرب المحيط، قدم له: الشيخ عبد الله العلايلي، وأعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة: يوسف الخياط، (دار لسان العرب بيروت: دار الجليل، دت)، ج3، ص333، أنظر أيضاً، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون، ط3، (مصر: مكتبة الخانجي، (1402هـ-1981م))، ج3، ص201.

(2) - الحسين بن محمد الأصفاني: المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته: خليل عتياني، ط1، (بيروت: دار المعرفة، (1418هـ-1998م))، ص267.

(3) - محمد ابن منظور: المصدر السابق، ج3، ص333.

(4) - فاروق الدسوقي: الشفاعة - أدلة وجوب الشفاعة الإسلامية وبيان خطورة الشفاعة الشركية-، (دم: در، 2007)، ص09.

(5) - أحمد بن فارس بن زكريا: المصدر السابق، ج3، ص201.

(6) - محمد ابن منظور: المصدر السابق، ص333.

(7) - سورة البقرة، الآية 255.

- والشفاعة كلام الشفيح للملك في حاجة يسألها لغيره<sup>(1)</sup>.

- كما تأتي بمعنى الزيادة، قال ابن الأثير: "الشفعة في الملك معروفة وهي مشتقة من الزيادة لأن الشفيح يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به كأنه كان واحدا وترا فصار زوجا شفعا والشافع هو الجاعل الوتر شفعا"<sup>(2)</sup>.

وعليه فالشفاعة هي سعي ذي جاه أو مركز إلى من يرعاه من أجل جلب منفعة، أو دفع ضرر، فهي مأخوذة من شفح الفرد إذا جعل له ثانيا، لأن الشافع بتأييده للمشفوع له كأنه يضم نفسه إليه فيكون ثانيا له<sup>(3)</sup>.

من خلال ما سبق يتضح لنا، بأن كلمة الشفاعة جاءت بمعنى الازدواج والانضمام إلى الغير في طلب أمر ما، والسؤال والإعانة والدعاء، وأيضا بمعنى الزيادة.

### ثانيا: الشفاعة في الاصطلاح

يأتي تحديد المفهوم الاصطلاحي للشفاعة بناء على ما جاء في التعريف اللغوي، وبناء على ذلك جاء تحديد معناها الاصطلاحي كالتالي:

فقد عرفها الراغب الأصفهاني بأنها: "الانضمام إلى آخر ناصر له سائلا عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى"<sup>(4)</sup>.

وقد حصر ابن الأثير تعريف الشفاعة، بדרء المفاسد دون جلب المنافع، بقوله: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم"<sup>(5)</sup>.

وعرفها القاضي عبد الجبار بأنها: "مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضرة"<sup>(6)</sup>، وهذا التعريف

(1) - محمد ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص333.

(2) - علي بن محمد ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه وقدم له: علي بن عبد الحميد الحلبي، ط1، (السعودية: دار ابن الجوزي، (1421هـ-2001م))، ص484.

(3) - أحمد بن حمد الخليلي: شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السوالمي، (عمان: مكتبة الجيل الواعد، 2010)، ص61.

(4) - الحسين بن محمد الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص266.

(5) - علي بن محمد ابن الأثير: المصدر السابق، ص484.

(6) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن أبي هاشم، تحقيق: عبد الكريم عثمان، (مصر: مكتبة وهبة، دت)، ص688.

أشمل؛ لأنه جمع بين دفع المضار وجلب المنافع، كما أننا نستطيع أن نطلقه على الشفاعة في الدنيا والآخرة. وعرفها ابن تيمية بتعريف قريب من تعريف القاضي عبد الجبار بقوله بأن الشفاعة: "إعانة على خير يجبه الله ورسوله من نفع من يستحق النفع، ودفع الضر عمن يستحق دفع الضر عنه"<sup>(1)</sup>.

وعرفها البيجوري بحصر مفهومها على الشفاعة الأخروية بغفران الذنوب للعصاة بقوله: "هي الالتجاء إلى الله في أن يعفو عن بعض عصاة الموحدين ويدخلهم الجنة"<sup>(2)</sup>.

وعرفها الإمام السوملي بأنها: "درجة يمنحها الله تعالى لمن أراد من عباده في الآخرة، فيأذن له في الطلب لغيره بأن يغفر له ذنبا أو يرفع له درجة أو يعجل دخوله الجنة وهي للأنبياء وقد تكون لغيرهم كالشهداء، غير أن الشفاعة العامة هي للرسول الخاتم ﷺ"<sup>(3)</sup>.

فهذا التعريف أشمل من تعريف البيجوري، حيث شمل في تعريفه للشفاعة الأخروية غفران الذنوب ورفع الدرجات معا، فالشفاعة ما هي إلا ضرب من ضروب التكريم لني من الأنبياء أو صالح من الأولياء، بأن اصطفاهم الله تعالى بإجراء الإحسان على يديه عقب دعائه وشفاعته لمن أراد الله ﷻ الإحسان إليه، وعليه تبين الشفاعة بذلك شرف مقام الشفيع ومنزلته عند الله تعالى، وهذا ما يحمل الناس على الاقتداء بالأنبياء بسنن وسير الصالحين، راجين بذلك إدراك مراتبهم وأن يلحقوا بمنزلتهم في الجنات عند ربهم<sup>(4)</sup>. من خلال ما سبق، يتضح بأن المدلول الاصطلاحي لكلمة شفاعة لا يأتي بعيدا عن المدلول اللغوي للكلمة؛ فالشفاعة بمعناها الاصطلاحي تكون بضم الشافع طلبه أو دعاءه إلى طلب المشفع له، فيصبح بذلك شفعا ضد الوتر، وهو المعنى اللغوي للشفاعة الذي تحقق في المعنى الاصطلاحي، وتظهر على أنها نوع من الطلب، والدعاء سواء في الدنيا أو الآخرة، وهو ما يشكل قسيميا باعتبار العامل الزمني للشفاعة، فإما أن تكون دنيوية أو أخروية.

### ثالثا: الفرق بين الشفاعة والوساطة

ارتأينا أن ندرج الفرق بين الشفاعة والوساطة نظرا للخلط بين المفهومين؛ هذا الخلط الذي يؤدي

(1) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوي، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة، 1425هـ-2004م)، ج7، ص65.

(2) - ابراهيم البيجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي، ط1، (القاهرة: دار السلام، 1422هـ-2002م)، ص305.

(3) - أحمد بن حمد الخليلي: شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السوملي، ص61.

(4) - أحمد عيسى المعصراوي: الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، (القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، 2003)، ص20.

إلى إنكار الشفاعة، والقول باستحالة جوازها، من أجل ذلك علينا أن نبين معنى الوساطة والفرق بينها وبين الشفاعة.

الوساطة في اللغة مشتقة من الفعل وسط الشيء، يسطه وسطا وسطه: صار في وسطه، وساطة توسط بينهم بالحق والعدل<sup>(1)</sup>، وتوسط أحد الوسط بين الجيد والرديء، وتوسط بينهم عمل الوساطة<sup>(2)</sup>. وفي الاصطلاح الوساطة هي تدخل ذي حظوة بين ذي حاجة وبين ذي سلطان، تدخلا يكون من شأنه إذا أثمر حصول ذي الحاجة على حاجته ولو لم يكن صاحب حق، فالوساطة تضر بالعدالة لأنها تهدف إلى تحقيق مصلحة للغير، ولو على حساب صاحب الحق<sup>(3)</sup>.

فالوساطة تنطوي على الظلم والجور ونيل المرء حقا لا يستحقه ولم يبذل جهدا لنيله، وهي بهذا تختلف على الشفاعة لأنها لا تكون إلا بأمر من الله وبإذن منه، ولا تكون إلا لمن ارتضاه، وعليه فالشفاعة مناطها الإيمان الذي هو ما وقر في القلب وصدقه العمل<sup>(4)</sup>.

فالوساطة والشفاعة أمران مختلفان، فإذا كانت الوساطة في الدنيا لا تعباً بوسيلة الوسيط والمهم عندها بلوغ الغاية، فإن الشفاعة لا تكون إلا لمن استحقها بالإيمان والعمل وإن قل، على أن تبلغ به الجنان، بإرادة الله أن تشمله رحمته عافيا عنه<sup>(5)</sup>. وعليه فالشفاعة لا تتضمن اعتداء على حق أحد من العباد، وإنما هي مظهرا من مظاهر رحمته تعالى الواسعة<sup>(6)</sup>.

وبناء على ما سبق يتبين بأن الشفاعة في معانيها واستعمالاتها المختلفة بين المسيحية والإسلام؛ لا تخرج عن معنى الدعاء بمختلف أشكاله والاعانة.

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، (دم: مكتبة الشروق الدولية، 2004)، ص1031، أنظر أيضا، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، (بيروت: مؤسسة الرسالة، (1426هـ-2005م))، ص692.

(2) - محمد مصطفى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مراجعة: عبد الحليم الطحاوي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة، (1403هـ-1983م))، ج20، ص181.

(3) - محمد محمود سعيد: حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله، (القاهرة: دار الغد العربي، دت)، ص57.

(4) - أحمد عيسى المعصراوي: الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، ص22.

(5) - محمد محمود سعيد: المرجع السابق، ص58.

(6) - أحمد عيسى المعصراوي: المرجع السابق، ص22.

## المبحث الثاني: دراسة تاريخية للشفاعة

### المطلب الأول: الشفاعة في الديانات القديمة.

الشفاعة من المواضيع التي تضرب بجذورها في الأمم الماضية والديانات القديمة، حيث نجد لها في العقائد الأسطورية للإغريق، وفي الديانة الزرادشية والديانة المصرية القديمة وفي ديانة بابل، وعلّة ذلك إيمانهم بوجود إله عظيم وآلهة عديدة خاضعة له، ولكل من هذه الآلهة دور عهد إليها في تسيير شؤون العالم، فكانوا مثلا يطلبون المطر في أيام القحط من إله المطر ويقدمون له القرابين خشية واتقاء لغضبه، وهكذا مع جميع الظواهر الطبيعية وغيرها<sup>(1)</sup>.

### أولا: الشفاعة في الحضارة البابلية

عرفت الحضارة البابلية الكثير من التعدد في عبادة الآلهة، حيث كان عدد الآلهة التي عبدها كبيرا جدا، يصل عددها إلى 3300 إله ومعبود في وادي الرافدين، على ما أورده دايمل في كتابه المجموع البابلي عام 1914م، وقد عرف البابليون شفاعة الآلهة الحارسة، فقد كان لكل إقليم آلهته التي لا تعبد إلا في ذلك الإقليم، كما كان هناك آلهة مشهورة كالآلهة زابابا والآلهة شتارا مثلا، اللتين كانتا شفيعتي مدينتي أومينيا وكيش وحارستيهما، وقد عدتا آلهتين عظيمتين في هاتين المدينتين بالذات، كما عرف البابليون أيضا عبادة الإله الشفيع الحارس في مناطق أخرى، ومن هؤلاء إله القمر نانا شفيع مدينة أور وحارسها، وكان إله الشمس أوتو إبننا لإله القمر، وكان هذا الشفيع الحارس لمدينتي سيبار ولارسا، وكان الإله نرجال شفيع مدينة قوطور وحارسها، وإله الأوبئة ومملكة الأموات في الوقت نفسه<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من أن هذه الآلهة كانوا على الأرض، إلا أن صلتهم بالسماء بقيت قوية راسخة، فقد كان لكل مدينة إلهها الشفيع الحارس، وبما أن هذا الأخير كان مرتبطا بجرم سماوي فإن المدينة المعنية ارتبطت بدورها بالسماء بالجرم الكوني، وهذا ما منح سكان المدينة قوة روحية كبيرة، فقد كان هؤلاء على قناعة تامة بأن شفيعهم السماوي لن يتركهم وقت الشدة، وهذا ما جعل القوة الروحية للمدينة أقوى، لكن صلة المدينة وساكنيها لم تقتصر على إدراك هؤلاء بأن السماء تحميهم، بل أنهم رصدوا حركة

(1) - حيدر علي قلمدران: الشفاعة وحقيقتها، ترجمة: سعد محمود رستم، تحميل المادة من [www.ytehadat.com](http://www.ytehadat.com)، تم التصفح يوم: 2014/06/23، ص26.

(2) - أنس ميغوليفسكي: أسرار الآلهة والديانات، ترجمة: حسان ميخائيل إسحاق، ط4، (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2009)، ص24-25.



الكواكب، وتبينوا كل التحولات التي تطرأ عليها، وفسروا ذلك أو تلك العلامات على أنها إشارات إلى المستقبل يحمل للمدينة بشرى الخير والرخاء، غير أنهم لم يكونوا محصنين ضد أن تحمل لهم تلك العلامات إنذارا لهم، سواء بقرب تعرض مدينتهم للغزو، أو لموجة جفاف، أو تعرضهم لوباء وغير ذلك، لهذا لجأ الإنسان البابلي إلى استعطاف إله الأوبئة برفع الصلوات والتوسلات إليه وتقديم القرابين له<sup>(1)</sup>.

### ثانيا: الشفاعة في الحضارة الصينية

عرف الصينيون في تاريخهم القديم تقديم القرابين لاسترضاء الآلهة حالهم كحال البابليين والشعوب القديمة، إذ كشفت النقوش الكهنوتية مفهوما غائيا، وبخاصة سيادة إله سماوي أعلى أو ما يسمونه "شانج تي" أي السيد الأعلى، الذي عزوا إليه التصرف في المظاهر الكونية (المطر، الريح)، فهو الذي يضمن وفرة المحاصيل، ويشير الكوارث، ويبعث الأمراض، والموت، ولهذا كانوا يقدمون له نوعان من الأضاحي في معبد الأجداد وفي البرية<sup>(2)</sup>.

إن عبادة "تي" وكل الآلهة الأخرى لها مركزها العالي في الصين، كما أن كل الأجداد الملكيون تابعون له، وأجداد الملك وحدهم هم المؤهلون للشفاعة عند "تي"، ومن جهة أخرى فإن الملك وحده من يستطيع الاتصال مع أجداده.

فالأجداد بدورهم يطلبون قرابين من الحبوب والدم ولحم الأضاحيات يجب أن تقدم إليهم، وطالما كانت لهذه العبادة أهميتها بالنسبة للطبقة الحاكمة، فقد طبقت تدريجيا من قبل كل الطبقات الاجتماعية، وتجدرت هذه العبادة بقوة في المجتمع وأصبحت جزء لا يتجزأ من النموذج الديني المصاغ حول مفهوم الدورة البشر-كونية (Anthropocosmique) للمزارعين القدماء<sup>(3)</sup>.

### ثالثا: الشفاعة عند الإغريق

عرف الإغريق القدماء أيضا الإله الشفيع في حياتهم الدينية، التي عرفت هي الأخرى التعدد في الآلهة، وكانوا يقدمون إليها ذبائح حيوانية بل وحتى بشرية، وقد دل على ذلك أعمال السير الأثري بمنطقة كريت، حيث عثر الأثريون على قاعة مليئة بمجموعة كبيرة من الأواني وفي داخلها أيضا أجزاء من هياكل

(1) - أنس ميغوليفسكي: أسرار الآلهة والديانات، ص 26.

(2) - ميرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، ط 1، (دمشق: دار دمشق، 1986)، ج 2، ص 11.

(3) - المرجع نفسه، ص 11-13.

عظمية لأطفال، وقد حمل بعض عظامهم آثارا واضحة لعملية تقطيع أوصالهم، وقد كانت تقدم لعبادة زيوس الكريتي التي كانت مزدهرة آنذاك، وكان المقاتلون الفتيان هم الذين يؤدون طقوس هذه العبادة بعد ارتدائهم للدروع البرونزية ويقدمون الأطفال قرابين لوثنهم<sup>(1)</sup>.

أما الآلهة التي برزت معها الشفاعة عند الإغريق هي الآلهة "أثينا"، بصفتها الحامية للحياة والعمل السلمي، ولذلك كانت تمثل لهم الآلهة الشفيعة والحارسة للدولة، وقد رسموها مع الرمح وعلى رأسها الخوذة الحربية، كما عبدت الإلهة "هيرا" أيضا على أنها شفيعة وحارسة طقوس الانتقال الصارمة من سن الفتوة إلى فئة الرجال البالغين، وقد عرفت مثل هذه الطقوس شعوبا كثيرة<sup>(2)</sup>.

كما عبد الإغريق أيضا الإله "زيوس" على أنه إله التجارة وعدوه أيضا شفيعا للصوص، كما كانت له وظائف أخرى، فهو الذي يقود الأرواح إلى المملكة السفلى، وكانوا يرفعون إليه الصلوات عند الاحتفال بذكرى شهداء الدفاع عن الوطن التي كانوا يقيمونها تعبيرا منهم على الشكر والامتنان والإكرام لهم، كما كان الإله "هيقوستوس" بدوره يرتبط في بادئ عهده بمملكة الأموات، ولكنه صار فيما بعد الإله الحامي للمهن<sup>(3)</sup>.

#### رابعا: الشفاعة في الديانة المصرية القديمة

لقد عرفت الديانة المصرية القديمة هي الأخرى التشفع بالفرعون، وذلك قبل انهيار المملكة القديمة، فمع نهاية حكم الأسرة السادسة وانهيار المملكة ودخول الأقاليم، وبدأ بناء القصور وتنمية الثروات، في هذه الفترة لم يعد الفرعون مصدر القوة والجاه، كما أنه لم يعد الشفيع الذي يتشفعون به من أجل الخلود في عالم الآلهة فراحوا يشيدون صروح دفن لهم في مناطقهم ويسعون لتحقيق الخلود دون شفاعة الفرعون ووساطته، ولم يمض وقت حتى أصبحت كل شرائح الشعب تتطلع إلى الخلود وإلى حياة سعيدة بصحبة الآلهة بعيدا عن شقاء الحياة الأرضية، وبذلك ولدت فكرة الجنة السماوية المعدة لجميع الصالحين بصرف النظر عن منشئهم الطبقي، وصار الإله "أوزيريس" هو الشفيع الوحيد للموتى الذي يمسك بمفاتيح العبور للعالم الآخر، لكل من عمل صالحا في دنياه، وبهذا تم ربط الأخلاق بالدين، فلقد

(1) - أنس ميغوليفسكي: أسرار الآلهة والديانات، ص 41.

(2) - المرجع نفسه، ص 42.

(3) - المرجع نفسه، ص 43.

كان أوزيريس إله أخلاقيا يحض على فضائل الأعمال، ويجزي بها ويكره الرذائل ويعاقب عليها<sup>(1)</sup>. وقد ورد في أحد الفصول الهامة من كتاب الموتى (الفصل 125)، المكرس لمحاكمة الروح؛ فأثناء العملية يتلو الميت صلاة، متضرعا بقلبه ألا يشهد ضده، وبعدها يتلفظ بإعلان البراءة، مخاطبا في ذلك الإثنين والأربعين من الآلهة الذين تتشكل منهم المحكمة، وأخيرا يتجه صوب أوزيريس طالبا منه العون والحماية: "أيها الإله الذي يجلس عاليا على سناده...ألا تستطيع حمايتي ضد هؤلاء المرسلين (المخبرين) الذين يذرعون الشقاء ويشيرون الأحقاد...لأنني أقمّت شعائر مات لأجل سيد مات...إنني طاهر"<sup>(2)</sup>. إن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأن الإله أوزيريس، هو من له القدرة على أن يزود أجسادهم الأرضية بالقدرة على أن تحيي نفسها مرة ثانية وتنعم بالحياة الأبدية، وأصبغوا عليه صفات الله العظيم الذي خلق كل شيء، وتصوروا منه الإله القادر على هزيمة الموت بأن يقيم أجسادهم بعد موتها ويمنحها في ملكوته حياة خالدة، انطلاقا من المكانة الهامة التي كان يتفرد بها أوزيريس، لأنه هو من يقوم بمحاكمة الموتى بوزن أعمالهم من أجل أن يثيبهم بقدر ما يستحقون<sup>(3)</sup>.

لذلك وضع المصريون ثقّتهم في أوزيريس، وأصبحوا يوجهون له صلاتهم مباشرة ككائن بعضه إله والبعض الآخر بشر، الذي أقام نفسه من الموت بدون أن يتعفن، والذي منح -بواسطة طبيعته الإلهية- جسده الأرضي هبة الحياة الأبدية وعدم الفناء، ولما كان المصريون يكرهون الموت ويحبون الحياة، توجهوا إليه بالعبادة كإله عظيم ليس فقط لقدرته على الحفاظ على حياته الخاصة، وإنما لأنه إله قادر أيضا على منح الأجساد الفانية خاصية الحياة بعد موتها، وتنعم بالحياة الأبدية<sup>(4)</sup>.

إن حصول الإنسان على السعادة والحياة الأبدية في ملكوت أوزيريس يكون عن طريق أعماله الطيبة على الأرض، ولا يوجد ما يدل على أن العقاب الذي يكابده الإنسان الشرير (عدو أوزيريس) في التوات<sup>(5)</sup>، من أنه سيمحو خطاياها، أو أنه سيكون عقابه أخف أو ينفى، فالأعمال الحسنة وحدها هي

(1) - فراس السواح: بذور فكرة الشيطان في ديانة مصر القديمة، مقال منشور بموقع الأوان، 11 أبريل 2007، [www.alawan.org](http://www.alawan.org)، تم التصفح يوم: 2016/07/20.

(2) - ميرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج1، ص139-140.

(3) - والاس بدج: آلهة المصريين، ترجمة محمد حسين يونس، (القاهرة: مكتبة مدبولي، (1418هـ-1998م))، ص176.

(4) - المرجع نفسه، ص175.

(5) - التوات: المكان الذي تذهب إليه أرواح الآلهة وأيضا نفوس النساء والرجال الموتى هو ماكانوا يدعونه "توات" "Tuat" وترجمت الكلمة إلى "العالم السفلي" وكذلك "الجحيم"، ومهما كانت الدلالات الخاصة بكلمة "توات" سواء أكانت مكانا لعقاب الأشرار كما في عصور لاحقة أو غيره، فمن الثابت أنه في البداية كانت تعتبر المكان الذي تمر من خلاله الشمس الهالكة "رع" بعد غروبها أو موتها في

التي تنجيه وتمنحه السعادة الأبدية<sup>(1)</sup>.

هذه نظرة عامة لصورة الشفاعة في مختلف الديانات القديمة الوثنية التي عرفت عندها بمعنى الحماية والحراسة والصلاة، فماذا عن الشفاعة في الديانة اليهودية كواحدة من الديانات السماوية الثلاث، هذا ما سنتطرق إليه في المطلب الموالي، كتمهيد لدراسة الشفاعة في الديانة المسيحية والإسلام.

### المطلب الثاني: الشفاعة في الديانة اليهودية

إن الخطيئة هي المشكلة الكبرى التي تواجه الدين، لأنها تحول بين الإنسان والدخول إلى حضرة الله حسب النظرة اليهودية، لهذا السبب كان تقدم الذبائح هو الوساطة التي لجأ إليها الإنسان لاسترداد العلاقة مع الله وصلته به، ولهذا كان اليهود يقدمون في الهيكل ذبيحة في الصباح وأخرى في المساء، وظلت هكذا إلى أن خرب الهيكل، وكان عندهم يوم الغفران لأجل غفران جميع الخطايا<sup>(2)</sup>.

فبالإضافة إلى تقدم الذبائح كوسيلة من وسائل التخلص من الخطيئة، يوجد أيضا طريق الوساطة أو الوسيط، لأن هذا الأخير يزيل آثار الخطيئة ويتيح للإنسان إمكانية الدخول مرة أخرى إلى حضرة الله<sup>(3)</sup>. لقد كانت النظرة العبرانية للعالم وللحياة في العالم تسيطر عليها الغيبية، فضرورة توفر علاقات مقبولة مع الله جعلت لوجود الكهنة وخدمتهم أولوية قصوى، فكان وجود الكهنة من الأمور الجوهرية لاستمرار علاقة بنو إسرائيل مع الله، فكان الإسرائيلي يرتبط بالله بعهد قومي مميز، وكان هذا العهد يستلزم وجود الكهنوت، لأهمية خدمته الشفاعية وكممثلين للشعب أمام الله، فعمل الكهنة كوسطاء بين الله والشعب لحفظ علاقة العهد<sup>(4)</sup>.

لقد كان نجاح هذه الخدمة الكهنوتية (الشفاعة) يتوقف بشدة على معنى وروح القيام بها، وبخاصة من جانب الشعب، لأن الخدمة الكهنوتية بالنسبة لطبيعتها هي تمثيل للشعب، ويمكن أن تنزلق لتصبح

---

كل مساء رحلتها إلى الجزء الذي تشرق فيه من السماء مجددة كل صباح، ومن نصوص الأسرة التاسعة عشرة توضح أن "نوت" تقع في السماء بالقرب من الجنة، والتوات يفصلها عن عالمنا سلسلة من الجبال، فهي تتكون من واد عظيم الاتساع مغلق بإحكام من كل جانب بالجبال التي تفصله عن الأرض من اتجاه وعن السماء من اتجاه آخر، فهو المنطقة العازلة بين الجنة وجهنم. أنظر، والاس بدج: آلهة المصريين، ص 199-200.

(1) - المرجع نفسه، ص 297.

(2) - وليم باركلي: تفسير العهد الجديد - رسائل يوحنا ويهوذا-، ص 70.

(3) - المصدر نفسه، ص 71.

(4) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج 4، ص 403.

بمجرد طقوس عميقة بلا معنى، وهذا ما آل إليه الكهنوت العبراني، وكثيرا ما رفع الأنبياء في العهد القديم أصواتهم ضد ابتعاد الشعب عن الله الذي تكلم إليهم من خلال موسى عليه السلام<sup>(1)</sup>.

وبهذا يتضح أن بني إسرائيل قد عرفوا نوعين من الوساطة الكهنوتية الخاصة، والتي ظهرت في النبي هارون عليه السلام والأنبياء من بعده، الذين بعثهم الله ليكونوا وسطاء بينه وبين الشعب، لكي يقدموا ذبائح وتقدمات في المكان الذي اختاره، ولعل أهم ذبيحة يدخل بها رئيس الكهنة أمام الرب هي ذبيحة الخطية يوم الكفارة (الغفران) العظيم، حيث يقدم ذبيحة عن نفسه وعن خطايا الشعب<sup>(2)</sup>.

أما الشفاعة نفسها فقد كانت رش دم الذبيحة، والدم هو الذي يشفع، فكان عظيم الكهنة يحمل دم الثيوس والثيران ويدخل مرة واحدة في عيد الكفارة السنوي، محاطا بدخان البخور مستترا وراء شفاعة الدم الموضوع على يده، ويدخل الشكينة<sup>(3)</sup> المقدسة ويقوم برشه على غطاء التابوت فتغفر خطايا الشعب ويكون تعبيرا عن رحمة الله لهم<sup>(4)</sup>.

كان يوم الكفارة بالغ الأهمية عند اليهود، حتى أنهم ظلوا يحتفلون به حتى بعد تدمير الهيكل في عام 70م وانتهاء نظام الذبائح، ورغم تقديم الذبائح المتعددة والمتنوعة والعديدة يوميا إلا أن هذا اليوم تبلغ فيه الذبائح ذروتها، لأنه يسمح فيه لرئيس الكهنة بالدخول إلى قدس الأقداس، ويتم فيه التكفير عنه وعن خيمة الاجتماع والمذبح والكهنة وكل الشعب، فكان رئيس الكهنة في اقترابه إلى الله يمثل كل الشعب<sup>(5)</sup>. أما الوساطة الثانية وهي الوساطة الكهنوتية العامة، وتتمثل في وساطة الرسالة لتنوير الشعوب ودعوتهم إلى طريق الله، وفي هذه المرحلة كان للذبيحة دور غير أن العنصر الإنساني أو البشري أكثر وضوحا. فالذبيحة كان يقدمها الكاهن، وإلى جانب ذلك فقد كان بنو إسرائيل في صميم اختيارهم، هم الوساطة الواضحة لحمل نور الرسالة إلى الشعوب<sup>(6)</sup>.

(1) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج4، ص403.

(2) - فهيم عزيز: الشفاعة، ص7-8.

(3) - الشكينة: وهي في العبرية "سكنه" بمعنى "سكن"، وتشير إلى لمعان أو مجد محضر الله الساكن في وسط شعبه، ولا ترد الكلمة في الكتاب المقدس، فقد ظهرت بعد عصور الكتاب، ويستخدمها اليهود والمسيحيون في الواقع للدلالة على محضر الله بصورة ظاهرة. أنظر، صموئيل حبيب وآخرون: المصدر السابق، ج4، ص543.

(4) - مرقس ميخائيل: الشفاعة، ص12، أنظر أيضا، متى المسكين: الرسالة إلى العبرانيين - شرح ودراسة-، ط2، (القاهرة: مطبعة دير الأنا مقار، 2001)، ص47، أنظر أيضا، صموئيل حبيب وآخرون: المصدر السابق، ج6، ص355-356.

(5) - صموئيل حبيب وآخرون: المصدر السابق، ج4، ص357.

(6) - فهيم عزيز: المصدر السابق، ص08.

هذا العهد هو ما يسمى بعهد الناموس كان له وسيط واحد هو موسى، إلا أن وساطة موسى في إقامة عهد الناموس لم تمنع وساطة الشفاعة الكهنوتية التي لهارون، ولم تمنع وساطة الإنارة والدعوة التي كانت للشعب<sup>(1)</sup>.

وقد ذكر العالم الأمريكي أونجر (Unger) أنه من بين وظائف كهنة العهد القديم، القيام بالوساطة بين الله والناس، حيث كان الخاطئ يعترف بخطاياها أمام الكاهن الذي يقدم عنه الذبيحة ولا سيما ذبيحة الإثم، كما كان الكاهن يقوم بالصلاة الشفعية عن الشعب<sup>(2)</sup>.

إن وساطة موسى كانت لأجل تعليم الشعب الشريعة الإلهية، وعلى هذا الأساس استطاع موسى الوقوف أمام الله، والصلاة لأجل الشعب صلوات وساطية شفعية عديدة، استجاب الله لبعضها ولم يستجب البعض الآخر، لكونها لا تتفق مع مشيئته<sup>(3)</sup>، جاء في سفر الخروج: "11فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمِي غَضَبُكَ عَلَيَّ شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ 12لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْتٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ؟ إِرْجِعْ عَن حُمُومِ غَضَبِكَ، وَأَنْدِمْ عَلَيَّ الشَّرَّ بِشَعْبِكَ. 13أَذْكَرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عِبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أَكْثَرُ نَسْلِكُمْ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأَعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الْأَبَدِ». 14فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَيَّ الشَّرَّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ." (4).

فمن الشفاعات التي تقدم بها موسى متشفعا أمام الله باعتباره الوسيط بين الله وشعبه، ما جاء في السفر كنفسه: "30وَكَانَ فِي الْعَدَاةِ أَنْ مُوسَى قَالَ لِلشَّعْبِ: «أَنْتُمْ قَدْ أَخْطَأْتُمْ خَطِيئَةً عَظِيمَةً، فَأَصْعَدُ الْآنَ إِلَى الرَّبِّ لَعَلِّي أَكْفِّرُ خَطِيئَتَكُمْ»... 34وَالآنَ أَذْهَبُ أَهْدِي الشَّعْبَ إِلَى حَيْثُ كَلَّمْتُكَ. هُوَ ذَا مَلَائِكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ. وَلَكِنْ فِي يَوْمِ افْتِقَادِي أَفْتَقِدُ فِيهِمْ خَطِيئَتَهُمْ». 35فَضْرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ، لِأَنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونَ." (5).

كذلك عندما تمرد بنو إسرائيل على الرب وأرادوا الرجوع إلى مصر، غضب الله عليهم وقال أنه يعاقبهم بالوباء ويبيدهم، فحثا النبي موسى أمام الرب أربعين ليلة وهو صائم وتضرع إلى الرب:

(1)- فهم عزير: الشفاعة، ص 9-10.

(2)- Merrill. F. Unger: **the New Unger's bible dictionary**, (Chicago: the Moody publishers, 1988), p 1409.

(3)- صفاء داود فهمي: شفاعة المسيح كيف ولماذا؟، ص 12-13.

(4)- سفر الخروج، إصحاح 32: 11-14.

(5)- سفر الخروج، إصحاح 32: 30، 34-35.

"26 وَصَلَّيْتُ لِلرَّبِّ وَقُلْتُ: يَا سَيِّدُ الرَّبِّ، لَا تُهْلِكْ شَعْبَكَ وَمِيرَاتِكَ الَّذِي فَدَيْتَهُ بِعَظَمَتِكَ، الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ مِصْرَ بِيَدِ شَدِيدَةٍ. 27 أَذْكَرُ عَيْبِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. لَا تَلْتَفِتْ إِلَيَّ غَلَاظَةً هَذَا الشَّعْبِ وَإِثْمِهِ وَخَطِيئَتِهِ،" (1)، ولم يرفض الله صلاة موسى التي استشفع فيها بإبراهيم وإسحاق ويعقوب (2)، فقال الله لموسى: "20 فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ.»" (3)، فجاءت الشفاعة هنا على شكل صلوات وطلبات عوضا عن الشعب، حتى لا ينزل بهم غضب الله وعقابه.

إن الشفاعة في اليهودية أخذت شكل شفاعة رؤساء الكهنة وتقديمهم القرابين في المعابد، وكذلك أخذت شكل الصلوات الشفعية والتوسلات، فكانت بذلك شفاعة أرضية لا علاقة لها بالحياة الآخرة. ليس في التوراة شفيع يشفع للفرد عن آثامه، وحتى موسى عليه السلام لا يشفع، وإنما شفيع اليهودي هو عمله، ففي الآخرة سيكون الله هو الحكم العدل (4).

هذا وقد أكد الدكتور فرج الله عبد الباري أستاذ العقيدة والأديان، خلو المصادر اليهودية من تصور للشفاعة يوم القيامة (5).

غير أن هذا لم يمنع من تسرب ممارسات أخرى إلى العقائد الشعبية اليهودية كزيارة أضرحة الرابينين (علماء الدين الصالحين اليهود) وغير ذلك، كزيارة أبو حصيرة الولي اليهودي في المغرب على سبيل المثال، وإن كان هذا ليس هو المعتقد الأصلي لليهود (6).

نخلص من هذا؛ إلى عدم وجود شفيع يتوسط بين الله والناس في الحياة الأخرى، كان هذا عاملا مهما في ترسيخ التركيز على الأعمال الصالحة، غير أن هذه الأعمال تكون مع اليهودي لا مع غير اليهودي على اعتبار أنهم شعب الله المختار (7).

فالعقيدة الاختيارية، هي التي أسست لليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، فلن

(1) - سفر التثنية، إصحاح 9: 26-27.

(2) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4334.

(3) - سفر العدد، إصحاح 14: 20.

(4) - عبد الرحمان عبد الله الشيخ: جورج بوش، الكفارة والشفاعة في عقيدتي - دراسة مقارنة بفكرة الشفاعة عند المسلمين، ط 1، (القاهرة: دار الرضا، (1428هـ-2006م))، ص 16.

(5) - فرج الله عبد الباري: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، (دم: دار الآفاق العربية، دت)، ص 249.

(6) - عبد الرحمان عبد الله الشيخ: المرجع السابق، ص 17.

(7) - المرجع نفسه، ص 17.

تمسهم النار إلا أياما معدودة، لذلك فهم لا يحتاجون إلى شفاعة<sup>(1)</sup>، وهذا التصور هو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَلَا تَأْتِيكُمْ بَإِذْنِ اللَّهِ فَكُنْ صَاحِبِ السُّعْيَةِ﴾ (2).

وفي الأخير نقول بأن الشفاعة من العقائد التي عرفتتها الشعوب القديمة، والتي جاءت بمعنى المعاونة في الحراسة أو الحماية، كما كان تقديم الذبائح للآلهة إحدى مظاهرها وذلك بهدف استرضائها أو اتقاء لغضبها، وقد استمرت الذبائح في اليهودية كإحدى وسائل التكفير عن الخطايا، وكان الدم هو الشفيع للإنسان الخاطيء الذي ينوب عنه الكاهن في تقديمه كما أخذت شكل الصلوات الشفعية والتوسلات. بعدما تناولنا صورة الشفاعة في الديانات القديمة، وفي الديانة اليهودية باعتبارها أولى الديانات الثلاث، نأتي بعدها لتعرف على الشفاعة في المسيحية باعتبارها ثاني الأديان السماوية وهذا ما سنتناوله في الفصل الموالي من هذا البحث.

(1) - علي الكوراني العاملي: العقائد الإسلامية، ط1، (إيران: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، 1419هـ - 1998م)، ص3، ص38، أنظر أيضا، فرج الله عبد الباري: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ص249-250.

(2) - سورة البقرة، الآية 80.



## الفصل الثاني

### الشفاعة في المسيحية

المبحث الأول: الشفاعة الكفارية

المبحث الثاني: الشفاعة النيابية

المبحث الثالث: الشفاعة التوسلية

المبحث الرابع: الآثار الأخروية والدينية للشفاعة

## تمهيد

تعد الشفاعة من المواضيع الهامة في الفكر اللاهوتي المسيحي لأنها من أساسيات الإيمان المسيحي، وقد قسمها الكاثوليك والأرثوذكس إلى شفاعة كفارية خاصة بالمسيح، وشفاعة نيابية خاصة بالروح القدس، وشفاعة توسلية خاصة بالملائكة ومريم العذراء والقديسين وهو المعتمد في هذا البحث، أما البروتستانت فهم لا يعترفون بهذا التقسيم لأنهم لا يؤمنون بالشفاعة التوسلية، وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل في هذا الفصل.

## المبحث الأول: الشفاعة الكفارية، مفهومها، طبيعتها وخصائصها

### المطلب الأول: مفهوم الشفاعة الكفارية

سميت بالكفارية لأنها تقوم على أساس التكفير المنجز على الصليب من طرف المسيح، وهي من الشفاعات الخاصة به، وشفاعة المسيح من القضايا الكتابية الهامة لأنها تشكل قلب الديانة المسيحية، ويشكل المسيح أساسها، فبعدما كانت الذبيحة الحيوانية في العهد القديم هي أساس التكفير عن الخطيئة بواسطة الكاهن، أصبحت الذبيحة البشرية والمتمثلة في المسيح هي أصل التكفير في العهد الجديد، وقد عرف هذا في المسيحية بما اصطلح عليه بالشفاعة الكفارية والتي على أساسها تتحدد طبيعة شفاعة المسيح<sup>(1)</sup>، وقبل أن نتناول ذلك نعرف أولاً المقصود من شفاعة المسيح.

إن المقصود بشفاعة المسيح في الكتاب المقدس على ما قاله بعض اللاهوتيين هو دوام وساطته وعمله في خلاص شعبه، وقال غيرهم إن شفاعته في شعبه تجري في السماء بالكلام الشفاهي حقيقة<sup>(2)</sup>. كما جاء تعريف شفاعة المسيح في دائرة المعارف الكتابية بأنها: "صلواته وطلباته من الآب لأجل الآخرين، وأكثر ما تشير إليه هي خدمته الآن وهو في المجد عن يمين الآب، وهذا جانب من خدمته في السماء الآن بالغ الأهمية"<sup>(3)</sup>، والمكان الذي يقوم فيه بالشفاعة هو المكان الذي لم تصنعه الأيدي، وهو مكان خالد في السماوات، إنه عرش الرب؛ حيث يشفع في أتباعه على أساس موته وقيامته وجلوسه عن

(1) - مرقس ميخائيل: الشفاعة، ص 07-08.

(2) - جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، مراجعة: منير عبد النور، (القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر دوبارة، دت)، ص 424.

(3) - صموئيل حبيب، وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج 4، ص 532.

يمين الآب<sup>(1)</sup>: "34 وَمَنْ يَدْرُ أَنْ يَحْكَمَ عَلَيْهِمْ؟ وَالْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ قَامَ، وَهُوَ الَّذِي عَنْ يَمِينِ اللَّهِ يَشْفَعُ لَنَا." <sup>(2)</sup>.

هذا وتتضمن شفاعة المسيح جملة من الأمور:

- 1- أنه يظهر أمام الله لأجل شعبه بناء على أنه ذبيحة على خطاياهم ورئيس كهنتهم، وأنهم ينالون مغفرة الخطايا وعطية الروح القدس وكل خير يحتاجون إليه بناء على عمله.
- 2- أنه يحمي شعبه من حكم الناموس وحكايات إبليس.
- 3- أنه قدم نفسه ضامنا لشعبه ليؤتي ما يطلبه الناموس.
- 4- أنه يقدم إلى الله الأشخاص المفديين، بتقدیس صلواتهم وكل خدمتهم، ويجعلها مقبولة عند الله بواسطة استحقاقاته<sup>(3)</sup>.

كما أن شفاعة المسيح لها وجهان فهي وقائية لحفظ أتباعه من الشرير: "15 لَأَ أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشَّرِّيرِ." <sup>(4)</sup>، ودفاعية؛ لأنه يعمل كمدافع ومحامي عن شعبه أيضا<sup>(5)</sup>: "1 يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ لِنَلَّا نُخْطِئُوا. وَإِنْ خَطِيءَ أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا، لَا لِخَطَايَانَا وَحْدَهَا، بَلْ لِخَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ." <sup>(6)</sup>.

يتبين مما سبق أن شفاعة المسيح على ما يعتقدده المسيحيون، أساسها التكفير الذي قدم فيه المسيح نفسه فداء عن البشر، فهناك ترابط واضح بين شفاعة المسيح والكفارة، إذ لا تقوم الشفاعة بدون كفارة، كما أن الشفاعة تضمن استمرارية الفداء وذلك من خلال الوساطة التي يقوم بها الابن في الشفاعة. إن نص الإنجيل السابق الذكر، والذي يستدل به المسيحيون على شفاعة المسيح لهم: "فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ"، والنص اليوناني هو: "فلنا باركليت عند الآب"، قد فسره أحمد حجازي

<sup>(1)</sup>- Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p44.

<sup>(2)</sup>- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 8: 34.

<sup>(3)</sup>- جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، ص 424

<sup>(4)</sup>- إنجيل يوحنا، إصحاح 17: 15.

<sup>(5)</sup>- صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج 4، ص 533.

<sup>(6)</sup>- رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1-2.

السقا، على أن لفظ الشفيع أو البارقليط والموضوع بدله المعزي المقصود منه "أحمد"، نبي الإسلام ﷺ، وعليه فإن الذي سيشفع هو محمد وليس المسيح كما يعتقد المسيحيون<sup>(1)</sup>.  
بعدها عرفنا مفهوم الشفاعة الكفارية، نأتي في العنصر الموالي لتتناول طبيعة هذه الشفاعة في اللاهوت المسيحي.

### المطلب الثاني: طبيعة شفاعة المسيح

إن أساس شفاعة المسيح في اللاهوت المسيحي هو عمله الكفاري الذي منه استمدت طبيعتها الكفارية، يختص بها المسيح وحده دون غيره، وهي وساطة يسوع المسيح التي ناب فيها عن البشرية في أمر المصالحة مع الله، بعد عصيان آدم وحواء وطردهما من الفردوس، وقد تمت هذه المصالحة بدمه المسفوك على الصليب<sup>(2)</sup>، وهكذا يقف وسيطا بين الله والناس، بل هو الوسيط الوحيد الذي أعطى الآب حقه في العدل الإلهي، وأعطى الناس المغفرة بأن مات عنهم كفارة عن خطاياهم<sup>(3)</sup>، وهذا يتناقض مع ما جاء في الإسلام الذي يحلّل الفرد مسؤولية أخطائه وذنوبه، فليس من العدل الإلهي أن يحمل شخص ذنوب شخص آخر، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>(4)</sup>، والعهد القديم أيضا يحمل الإنسان مسؤولية أعماله: "النَّفْسُ الَّتِي تَخْطَأُ هِيَ وَحْدَهَا تَمُوتُ. الْإِنْسَانُ لَا يَحْمِلُ إِثْمَ أَبِيهِ، وَالْأَبُ لَا يَحْمِلُ إِثْمَ ابْنِهِ. الْخَيْرُ يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهِ بِالْخَيْرِ، وَالشَّرُّ يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهِ بِالشَّرِّ"<sup>(5)</sup>.

فالمسيحيون يعتقدون بأن المسيح عندما قدم نفسه ذبيحة كفارية، فهو بذلك أجرى الأعمال الكهنوتية حقيقة لا مجازا كما كانت في العهد القديم، وتتم هذه الوظيفة جزئيا على الأرض ويتممها كليا في السماء، حيث قدم ذبيحته في قدس الأقداس السماوية وهو حي إلى الأبد ليقوم بالشفاعة في أتباعه من المؤمنين المسيحيين<sup>(6)</sup>، والمسيح لما أتم عمله على الأرض، وقدم قربانا تاما ومقبولا للتكفير عن الخطيئة،

(1) - أحمد حجازي السقا: الشفاعة بين المسلمين وأهل الكتاب، ط1، (القاهرة: مكتبة الإيمان، 1421-2000)، ص27.  
(2) - موريس ويضا ديمتريوس: شفاعة القديسين، (و.م.أ: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، دت)، ص41، أنظر أيضا، مبادئ العقائد المسيحية -أصالتها وفعاليتها-، مراجعة وتقديم: دوماديوس والأنبا موسى، (القاهرة: مطرانية الأقباط الأرثوذكس، دت)، ص252.  
(3) - شنودة الثالث: موسوعة الخادم القبطي -لاهوت مقارن-، ط5، (القاهرة: كنيسة الشهيد مارجرس بالمطرية، 2009)، ج2، ص52.  
(4) - سورة الزمر، الآية 07.  
(5) - سفر حزقيال، إصحاح 18: 20.  
(6) - جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، ص393.

رفع إلى المجد بوصفه الكاهن الأعظم ليقوم بمهمة أسمى وأعظم في عالم كهنوته، والقيام بعمله الشفاعي الذي يتم عن طريق ظهوره أمام وجه الرب لأجل أتباعه ومصالحهم<sup>(1)</sup>، فهو يعمل عمل الكاهن الذي ينوب عن الخطاة لعجزهم عن الوصول إلى الله، بسبب آثامهم ونجاستهم التي تقتضي إقامة شخص ذي سلطان إلهي ليظهر عنهم أمام الله ليصالحهم معه، وهذه المصالحة لا تتم إلا بواسطة الكفارة عن الخطية التي تقتضي سفك الدم، لأن ذنب الخطية لا ينتزع إلا بهذه الطريقة ولأنه بدون سفك الدم لا تحصل المغفرة<sup>(2)</sup>، وهذا ما لا نجده في الإسلام؛ لأن علاقة العبد بربه علاقة مباشرة لا تحتاج إلى وساطة في الدعاء لمغفرة الخطايا أو غيره، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ لِمْغْفِرَةِ الْخَطَايَا أَوْ غَيْرِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

يذكر علماء اللاهوت المسيحي أنه كان الكاهن في القديم يقوم عوضاً عن الناس لينوب عنهم في تقديم القرابين والذبائح عن الخطية، أما عندما قدم المسيح نفسه كفارة على الصليب فهو بذلك قد ناب عن المؤمنين من أتباعه لتخليصهم من الخطية، التي لم تستطع الذبائح المقدمة في العهد القديم رفعها، وبذلك كان الكهنوت الهاروني وذبائحه أمورا مؤقتة ومجرد رموز إلى أن جاء الكاهن الحقيقي المسيح، الذي قدم نفسه لأجل التكفير عن الخطايا، فأبطلت بذلك كل ما سواها من الذبائح فلم تبق الحاجة إليها<sup>(4)</sup>، غير أن هذا المعتقد سائد في المسيحية فقط، فكل من أتباع الديانة اليهودية والإسلام لا يزالون يقدمون الأضاحي الحيوانية كنوع من التقرب إلى الله لمغفرة خطاياهم.

ففي النصوص الكتابية، كما جاء في الرسالة إلى العبرانيين، تتم مقارنة التطهير بدم الأضاحي المعهود بدخول رئيس الكهنة الهاروني والمسيح رئيس كهنة المسيحية الشفيح إلى السماوات، حيث يكون الظهور الحقيقي أمام الله ويقوم بأعمال الكهانة الخالدة في معبده<sup>(5)</sup>: "24 لِأَنَّ الْمَسِيحَ مَا دَخَلَ قُدْسًا صَنَعْتُهُ أَيْدِي الْبَشَرِ صُورَةً لِلْقُدْسِ الْحَقِيقِيِّ، بَلْ دَخَلَ السَّمَاءَ ذَاتَهَا لِيُبْظَرَ الْآنَ حَاضِرَةً لِلَّهِ مِنْ أَجْلِنَا، 25 لِأَنَّهُ سَيُقَدَّمُ نَفْسَهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ كُلَّ سَنَةٍ بِدَمٍ غَيْرِ

(1)- Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p 44-45.

(2)- جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، ص 413.

(3)- سورة البقرة، الآية 186.

(4)- جيمس أنس: المصدر السابق، ص 413. أنظر أيضا، مرقس رينسفورد: المسيح يصلي لأجل خاصته، ترجمة: ماهر فهمي، ط2، (القاهرة: مطبعة الخلاص، 1995)، ص 34.

(5)- Thomas Houston: **op. cit**, p 45-46.

دَمِهِ،<sup>26</sup> وَإِلَّا لَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَأَلَّمَ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. وَلَكِنَّهُ ظَهَرَ الْآنَ مَرَّةً وَاحِدَةً عِنْدَ اكْتِمَالِ الْأَزْمِنَةِ لِيُزِيلَ الْخَطِيئَةَ بِتَقْدِيمِ نَفْسِهِ ذَبِيحَةً لِلَّهِ."<sup>(1)</sup>

لقد حاول توماس هاوسطن إعطاء تفسير لهذا النص، حيث يرى أن دخول رئيس الكهنة اليهودي إلى كرسي الرحمة المادي مرة واحدة فقط في السنة، ويغلق المدخل إلى أن يعود في العيد السنوي للتكفير، ولكن دخول المسيح الآن يعبر عن دوام فترة وجوده في السماء، هو لا يحتاج إلى القيام بدخول ثان، ولن يخرج أبدا من الهيكل السماوي لتقديم قربان جديد كما يفعل رئيس الكهنة القديم، لأن دخوله تام وكامل ومستمر إلى نهاية الزمن، وذكر بأن المسيح دخل السماء وهو الآن ظاهر في حضرة الرب لأجلهم، وهذا قائم على افتراض أنه قدم نفسه فداء للخطيئة، وإتماما لعمله من أجل تخليص أتباعه من المسيحيين<sup>(2)</sup>، كما أن دخول المسيح إلى قدس الأقداس السماوي عند المسيحيين لم يكن رمزا كما هو حال الكاهن على الأرض، بل دخوله كان بالجلال الإلهي والأهلية والقوة والسلطان، وشفاعته للمؤمنين من أتباعه شفاعاة مقدسة ومقبولة وفعالة وأزلية، فصارت بذلك علة سعادة الذين يأتون بها إلى الله<sup>(3)</sup>، فالواضح جليا من هذا بأن شفاعاة المسيح لها كامل القوة والسلطان الذي لا يكون إلا لله وحده، وهذا ما يطلق عليه في الإسلام بالشفاعة الشركية؛ فالشفاعة عندنا نحن المسلمون لا تكون لأي أحد مهما كانت منزلته إلا بعد الإذن الإلهي، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الموالي من هذا البحث.

ويعتقد المسيحيون بأن شفاعاة المسيح ليست كلاما، ولكنها عمل ومواجهة البشرية مع الله، وعمله هذا هو عمل مثلث، حيث أقام أولا شركة مع البشرية بالتجسد، وثانيا شركة مع اللاهوت باللاهوتية، وثالثا الإتيان بالمشفوع فيهم إلى الله المشفوع إليه<sup>(4)</sup>: "14<sup>14</sup> فَلْنَتَمَسَّكَ بِإِيمَانِنَا، لِأَنَّ لَنَا يَسُوعَ ابْنَ اللَّهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَظِيمًا اجْتَاَزَ السَّمَاوَاتِ.<sup>15</sup> وَرَئِيسُ كَهَنَتِنَا غَيْرُ عَاجِزٍ عَنَّا أَنْ يُشْفِقَ عَلَيْنَا ضِعْفَانًا، وَهُوَ الَّذِي خَضَعَ مِثْلَنَا لِكُلِّ تَجْرِبَةٍ مَا عَدَا الْخَطِيئَةَ.<sup>16</sup> فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَّةٍ إِلَى عَرْشِ وَاهِبِ النُّعْمَةِ لِنَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً تُعِينُنَا عِنْدَ الْحَاجَةِ."<sup>(5)</sup>

(1)- الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 9: 24-26.

(2)- Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p 46.

(3)- ميخائيل مرقس: الشفاعاة، ص13.

(4)- المصدر نفسه، ص15.

(5)- الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 4: 14-16.

فتكون بذلك شفاعة المسيح من خلال ظهوره أمام الرب ليس لأجل مصلحة أتباعه فقط، ولكن بوصفه أيضا ممثلا عنهم ومحاميا يدافع عنهم عندما ينادى من أجل الكلام في قضية الأتباع، وعندما يجمعون للظهور أمام الرب، يقف المسيح حينئذ نيابة عنهم، وهذا أول شيء يستوجب شفاعة المسيح<sup>(1)</sup>. ويعتقد المسيحيون أن المسيح عند شفاعته في السماء يقدم باستمرار ذكريات الخلاص الذي قام به، حيث لا تزال علامات المعاناة ظاهرة عليه ولا يزال في صورته التي قتل فيها، وهذا العرض لذكريات التضحية يشبه التضحية المتجددة على الدوام، حيث يستعطف الرب ويغفر بذلك للمذنبين، وهذا تطبيق فعال لقضية الخلاص، ونتيجة لذلك فإن المطالب التي يقدمها المسيح هي الأسمى ولا ترد، لأن المسيح الذبيح هو وحده الذي يستحق أن يحصل شعبه على البركات الكثيرة والمتنوعة، بسبب ما أعطاه الرب مقابل معاناته وتضحياته، فعندما تطرح قضية الأتباع أمام العرش وتثبت إدانتهم يطلب المسيح الشفيع إخلاء سبيلهم، لأنه دفع ثمن خلاصهم وتحريرهم وتحمل بنفسه جميع العقوبات التي يستحقونها، ومقابل ذلك وُعد بأن تتم حمايتهم من السقوط في الحفرة<sup>(2)</sup>.

يقدم اللاهوت المسيحي صورة أخرى للمسيح على أنه يجلس عن يمين الرب في السموات، ويكون جلوسه كقاضي وحكم وملك، له كامل السلطان في الإنقاذ والإدانة، وله كل القوة في منح الحياة الأبدية للمؤمنين من أتباعه<sup>(3)</sup>، فتمنح له بذلك السلطة السامية والمقام العالي الذي يمكنه من الشفاعة لأتباعه بكل قوة، فيكون المحامي الوحيد للمؤمنين من أتباعه في محكمة السماء<sup>(4)</sup>، ويبدو لنا أن اللاهوت المسيحي يقدم لنا صورتان مختلفتان تماما للمسيح إن لم نقل أنهما متناقضتان؛ صورة المسيح المصلوب وعلامات التعب ظاهرة عليه، وصورة القاضي والمحامي الذي له كامل السلطة للإنقاذ، فكيف يكون المسيح بهاتين الصورتين في الوقت نفسه؟.

ويضيف توماس هاوسطن، أن الحديث عن شفاعة المسيح بوصفه محاميا يرد في سياق إجراءات قضائية سامية، لكون تعامل الأتباع مع الرب بوصفه قاضيا تغضبه الذنوب، وهذا ما يجعلهم في حاجة

(1)- William Smington: **On the attonement and intercession of Jesus Christ**, (New York: Scatcherd and Adamas printers, 1836), p 343.

(2)- Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p 48-50.

(3)- Godwin Thomas: **The glories of Christ**, (England : J.Bennet, 1817), book V, p126. مرقس رينسفورد: المسيح يصلي لأجل خاصته، ص 34، أنظر أيضا ،

(4)- Thomas Houston: **The intercession of christ**, p 51.

مستمرة للدعاء، غير أن تحمل المسيح لذنوبهم بسفك دمه هو ما يجعله يستطيع المطالبة ببراءتهم، فشفاعة المسيح كما أنها تطهير لشعبه، فهي أيضا خدمة لتحصيل القبول من الرب<sup>(1)</sup>، وعليه فشفاعة المسيح لها فائدتان؛ فبالإضافة إلى أنها تقوم بتطهير الأتباع من الذنوب، فهي أيضا تعمل على تحصيل القبول عند الله، مع أن تحصيل القبول في الإسلام يكون بالأعمال الصالحة لا بالوساطة والشفاعة كما هو الحال عند المسيحيين.

إن الحاجة إلى شفاعة المسيح على ما يعتقدوه المسيحيون، نتجت عن كون كل البشر قد فقدوا حق الشركة مع الله وامتياز الظهور أمامه، فقد كان آدم عظيم كهنة عن كل الخليقة، يظهر أمام الله وله حق الامتياز بالتكلم مع الله، ولما وقع في الخطية فقد هذا الامتياز، وأورث نسله فقدان هذا الامتياز أيضا، فأصبحت البشرية كلها في حاجة إلى من يظهر أمام الله، فجاء المسيح الشفيع الحقيقي الذي له القدرة على الظهور وخلص الذين يتقدمون به إلى الله، فهو حي في كل حين ليشفع فيهم، وشفاعة المسيح كما وردت في الرسالة إلى العبرانيين، هي استمرار عمل المسيح بصفته رئيس الكهنة، وأن البشرية التي اتخذها لنفسه، جعلته يكون ممثلا للبشر في مقدس الله<sup>(2)</sup>: "24 وَأَمَّا يَسُوعُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، فَلَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ. 25 وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ خَلَاصًا نَامًا، لِأَنَّهُ حَيٌّ بَاقٍ لِيَشْفَعَ لَهُمْ. 26 فَيَسُوعُ، إِذَا، هُوَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُنَاسِبُنَا، هُوَ قُدُّوسٌ بَرِيءٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَا صِلَةَ لَهُ بِالْخَاطِيئِينَ، ارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ."<sup>(3)</sup>.

إن قضية توريث الخطية في المسيحية من الأمور التي لا يقبلها العقل ولا المنطق، فكيف يرث الأبناء ذنوب الآباء؟، والكتاب المقدس يشير إلى أن الابن لا يموت بإثم أبيه، وأن المطلوب من الإنسان لكي يحيا حياة أبدية إتباع أوامر الله: "19 تَسْأَلُونَ: لِمَازَا لَا يَحْمِلُ الْإِبْنُ إِثْمَ أَبِيهِ؟ وَالْجَوَابُ هُوَ أَنَّ الْإِبْنَ فَعَلَ مَا هُوَ حَقٌّ وَعَدْلٌ، وَعَمِلَ بِجَمِيعِ فَرَائِضِي، فَهُوَ لِذَلِكَ يَحْيَا."<sup>(4)</sup>، وهذا يتوافق مع ما جاء في الإسلام، وقد سبق الإشارة إلى ذلك فيما سبق.

وانطلاقا من الاعتقاد المسيحي القائم على أساس حاجة البشرية لكفارة المسيح، هذه الأخيرة هي

(1)- Thomas Houston: **The intercession of christ**, p54، أنظر أيضا، William Symington: **on the attonement and intercession of Jesus Christ**, p 345.

(2)- ميخائيل مرقس: الشفاعة، ص14.

(3)- الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 7: 24-26.

(4)- سفر حزقيال، إصحاح 18: 19.



التي أعطت شفاعة المسيح الفعالية المستمرة والدائمة لخاصية التكفير، حيث قال عنها بعض الكتاب القدامى بأنها "قربان أبدي ودائم"، وإذا لم يشفع المسيح تصبح الكفارة غير مجدية، فشفاعة المسيح ضرورية لإتمام عهد النعمة<sup>(1)</sup>. ونتيجة لهذه الشفاعة المستمرة في السماوات فإن الرب لا يرى الخطيئة؛ لأن المسيح عمل على تطهيرها وتطهير الكنيسة التي تقدم للرب على أنها كنيسة المجد، كل ذلك ثمرة شفاعة المخلص، والمهم في ذلك عمل المسيح المحامي والشفيع عندما يقف أمام الرب مدافعا عن أتباعه أمامه، وعندما ينال القبول لذلك فإن البركات التي يحصل عليها لا تقدر<sup>(2)</sup>.

بناء على ما سبق، يتبين بأن شفاعة المسيح من العقائد المهمة في المسيحية لارتباطها بشخص المسيح من جهة، ولارتباطها بالكفارة من جهة ثانية، وتكون للمذنبين للتخلص من ذنوبهم، وتكون أيضا لتحصيل القبول عند الله، والتكفير المنجز على الأرض من طرف المسيح هو ما حدد طبيعتها الكفارية، التي كانت إحدى الخصائص التي تميزت بها شفاعة المسيح، وهذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي.

### المطلب الثالث: خصائص شفاعة المسيح

وضع علماء اللاهوت المسيحي مميزات لشفاعة المسيح انطلاقا من مؤهلاته الشخصية، ومن خلال مواصفات شفاعته التي يؤديها باستمرار، وهو الأمر الذي يؤهله لتلقي الثقة الكاملة من طرف أتباعه، وتمثل هذه الخواص في:

#### أولا: شفاعة انفرادية

فالمسيح هو الشفيع والمدافع الوحيد عن المذنبين أمام الرب، كما يقر المسيحيون بذلك على أساس أن شفاعته في السماء قائمة على التكفير المنجز في الأرض، فلا يوجد أحد من صنف المخلوقات يمكنه أن يتوسط بهذا المقام العالي ليقوم بوظائف ذلك المنصب، أو يحقق النتائج المهمة له إلا المسيح<sup>(3)</sup>. فهو الوسيط الوحيد من بين كل البشر، كما جاء في قول بولس الرسول عن المسيح، باعتباره وسيط الكفارة

<sup>(1)</sup>- William Symington: **On the atonement and intercession of Jesus Christ**, p334.

<sup>(2)</sup>- Thomas Houston : **The intercession of christ**, p 55.

<sup>(3)</sup>- **Ibid, op. cit**, p 56, أنظر أيضا،

جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية - عن المسيح يسوع المسيح الشفيع الكامل -، ط2، (القاهرة: مدارس الأحد، 2011)، ج2، ص132.

الوحيد بين الله والناس، فيقول في ذلك: "لأنه يوجد إله واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح"،<sup>(1)</sup>.

بناء على هذا النص يرى المسيحيون بأن المسيح هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يقف بين البشر والله، بسبب الخطية التي فصلت البشرية عن الله وذلك ليجمعهم مرة أخرى<sup>(2)</sup>، وهو من قام بأمر المصالحة بين الله والبشر عن طريق التكفير بدمه، ولا تقوم هذه المصالحة إلا بتجسد المسيح والتوسط بينهما، فلا يمكن للمسيح التوسط وهو منفصل عن الآب، ولا التوسط عن الناس وهو منفصل عنهم، فهو حمل الوحدة مع الآب في الجوهر كما يحمل الوحدة مع الطبيعة البشرية، وقول بولس الرسول "الإنسان يسوع المسيح"، وهو رد على قول الغنوصيين أن جسد المسيح خيالي، وأنه عبر في بطن العذراء دون أن يأخذ لحماً ولا دماً، وإنما كان له جسد روحي أخذه من السماء<sup>(3)</sup>، والقول بالطبعتين (اللاهوتية والناسوتية)، أو القول بالطبيعة الواحدة (الالهية) للمسيح؛ هي من العقائد المرفوضة في الإسلام، لأنه مجرد إنسان كرمه الله بالنبوة، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ءَإِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧١﴾﴾<sup>(4)</sup>.

يعتقد المسيحيون أن وساطة المسيح الكفارية الفريدة، هي التي جعلته الوسيط الفريد والشفيع الكامل، ولا يكون خلاص أحد غيره، لأنه ابن الله الوحيد والمساوي للآب في الجوهر، وهذا ما أعطاه الكفاءة للشفاعة أمام الله الآب، كما أنه وتجسده أعطاه الكفاءة في النيابة عن البشر، وتقديم الكفارة عن خطاياهم<sup>(5)</sup>.

إن بناء شفاعة المسيح في اللاهوت المسيحي تقوم على التضحية والفداء، وعليه فإنه الوحيد الذي قام بالتضحية، ووحده الذي يملك حق الشفاعة، ووحده الذي له حق الجلوس إلى يمين الآب بوصفه كاهناً على عرشه، وفي هذا المنصب الرفيع هو وحده الذي يصلح لأداء عمل الدفاع الناجح، وهو بعطفه

(1) - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس، إصحاح 2: 5.

(2) - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (القاهرة: شركة ماستر ميديا، 1997)، ص 2598.

(3) - أنطونيوس فكري: تفسير رسالة تيموثاوس الأولى، ط2، (القاهرة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، 2012)، ص 12.

(4) - سورة المائدة، الآية 116.

(5) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج 2، 133-232.

يعد المحقق الوحيد للخلاص الأبدي، وهو وحده الذي يتمه بواسطة شفاعته المستمرة<sup>(1)</sup>، فالواجب الذي يقوم به الوسيط المسيح في الشفاعة، يتناسب مع حجم المعاناة التي تعرض لها حيث دفع الخطيئة إلى الأبد، بسفك دمه على الصليب كفارة وفاء، وهذا يعطي شفاعته في السماء قوة وثبات، فيكون المسيح وحده من يملك حق المرافعة أمام العرش<sup>(2)</sup>.

لقد أعطى اللاهوت المسيحي، المسيح جميع السلطة والقوة في السماء والأرض، حيث يملك السلطة المطلقة في التحكم في جميع العوائق التي تحول دون تحقيق بركته، فهو يملك التفويض والأمر من الآب ليتوسط لأتباعه القديسين بوصفه "قديس على العرش"، يترافع ويدافع عنهم من هذا المنصب الرفيع ذي السلطة الحاكمة، من يوم التولية الذي أعلن فيه عن كونه الابن الوحيد للرب جعله وسيطا على الأرض، وعليه شفيعا في السماء مدافعا من أجل تحقيق الخلاص، وبصورة مستمرة وفعالة<sup>(3)</sup>.

إن الصورة التي يرسمها اللاهوت المسيحي للمسيح على أنه يملك السلطة المطلقة في التحكم والتفويض، يطرح سؤالاً مهماً وهو: ما دور الأب في ظل السلطة المطلقة للابن؟، كما أن ما نسبوه للمسيح هي من الأمور الخاصة بالله وحده، وهذا هو الشرك بعينه، وهذا الانحراف في العقيدة أساسه المغالاة في تقديس شخص المسيح إلى حدّ إضفاء صفات الألوهية عليه إلى أن أصبح هو الإله.

#### ثانيا: شفاعة مقدسة مؤسسة على البر.

لقد أضفى اللاهوت المسيحي صفة أخرى على شفاعة المسيح، وهي صفة البر، وذلك على أساس أن المسيح هو الشخص الوحيد البار الذي لم يعرف الخطية، وكونه البار جعله مؤهلا لأن يكون الشفيع الذي يتوسل لأجل المذنبين، وشفاعته فيهم مبنية على أساس مبدئي من بره الشخصي<sup>(4)</sup>: "11 مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَسْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَأَثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. 12 لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الْأَعْرَاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُخْصِيَ مَعَ أُنْمَةٍ، وَهُوَ حَمَلٌ خَطِيئَةٌ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُدْنِيِّينَ."<sup>(5)</sup>.

(1)- Thomas Houston : **The intercession of christ**, p 58.

(2)- **Ibid, op.cit**, p 61.

(3)- **Ibid, op.cit**, p 60.

(4)- عوض سمعان: الكهنوت، (مصر، دار الأخوة للنشر، دت)، ص115، أنظر أيضا، صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج4، ص533.

(5)- سفر إشعيا، إصحاح 53: 11-12.

إن القول بخصوصية المسيح بالبر وأنه الوحيد البار ليس بالأمر الصحيح، لأن صفة البر خصت جميع الأنبياء الذين جاءوا قبله ومن بعده، فإذا كان البر يتضمن معنى حفظ الوصايا الإلهية واتباع أوامره، وكذلك الصلاح والاستقامة، والوصول إلى القداسة والكمال في الأخلاق؛ فهذا ينطبق على الأنبياء جميعاً؛ لأنهم كانوا مثلاً لطاعة أوامر الله بالعبادة وتبليغ أوامره ورسالته إلى الناس، ونذكر مثلاً من الكتاب المقدس على بر أحد الأنبياء: "21 أَنْظُرْ إِلَى أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ، أَمَا بَرَّرَهُ اللهُ بِالْأَعْمَالِ حِينَ قَدَّمَ ابْنَهُ إِسْحَقَ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ 22 فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ إِيمَانَهُ رَافَقَ أَعْمَالَهُ فَصَارَ إِيمَانُهُ كَامِلًا بِالْأَعْمَالِ، 23 فَتَمَّ قَوْلُ الْكِتَابِ: آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِالْبَرِّ فَبَرَّرَهُ اللهُ لِإِيمَانِهِ وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ".<sup>(1)</sup>

فالمسيح في الاعتقاد المسيحي هو بدون خطية ولا دنس، فقد كان باراً قدوساً منح على أساسها شعبه الحياة الأبدية، وذلك عن طريق تقديم نفسه كذبيحة كاملة بلا عيب، لأنه من المستحيل أن يكون المخلص من الخطية خاطئاً، لأنه لا يقدر أن يصل إلى الله<sup>(2)</sup>، فقد كان الكاهن اللاوي في العهد القديم قبل الدخول إلى قدس الأقداس، يقوم بالتطهير اليومي بالماء ليقدّم الذبيحة عن نفسه إن أخطأ، أو عن غيره، أما المسيح حين قدم نفسه ذبيحة فقد كان بلا خطية<sup>(3)</sup>: "25 وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ يَنْقَرِبُونَ بِهِ إِلَى اللهِ خَلَاصًا تَامًا، لِأَنَّهُ حَيٌّ بَاقٍ لِيَشْفَعَ لَهُمْ. 26 فَيَسُوعُ، إِذَا، هُوَ رَبُّنَا الْكَهَنَةُ الَّذِي يُنَاسِبُنَا، هُوَ قُدُّوسٌ بَرِيءٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَا صِلَةَ لَهُ بِالْخَاطِئِينَ، ارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ".<sup>(4)</sup>

ويبين اللاهوت المسيحي انطلاقاً من هذا النص، بأن المسيح بوصفه شفيعاً ومدافعاً نقي لا شائبة فيه، فهو الكاهن الأعظم، قدوس، غير ملطخ بالمعصية ومميز عن المذنبين، فالذي يدخل قدس الأقداس السماوية، ويكون عمله تقديم قربان خالص مقدس، لا بد أن يتصف بالطهارة المطلقة التي تجعله لا يحتاج معها إلى العفو والتطهير، فالطهارة التامة والمطلقة لشخصه يحققان الفعالية لشفاعته، ومنه اكتسبت صفة القداسة<sup>(5)</sup>.

أما قول المسيحيين أن المسيح بلا خطية فهذا ما يرفضه العقل، لأن المسيح بشر، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا

(1) - سفر يعقوب، إصحاح 2: 21-23.

(2) - جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، ص 384.

(3) - أنطونيوس فكري: تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص 52.

(4) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 7: 25-26.

(5) - Thomas Houston : **The intercession of christ**, p 59.

يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»<sup>(1)</sup>، والبشر معرضون للخطأ، والخطايا الصغيرة أمر وارد في حياة الأنبياء عليهم السلام، لأن عصمتهم تكون في الكبائر لا في الصغائر. وإنجيل يوحنا يشهد بإحدى خطايا المسيح مع المرأة الزانية التي لم يقم عليها الحد: "وَعِنْدَ الْفَجْرِ رَجَعَ إِلَى الْهَيْكَلِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الشَّعْبُ كُلُّهُ، فَجَلَسَ وَأَخَذَ يُعَلِّمُهُمْ. وَجَاءَهُ مُعَلِّمُوا الشَّرِيعَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ بامرأةً أَمْسَكَهَا بَعْضُ النَّاسِ وَهِيَ تَزْنِي، فَأَوْقَفُوهَا فِي وَسْطِ الْحَاضِرِينَ،<sup>4</sup> وَقَالُوا لَهُ: "يَا مُعَلِّمُ، أَمْسَكُوا هَذِهِ الْمَرْأَةَ فِي الزَّنى،<sup>5</sup> وَمُوسَى أَوْصَى فِي شَرِيعَتِهِ بِرَجْمِ أُمَّتَالِهَا، فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟" <sup>6</sup> وَكَانُوا فِي ذَلِكَ يُحَاوِلُونَ إِخْرَاجَهُ لِيَتَّهَمُوهُ. فَانْحَنَى يَسُوعُ يَكْتُمُ بِإِصْبَعِهِ فِي الْأَرْضِ. <sup>7</sup> فَلَمَّا أَلْحُوا عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيُرْمِمْهَا بِأَوَّلِ حَجَرٍ!" ... وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ فِي مَكَانِهَا. <sup>10</sup> فَجَلَسَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: أَيْنَ هُمُ يَا امْرَأَةٌ؟ أَمَا حَكَمَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ؟ <sup>11</sup> فَأَجَابَتْ: لَا سَيِّدِي فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: وَأَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَيْكَ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي بَعْدَ الْآنَ"<sup>(2)</sup>، لماذا لم يحكم عليها بالرجم؟ هل تُؤخذ شهادة المتهم دون وجود دليل؟ أيرفض شهادة الشهود ويقبل شهادتها بمفردها؟، مع أنه ورد من أقواله حسب ما جاء في الكتاب المقدس: "<sup>28</sup> مَنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ مُوسَى يَمُوتُ مِنْ دُونِ رَحْمَةٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ"<sup>(3)</sup>.

مما تقدم يتبين بأن المسيحيين يعتقدون بصفة الطهارة التامة للمسيح وقداسته، وهذا ما أعطى شفاعته صفة القداسة والفعالية في السماء، ويضيفون إليها صفة الرحمة أيضا، وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

### ثالثا: شفاعة مؤسسة على الرحمة

لقد كانت الصفة الأساسية للكهان الأعظم في العهد القديم؛ الشفقة على الجاهلين والخارجين عن الطريق المستقيم لأنه يحمل طبيعتهم، وهو نفسه محاط بالعجز، أما في العهد الجديد، فيعتقد المسيحيون بأن المسيح خال تماما من الخطيئة، ونظرا لكونه يحمل الطبيعة الإنسانية، فإنه يملك أعلى مراتب العطف على ضعفهم بجميع أنواعه، وهو يملك نزعة قوية نحو مساعدة أتباعه والتخفيف من آلامهم، فالمسيح في منصبه الكهنوتي يجمع بين الإخلاص للرب والشفقة على أتباعه، وبذلك يكون أعظم كاهن؛ يتصف بالرحمة والإخلاص في الأمور التي تتعلق بالرب، وبطلب العفو فيما يتعلق بذنوب شعبه، فالمسيح يتصف

(1) - سورة المائدة، الآية 75.

(2) - إنجيل يوحنا، إصحاح 8: 2.

(3) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 10: 28.

بالرحمة المطلقة، ومليء بالشفقة التي هي من صفات الرحمة التي يتصف بها الرب<sup>(1)</sup>.

إن الرحمة التي تميزت بها شفاعة المسيح في اللاهوت المسيحي، لم تأت فقط من الشفقة الإلهية بل من الشفقة الإنسانية أيضا<sup>(2)</sup>، ودلّ على ذلك: "17فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُشَابِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يَكُونَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، رَحِيمًا أَمِينًا فِي خِدْمَةِ اللَّهِ، فَيُكْفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ. 18لِأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ تَأَلَّمَ بِالتَّجَرُّبَةِ، فَأَمَكَّنَهُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ."<sup>(3)</sup>.

فبشريته الكاملة هي التي أهلته ليكون رحيما بشعبه، وليكون أيضا رئيس كهنة يكفر عن خطاياهم، ولأجل إتمام ذلك بذل نفسه ذبيحة بلا خطية، فمات طوعا عوضا عن أتباعه المؤمنين<sup>(4)</sup>.

و يوضح اللاهوت المسيحي أنه لكي تتحقق الرحمة الإلهية، يجب أن يتمثل الإله بصورة بشرية كي يحس ويشعر بالإنسان، ويواجه تجاربه، وهذا عين التناقض، فكيف لخالق البشر لا يعلم ما يشعر به عباده، وهو القائل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(5)</sup>، فمهما بلغت درجة الرحمة الإنسانية، فإنها لن تبلغ درجة الرحمة الإلهية لأنها من صفاته تعالى فهو الرحمان الرحيم، كما قال في كتابه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٠﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠١﴾﴾<sup>(6)</sup>.

هذا ويعتقد المسيحيون أنه بواسطة المشابهة البشرية صار المسيح عطوفا على الناس، يشعر بهم، فهو يعرف حاجات البشر لأنه قد واجه تجاربهم، وبسبب هذه المعرفة الاختبارية يعرف العون الذي يحتاج إليه الإنسان ويستطيع منحه إياه، فعن طريق الألم صار المسيح مقتدرا ليقوم بمهمته كرئيس لخلاص شعبه<sup>(7)</sup>؛ وهل حقيقة أن الله لا يعلم بحاجات البشر حتى تتم مشابته بالإنسان ليحس به وعالما بحاجاته؟، فهذا قدح في قدرته تعالى لأنه يتناقض مع علمه المطلق وقدرته الكاملة، فالله له القدرة المطلقة على العلم بشؤون

(1)- Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p 61-62.

(2)-William Symington: **On the atonement and the intercession of Jesus Christ**, p374.

(3)- الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 2: 17-18.

(4)- وليم ماكدونلد: تفسير الكتاب المقدس للمؤمن -العهد الجديد-، ط1، (دم: دار الكتاب المقدس، 1998)، ص1307.

(5)- سورة ق، الآية 16.

(6)- سورة الفاتحة، الآية 1-2.

(7)- وليم باركلي: تفسير العهد الجديد -رسالة إلى العبرانيين-، ترجمة: جرجس هايبيل، ط2، (القاهرة: دار الجيل، دت)، ص41-

عباده، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾<sup>(1)</sup>.

يبين اللاهوت المسيحي بأن الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية في المسيح، هي التي جعلته قادرا على كل شيء، وحاضرا في كل مكان، وغير محدود في وسائطه ليخلص ويبارك؛ فطبيعته البشرية مكنته من الإحساس بضعف شعبه، وحمل القصاص الذي يستحقه، انطلاقا من الرحمة في الحياة الدنيا<sup>(2)</sup>، فالعذاب الذي عانى منه المسيح على الصليب بوصفه إنسانا، هو ما أهله ليكون متصفا بالشفقة اتجاه شعبه، وفي السماء عندما يتفكر في ظروف المحنة التي مر بها في الدنيا، يمكنه الدفاع عن قضايا شعبه في وقت محنته، بأعلى مراتب الرقة والشفقة وهو جالس على العرش، لأنه يملك طبيعة أخوية وقلبا أخويا، فالجد الذي حصل عليه في السماء لم يغير من عطفه، فهو يملك العطف الإنساني مخلوطا بالشفقة الربانية<sup>(3)</sup>.

كما يضيف اللاهوت المسيحي، أن صفة الرحمة التي تتسم بها شفاععة المسيح في السماء، تقوم على أساس معرفته التامة لشعبه ولأحوالهم وظروفهم، ولذلك فهو حكيم حكمة مطلقة، يعرف كيف يوظف أفضل الوسائل لتلبية حاجاتهم المتنوعة، وتحقيق مقاصد الحب والرحمة اتجاههم، فالمسيح بوصفه الكاهن الأعظم، المخلص والرحيم للشؤون المتعلقة بالرب لمصلحة شعبه، يقوم بجميع المهمات التي تحمّلها بصورة كاملة كضامن، ويوفي بجميع وعوده بالخلاص اعتمادا على شفاعته أمام العرش<sup>(4)</sup>.

إن المسيح بحسب الاعتقاد المسيحيين مدافع مقبول، وشفاعته مرضية ومفرحة للآب، لأن المسيح أخذ بعين الاعتبار ضعف وعدم استحقاق أولئك الذين يشفع لهم، فهو يعمل على ترتيب الأمور بصورة تضمن لهم تحصيل القبول، كما أن ربوبيته الخالدة تعطي القيمة والفعالية المطلوبة لشفاعته في السماء، كما فعلت مع عبوديته ومعاناته على الأرض، فما قام به من أجل الخلاص يعد أساس دفاعه عن شعبه في السماء، وهو الذي يستعطف الغضب الإلهي ويجعله يتلقى المذنبين بالرضا، فالمسيح أثناء عمله الشفاعي يمثل شعبه في السماء وهو على يمين الرب يحصل القبول لجميع أعداد المفديين، وهو قبول يمتد إلى جميع

(1) - سورة البقرة، الآية 255.

(2) - جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، ص 380.

(3) - Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p 62.

(4) - **Ibid**, op. cit, p 59-60.

مصالحهم في الحياة والممات، ويوفر لهم الوصول الدائم للوجود الرباني والاستجابة لصلواتهم، والتمتع بالبركات المتعددة التي لا توصف<sup>(1)</sup>.

مما سبق يبدو لنا بأن اللاهوت المسيحي يقدم لنا صورتان متناقضتان للمسيح؛ صورة الإنسان ومعاناته على أنها هي التي أهلتها لأن يكون رحيمًا وعلى أساسها يشفع، وصورة المسيح الرب الخالد هو ما أعطى شفاعته الفعالية في السماء.

بناء على ما تقدم يتضح بأن المسيحيين يعتقدون بأن صفة الرحمة التي اختصت بها شفاعته المسيح أساسها الرحمة التي اتصف بها، والتي تتضح من خلال المشاهدة البشرية وقيامه بالتضحية، وهم بذلك يربطون صفة الرحمة بالكفارة التي قدم فيها المسيح نفسه فداء عنهم، فرحمته الدنيوية بالخلاص هي التي أعطته القدرة على الشفاعة واللامحدودية في كل وسائل الخلاص، فبالإضافة إلى وصفهم بأن شفاعته المسيح مؤسسة على الرحمة، فهي أيضًا تتصف بالديمومة والاستمرار، وهذا ما سنتناوله بالبحث في العنصر الموالي.

#### رابعاً: شفاعته أزلية ودائمة

من الصفات التي وصف بها اللاهوت المسيحي شفاعته المسيح إضافة إلى الصفات السابقة الذكر، أنها أزلية أيضاً، ويستدل على ذلك بـ: "23 وَأَوْلَيْكَ الْكَهَنَةُ عَدَدَهُمْ كَثِيرٌ، لِأَنَّ الْمَوْتَ كَانَ يَمْنَعُ بَقَاءَهُمْ. 24 وَأَمَّا يَسُوعُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، فَلَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ. 25 وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ يَنْقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ خَلَاصًا تَامًا، لِأَنَّهُ حَيٌّ بَاقٍ لِيَشْفَعَ لَهُمْ." (2).

وقد فسر وليم باركلي هذا النص على أنه لم يكن في مقدور الكهنوت القديم أن يتمتع بالبقاء والدوام بسبب الموت الذي يجعل كاهنا مكان آخر، فلم يستطع كاهن واحد في النظام القديم أن يعيش إلى الأبد، أما كهنوت يسوع فهو باق وسيبقى إلى أبد الأبد، وقوته تكمن في إعطائه الناس امتياز الاقتراب إلى الله، هذه القوة الفريدة لا يستطيع أي شخص آخر أن يمتلكها أو أن يكون بديلاً يأخذ مكانه، فهو الطريق الأوحده إلى الله وسيبقى كذلك إلى أبد الدهور<sup>(3)</sup>.

(1) - Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p 65.

(2) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 7: 23-25.

(3) - وليم باركلي: تفسير العهد الجديد - الرسالة إلى العبرانيين -، ص 125.



هذا ويضيف وليم باركلي بأن كاتب الرسالة يريد أن يقول بأن المسيح باق في وظيفته ولا يستطيع شخص آخر أن ينتزع منه وظيفته، لأنه الكاهن الأبدي الذي يبقى دائما يعمل على تقديم الناس إلى الله، ويخلص أتباعه إلى التمام، ففي حياته على الأرض كان يخدم الناس وقد بذل حياته لهم، وفي السماء سيظل شفيعا فيهم، لقد عاش ومات لأجلهم على الأرض وهو يعيش الآن في السماء متشفعا فيهم<sup>(1)</sup>. فالقول بأن خدمة المسيح الشفاعية في السماء تعمل على تميم عملية الخلاص الذي قام به على الأرض بإراقة دمه، تدل على حكمهم بأن الكفارة التي قدمها المسيح عمل ناقص، وهذا يتناقض مع عقيدتهم التي تقول بأنه قدم قربانا تاما قام على أساسه خلاصهم الكامل، والسؤال الذي يطرح هنا، ما حاجتهم للشفاعة إذا كان المسيح قد خلصهم عن طريق التكفير بدمه؟.

إن شفاعة المسيح كما يقول علماء اللاهوت المسيحي تتسم بدوامها واستمراريتها إلى الأبد، وقد أكد هذه الحقيقة الرسل والعبارة في ذلك صريحة، فقد استعملوا عبارة "أَمَّا يَسُوعُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، فَلَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ"، ولم يستعملوا عبارة "كان كاهنا"<sup>(2)</sup>، وتفسير ما جاء في سفر إشعيا من استعمال عبارة الماضي "وَشَفَعَ فِي المُنْذَبِينَ"<sup>(3)</sup>؛ فهي لا تعني انقضاء الشفاعة وإنما قيلت في سياق التنبؤ، الذي تكون له نهاية كما أن له بداية، وهي تعني بوضوح أن المخلص سيستمر في الشفاعة للمذنبين، كما أن القضايا العديدة والمتنوعة لشعبه تتطلب أن تكون شفاعته غير منقطعة وأبدية، وتكون الحاجة إليها باستمرار؛ فما دام شعبه يذنب فهو يلتمس لهم العفو، وما دام شعبه يؤدي الشعائر فسيستمر في منحهم القبول، وهذا ما يعطي شفاعته الدوام والاستمرار.

إن الاعتماد على هذا المنطق في غفران الذنوب يؤدي إلى العصيان وعدم الخوف من الله، والتمادي في ارتكاب الذنوب والمعاصي ما دام هناك من يلتمس لهم العفو والمغفرة، خاصة إذا كان الشفيع له كل السلطان والحكم، فتكون شفاعته ذات قوة وفعالية كما هو الشأن عند المسيحيين.

ويعتقد المسيحيون أن هذه الاستمرارية تعطي عدم الحاجة إلى كفارة أخرى أو إلى عمل الصليب من جديد، لأن دم المسيح ثمين وقيمه أبدية، فليس هناك حاجة إلى أن يموت مرة أخرى، فالذبيحة الكفارية التي تمت مرة واحدة لا تزال قائمة ولا تزال قيمتها الكفارية فيها خلاص البشر في كل زمان

<sup>(1)</sup>-وليم باركلي: تفسير العهد الجديد -الرسالة إلى العبرانيين-، ص125-126.

<sup>(2)</sup>- Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p 102.

<sup>(3)</sup>- **Ibid, op. cit**, p 102-106.

ومكان، لأن استحقاقات الدم الثمين كافية للكفارة، والتغطية لجميع الناس في كل العصور، ولهذا فالمسيح لا يزال شفيعاً قائماً في كل حين، وشفاعته هي كفارته التي قدمها ولا يزال ينتفع بها كل من يتقرب بها إلى الله الآب<sup>(1)</sup>: "25 وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ يَنْقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ خَلَاصًا تَامًّا، لِأَنَّهُ حَيٌّ بَاقٍ لِيَشْفَعَ لَهُمْ."<sup>(2)</sup>

انطلاقاً من اعتقاد المسيحيين بأن المسيح دائم إلى الأبد، فهو بذلك يقدر أن يخلص الذين يتقربون به إلى الله على يده إلى أبد الدهور، لأنه حي في كل وقت يشفع فيهم، وذلك عكس كهنة العهد القديم الذين كانوا بكثرة بسبب الموت، وعدم دوام حياة الكاهن اقتضت ضرورة أن يخلفه غيره، لذلك فالمسيح هو الكاهن الأبدي، وهو الذبيحة الوحيدة عن العالم التي لا تتكرر، وهو دائماً حي يشفع<sup>(3)</sup>.

فصفة الاستمرارية والأبدية لشفاعة المسيح عند المسيحيين لا يعني أنها تستمر إلى يوم الآخرة، وإنما المقصود منها في الحياة الدنيا، لأن المسيح لا يمارس خدمته الشفعية في المؤمنين بعد انتقالهم إلى العالم الآخر، فهو يمارس الشفاعة لأجلهم وهم لا يزالون على الأرض بالعمل على إرجاعهم بواسطة الروح القدس إلى الشركة الطيبة مع الله، لأنه ليس هناك مجال لتغيير مصير الناس في اليوم الآخر كما أنه ليس هناك مجال للتوبة والشركة مع الله إلا في الحياة الدنيا<sup>(4)</sup>.

هذا ما أكده أيضاً الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية، في مقابلة شفوية أجراها معه أستاذ الأديان فرج الله عبد الباري، من أن الشفاعة عند المسيحيين إنما تكون في الدنيا لا في الآخرة<sup>(5)</sup>.

فالיום الآخر حسب ما يعتقد المسيحيون لا يكون فيه غفران للخطايا، ولا تبديل لحال الأشرار لأنهم يدانون ويذهبون إلى جهنم حيث العذاب الأبدي، فالخطية في اعتقادهم موجهة لله غير المحدود فصارت عقوبتها غير محدودة<sup>(6)</sup>.

(1) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4367، 4279، أنظر أيضاً، ميخائيل مشاقة: الرسالة الموسومة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، (بيروت: مطبعة الأميركان، 1849)، ص 24.

(2) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 7: 25.

(3) - ميخائيل مشاقة: المصدر السابق، ص 24-25.

(4) - عوض سمعان: الكهنوت، ص 113-114.

(5) - فرج الله عبد الباري: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ص 244.

(6) - بيشوي حلمي: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، مراجعة: الأنبا بيشوي وآخرون، ط 1، (القاهرة: دار نوبا للطباعة، 2008)، ص 445.

لقد جاء وصف حال الأشرار يوم القيامة بدوام وأبدية عذابهم، حيث لا تنفع توبة ولا إصلاح، وهو ما أعلن عنه المسيح حيث قال: "42 وَقَالَ يَسُوعُ: «مَنْ أَوْقَعَ أَحَدٌ هُوَ لَاءِ الصَّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فِي الْخَطِيئَةِ، فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجْرٌ كَبِيرٌ وَيُرْمَى فِي الْبَحْرِ. 43 فَإِذَا أَوْقَعْتَكَ يَدُكَ فِي الْخَطِيئَةِ فَاقْطَعْهَا. لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ وَلَكَ يَدٌ وَاحِدَةٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَذْهَبَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى نَارٍ لَا تَنْطَفِئُ. 44 حَيْثُ الدُّودُ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تَنْطَفِئُ. 45 وَإِذَا أَوْقَعْتَكَ رِجْلُكَ فِي الْخَطِيئَةِ فَاقْطَعْهَا، لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ وَلَكَ رِجْلٌ وَاحِدَةٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلَانِ وَتُرْمَى فِي جَهَنَّمَ، فِي جَهَنَّمَ، 46 حَيْثُ الدُّودُ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تَنْطَفِئُ. 47 وَإِذَا أَوْقَعْتَكَ عَيْنُكَ فِي الْخَطِيئَةِ فَاقْلَعْهَا. لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ وَلَكَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُرْمَى فِي جَهَنَّمَ. 48 حَيْثُ الدُّودُ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تَنْطَفِئُ.» (1).

وقد ذكر علماء اللاهوت بأن الآيات التي شهدت فيها بهذا التعليم، جاءت بصورة التلميح لا التصريح والتي جاء فيها بأن ليس في الزمن الآتي توبة ولا غفران ولا تغيير حال، ويستدلون على ذلك بما ورد في قصة "الغني ولعازر" (2)، التي ذكرت في الكتاب المقدس، والتي أكدت استحالة العبور من جهنم إلى الجنة، وأن الذين يموتون خطاة يبقون كذلك إلى الأبد، وهذا دليل على نفي اعتقاد الخلاص العام (3). على هذا الأساس تكون شفاعة المسيح عند المسيحيين في الحياة الدنيا، لا في الآخرة؛ لأن الخطاة عندهم يدخلون النار ولا يخرجون منها أبدا.

ومما يجدر الإشارة إليه، أن هناك من المسيحيين من يقولون بأن المسيح يشفع للخطاة والمذنبين في الحياة الآخرة، بناء على تطبيقهم لنبوءة العبد المتألم على المسيح في مجيئه الثاني المتزامن مع يوم القيامة (4)، ونص النبوة: "13 وَقَالَ الرَّبُّ: هَا عَبْدِي يَنْتَصِرُ. يَتَعَالَى وَيَرْتَفِعُ وَيَتَسَامَى جِدًّا. 14 كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ دُهِشُوا مِنْهُ، كَيْفَ تَشَوَّهَ مَنْظَرُهُ كَانْسَانَ وَهَيئَتُهُ كَبَنِي الْبَشَرِ. 15 وَالْآنَ تَعْجَبُ مِنْهُ أُمَّمٌ كَثِيرَةٌ وَيَسُدُّ الْمُلُوكُ أَفْوَاهَهُمْ فِي حَضْرَتِهِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ غَيْرَ مَا أُخْبِرُوا بِهِ وَيُشَاهِدُونَ غَيْرَ مَا سَمِعُوهُ... 11 وَيُودَاعَتِهِ يُبْرِرُ عَبْدِي الصَّدِيقَةَ كَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ وَيَحْمِلُ خَطَايَاهُمْ. 12 ذَلِكَ أُعْطِيَهُ نَصِيبًا مَعَ الْعُظَمَاءِ وَغَنِيمَةً مَعَ الْجَبَابِرَةِ. بَدَلًا لِلْمَوْتِ نَفْسِهِ وَأَحْصَى مَعَ الْعَصَاةِ، وَهُوَ الَّذِي شَفَعَ فِيهِمْ حَمَلٌ خَطَايَا كَثِيرِينَ" (5).

(1) - إنجيل مرقس، إصحاح 9: 42-48.

(2) - للتفصيل أنظر، إنجيل لوقا، إصحاح 16: 19 وما بعدها.

(3) - جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، ص 611-613.

(4) - أحمد حجازي السقا: الشفاعة بين المسلمين وأهل الكتاب، ص 63.

(5) - سفر إشعيا، إصحاح 52: 13-15، و الإصحاح 53: 11-12.

ولما كانت النبوة لا تنطبق على المسيح ﷺ بل تنطبق على محمد ﷺ كما سنبين، طبقوها عليه في مجيئه الثاني وأنه سيشفع للمذنبين يوم القيامة في إبعاد المستحقين للنار عنها، مع أنهم يقولون بأن شفاعته في الحياة الدنيا لا في الآخرة، وهذا يكشف مدى التناقض الصريح بين المسيحيين فيما يخص شفاعته المسيح ﷺ<sup>(1)</sup>.

إن نبوءة العبد المتألم الواردة في سفر إشعيا هي لنبينا محمد ﷺ، ويتأكد ذلك من خلال الصفات الواردة في النص التي تنطبق عليه، فوصفه بلقب "العبد المتألم" من إعراض الناس عن دعوته<sup>(2)</sup>: "هَا عَبْدِي يَنْتَصِرُ. يَتَعَالَى وَيَرْتَفِعُ وَيَتَسَامَى جِدًّا. 14 كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ دُهَشُوا مِنْهُ، كَيْفَ تَشَوُّهُ مَنْظَرُهُ كَانْسَانَ وَهَيْئَتُهُ كَبَنِي الْبَشَرِ. 15 وَالْآنَ تَعْجَبُ مِنْهُ أُمَّمٌ كَثِيرَةٌ وَيَسُدُّ الْمُلُوكُ أَفْوَاهَهُمْ فِي حَضْرَتِهِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ غَيْرَ مَا أُخْبِرُوا بِهِ وَيُنْشَاهِدُونَ غَيْرَ مَا سَمِعُوهُ".

فالله تعالى يصف محمداً ﷺ بالعقل والحكمة والعلو والارتقاء والتسامي؛ بسبب أنه سيحارب أما وسيملك على بلادها، وأنه سيستمر دينه إلى ما لانهاية، وهذا مما يدهش الكثير من العقلاء من انتشار دينه في فترة وجيزة من الزمان إلى بلاد أمم كثيرة، كما وضحت التوراة أن هذا النبي سيكون من المحاربين الظافرين، وسيكون له نصيب وافرا من الغنائم، لأن الله معه وانتصاره العظيم لن يصدقه الناس إلا بعد وقوعه، وعبر عنه باستعلان ذراع الرب عن وقوع هذا الانتصار ودوامه<sup>(3)</sup>.

إن النبوءة التي تكلمت عن نبي سيأتي ليفتح بلادا وينشر ديناً، ويقسم غنائم وينتصر في حروبه، وكل ذلك يكون في الحياة الدنيا، لا تنطبق على المسيح، لأن دعوته كانت سلمية لقول المسيح<sup>(4)</sup>: "17 فَقَالَ لَهُمْ: "إِدْفَعُوا إِلَى الْفَيْصَرِ مَا لِلْفَيْصَرِ، وَإِلَى اللَّهِ مَا لِلَّهِ". فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ."<sup>(5)</sup>.

كما أن المسيح ﷺ قد صرح بنفي الشفاعته عن العصاة من بني إسرائيل يوم القيامة بقوله: "36 أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ كَلِمَةٍ فَارِغَةٍ يَقُولُهَا النَّاسُ يُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الدِّينِ. 37 لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تُبَرِّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ"<sup>(6)</sup>.

لقد صرح بولس أيضا بنفي الشفاعته في الآخرة، في قوله: "9 وَالْوَيْلُ وَالْعَذَابُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ يَعْمَلُ

(1) - أحمد حجازي السقا: الشفاعته بين المسلمين وأهل الكتاب، ص 63-64.

(2) - المرجع نفسه، ص 64.

(3) - المرجع نفسه، ص 65.

(4) - المرجع نفسه، ص 65.

(5) - إنجيل مرقس، إصحاح 12: 17.

(6) - إنجيل متى، إصحاح 12: 36-37.

الشَّرِّ مِنَ الْيَهُودِ أَوْلَا ثُمَّ الْيُونَانِيِّينَ،<sup>10</sup> وَالْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالسَّلَامُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ مِنَ الْيَهُودِ أَوْلَا ثُمَّ الْيُونَانِيِّينَ." (1).

من هنا يتأكد لنا محاولات المسيحيين إثبات شفاعة المسيح في نبوءة العبد المتألم لإبعادها عن محمد ﷺ، وإذا كانت النبوءة لا تنطبق على المسيح ﷺ فهي ليست له، سواء كانت في الدنيا أو الآخرة (2). مما سبق يتبين لنا بأن شفاعة المسيح عند المسيحيين لها من صفة الديمومة ما يجعل لها الاستمرارية إلى الأبد، غير أن هذه الأبدية لا تعني استمرارها إلى اليوم الآخر، لأن فعاليتها تكون في الحياة الدنيا، على أساس أن الخطاة بدخولهم النار لا يخرجون منها، إضافة إلى كونها دائمة فهي شفاعة فعالة، وهذا ما سنتطرق له العنصر الموالي.

#### خامسا: شفاعة فعالة

لقد ذكر علماء اللاهوت المسيحي صفة أخرى لشفاعة المسيح وهي صفة الفعالية، ولهذا فهي محل ثقة قوية وأمل من شعب الرب، بسبب كفاءته في الدفاع عن قضايا شعبه في السماء، بناء على كونه الكاهن الأعظم الذي يقوم بتحصيل القبول لهم، وربوبيته الخالدة هي التي تعطي القيمة والفعالية المطلوبة لشفاعته، وعندما يقدم مطالبه يتكلم بكل قوة وسلطة، ففي آخر صلاة له على الأرض كان يدعو الآب أن يمنحه كامل السلطة في السماء (3).

فقوة شفاعة المسيح بحسب الاعتقاد المسيحي مبنية على عمل الكفارة، الذي يعد أساس دفاعه عن شعبه في السماء، فهو لا يشفع بوصفه إنسانا بل بوصفه وسيطا، والذي يجعل طلباته أمام العرش مقبولة ليس بشروط العهد فقط، بل أيضا الشرف والسلطة التي أعطيت له في السماء (4)، ومن الاعتبارات التي تظهر فعالية شفاعة المسيح طبيعته اللاهوتية فهو يساوي الآب، والرب يحل فيه، لذلك فإنه لا يمكن أن يرد له طلب أو التماس، فطبيعته الإلهية كانت المذبح الذي قدم عليه توضيحته العظيمة وجعلها ذات قيمة خالدة تعطي الفعالية لشفاعته (5).

(1) - رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 2: 9-10.

(2) - أحمد حجازي السقا: الشفاعة بين المسلمين وأهل الكتاب، ص 74.

(3) - Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p 106-107.

(4) - **Ibid, op, cit**, p 65.

(5) - **Ibid, op, cit**, p109-110.

ومن الأمور التي جعلت شفاعة المسيح فعالة؛ هو العلاقة الحميمة التي تربطه مع المشفوع عنده الآب، وهذا مناسب لضمان نجاح شفاعته لأنه محبوب عند الرب وابنه الوحيد والكاهن الأعظم في السماء<sup>(1)</sup>: "28 وَشَرِيْعَةُ مُوسَى تُقِيمُ مِنَ الْبَشَرِ الضُّعْفَاءِ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ، أَمَّا كَلَامُ الْقَسَمِ بَعْدَ الشَّرِيْعَةِ فَيُقِيمُ الْآبْنَ الَّذِي جُعِلَ كَامِلًا إِلَى الْآبِدِ." (2)

ما تقدم يتبين بأن عقيدة المسحيين في شفاعة المسيح، مبنية كلياً على كفارته التي قدمها على الأرض فداء للبشر، ومنها اكتسبت جميع خصائصها؛ فكانت كفارية في طبيعتها وعلى أساس ذلك اتسمت بالرحمة، لرحمة المسيح الدنيوية بالخلاص الذي قدمه لهم، كما أنها شفاعة دائمة لأن المسيح هو ذبيحة أبدية عن العالم التي لا تتكرر، وهي شفاعة فعالة لأنها مبنية على عمل الكفارة التي أعطت بدورها لعمل المسيح الشفاعي صفة الاستحقاق، إضافة إلى ذلك طبيعة المسيح اللاهوتية هي التي أظهرت فعالية شفاعته في السماء، فالعقائد المسيحية بكاملها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكفارة بل هي التي تشكل محور العقائد كلها عندهم.

إن عقيدة الكفارة التي تأسست على أساسها شفاعة المسيح، من العقائد التي تعرضت إلى الكثير من الانتقادات، وبهدم الأساس يتهدم ما بني عليه، لأن هذه العقيدة تعارض منطق العقل؛ إذ لا يعقل أن يتحمل إنسان ذنوب وأخطاء غيره هذا من جهة، كما أن وسائل التكفير عن الخطايا كثيرة كالتوبة والاستغفار مثلاً أو الصدقة والعمل الصالح، كما أن نظام تقديم الأضاحي أيضاً يعد من أنواع التقرب إلى الله لمغفرة الخطايا، ولا يزال قائماً في الديانات السماوية كاليهودية والإسلام.

كما جاء في الكتاب المقدس ما يؤكد أن هناك وسائل عديدة لخلاص الإنسان من خطاياها، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، منها ما جاء في الإنجيل ما يفيد أن التوبة مقبولة عند الله كوسيلة من وسائل الخلاص من الذنوب والخطايا: "هَكَذَا يَكُونُ الْفَرَحُ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاجِدٍ يَتُوبُ"<sup>(3)</sup>.

كما وعد الله التائبين بالقبول في العهد القديم ما نصه: "21 الشَّرِيرُ الَّذِي يَتُوبُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ، وَيَعْمَلُ بِجَمِيعِ فَرَائِضِي وَيَحْكُمُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَهُوَ يَحْيَا وَلَا يَمُوتُ." 22 جَمِيعُ مَعَاصِيهِ

(1)- Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p110.

(2)- الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 7: 28.

(3)- إنجيل لوقا، إصحاح 15: 7.

الَّتِي فَعَلَهَا لَا تُذَكَّرُ لَهُ، بِسَبَبِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ يَحْيَا. <sup>23</sup>أَبْمَوْتِ الشَّرِيرِ يَكُونُ سُرُورِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، كَلَّا بَلْ بِتَوْبَتِهِ عَنِ شَرِّهِ فَيَحْيَا"<sup>(1)</sup>.

فإضافة إلى التوبة هناك أيضا الصدقة التي تعد من الوسائل التي تزيل الخطايا وتطهر الإنسان من الذنوب: "لِأَنَّ الصَّدَقَةَ تُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ وَتَمْحُو الْخَطَايَا وَتُطِيلُ حَيَاةَ فَاعِلِهَا"<sup>(2)</sup>.

أما بالنسبة لخطية آدم التي يبرر المسيحيون لزوم كفارة المسيح لمحوها، فالقرآن الكريم أكد أن الله عَلَّمَ قد قبل توبة آدم وندمه في قوله: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَنَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿٣٢﴾" ٣١، ضف إلى ذلك فإن الصلب الذي يقره المسيحيون وبينون عليه الكفارة وشفاعة المسيح وكل عقائدهم قد تأكد عدم ثبوته بل رفعه الله، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ ﴾<sup>(4)</sup>، وبانتفاء صلب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ تنتفي شفاعته التي تأسست عليه.

#### المطلب الرابع: حدود شفاعة المسيح.

بعدما تحدثنا عن طبيعة شفاعة المسيح وأهم خصائصها، نأتي في هذا المطلب لنبين حدود شفاعة المسيح من حيث كونها عامة أو خاصة.

إن بعض اللوثرين الذين كتبوا في هذا الموضوع يرون أن شفاعة المسيح تنقسم إلى نوعين: أحدهما عامة لجميع الناس، والثانية خاصة بكنيسة المفديين<sup>(5)</sup>.

وقد بني هذا التقسيم على أساس اعتقاد الكنيسة في الكفارة، والذي ينقسم بدوره إلى رأيين:

(1) - سفر حزقيال، إصحاح 18: 21-23.

(2) - سفر طوبيا، إصحاح 12: 9.

(3) - سورة طه، الآية 121-122.

(4) - سورة النساء، الآية 157.

(5) - Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p67.

**الرأي الأول:** الذي يقول أصحابه بأن الكفارة للعالم كله، مختارين ومرذولين، ويمثل هذا الاتجاه كل من القديس أنثاسيوس<sup>(1)</sup>، القديس كيرلس<sup>(2)</sup>، القديس باسيليوس<sup>(3)</sup> والقديس يوحنا الذهبي الفم<sup>(4)</sup>.

**الرأي الثاني:** الذي يقول أصحابه بأن الكفارة للمختارين فقط، وأن الله عين بعضا للتوبة والخلص، وترك غيرهم لحرمتهم ليهلكوا، وأن عدد كل من الفريقين معين وثابت ولا يتغير حسب الظروف، وأنه لا يمكن للمختار أن يسقط ولا للمتروك أن يتم اختياره، ويمثل هذا الرأي القديس أوغسطينوس<sup>(5)</sup>.

لقد رجح القمص ميخائيل مينا الرأي الأول على أنه الأحق والأصدق الذي يجب الأخذ به<sup>(6)</sup>.

والذين يعتقدون بعموم الكفارة، وأن المسيح مات لأجل الجميع، وأن شفاعة المخلص هي شفاعة عامة، يستدلون على ذلك بما جاء في الكتاب المقدس: "يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهذه الأُمُورِ لِنَلَّا تَخْطُوا. وَإِنْ خَطِي أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا، لَا لِخَطَايَانَا وَحْدَهَا، بَلْ لِخَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ."<sup>(7)</sup>.

يفسر أصحاب هذا الرأي النص السابق على أن؛ ما قام به المسيح لم يكن من أجل المسيحيين فقط، بل من أجل العالم بأسره، فشفاعة المخلص لها إشارة إلى أولئك الذين هم ليسوا قديسين ولا هم

(1) - أنثاسيوس: ولد في صعيد مصر، حوالي 297م، اهتم بالدراسات الإنجيلية اللاهوتية، شارك في مجمع نيقية وكان ضد الأريوسين سيم بابا الإسكندرية وهو في الثلاثين من عمره، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها - حرف أ-، (الإسكندرية: كنيسة الشهيد مار جرجس، دت)، ص 104 .

(2) - كيرلس: الملقب بعمود الدين، ولد ما بين 375-380م، درس اللاهوت والفلسفة، أحد الآباء اللاهوتيين البارزين، قاد إلى الجمع المسكوني الثاني في أفسس عام 431م، سيم بابا الإسكندرية، توفي سنة 444م، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: المصدر السابق - حرف ك-، ص 291-292.

(3) - باسيليوس: ولد في الكابدوك عام 329م، درس البيان والفلسفة، كان ناسكا سيم رئيس أساقفة، كتب في العقيدة والتفسير والنسك... إلخ، توفي سنة 379م، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: المصدر السابق - حرف ب-، ص 34 ما بعدها.

(4) - يوحنا الذهبي الفم: ولد بأنطاكية نحو 344م، عاش حياة الرهبنة، وعين شماسا بعدها، رسم أسقفا للقسطنطينية ومات ببلدة يقال لها كومانا سنة 407م، له عدة كتب في الدين، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: المصدر السابق - حرف ي-، ص 255 وما بعدها.

(5) - أوغسطينوس: ولد عام 354م بتاجست درس البيان، رسم كاهنا على إيونا، وبعدها أسقفا كتب في التاريخ والفلسفة والتفسير والنسك وغيرها توفي سنة 430م. أنظر، تادرس يعقوب ملطي: المصدر السابق - حرف أ-، ص 221 وما بعدها.

(6) - ميخائيل مينا: موسوعة علم اللاهوت، تعليق وتنسيق: ميخائيل مكسي إسكندر، (القاهرة: طبع بشركة هارموني، 2002)، ص 313.

(7) - رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1-2.



من الكنيسة المرئية على الأرض، وكجائزة لعمل الخلاص الذي قام به، فإن العالم وما يرتبط به جميعا يقعون في مجال وساطة المخلص المرفوع إلى السماء<sup>(1)</sup>. غير أن هذا العموم للشفاعة مخصوص بالمؤمنين، لأن الخلاص لا يرتبط بإرادة الفادي وحده بل بإرادة الناس أيضا لذا يخلص البعض ويهلك غيرهم بحريتهم وليس لعدم وجود كفارة لهم، بل لرفض الإيمان ووسائل الخلاص<sup>(2)</sup>.

إن الإيمان عند غالبية المسيحيين هو الخطوة الأولى في الخلاص، ومع ذلك فليس الإيمان وحده هو الذي يخلص الإنسان، فالخلاص عمل مشترك بين الإنسان وبين الله، ودور الإنسان هو أن يؤمن ثم يطلب الخلاص ويسعى إليه، فالإيمان يؤهل الإنسان للخلاص، والإيمان ليس هو الذي يخلص، وإنما يعمل على إزالة العائق الذي يمنع الإنسان من قبول عمل الروح القدس فيه، فيؤهله لقبول خلاص المسيح الذي يتم في سر المعمودية كخطوة ثانية بعد الإيمان، وما بعد المعمودية من جهاد وأعمال صالحة<sup>(3)</sup>.

أما الأشخاص الذين يتولى المسيح الدفاع عنهم حسب ما ذكره توماس هاوسطن أمام الآب، هم الأشخاص الذين وردت الإشارة إليهم في الكتاب المقدس بالأوصاف والأحوال، إنهم الأشخاص المختارين القديسين الذين جاءوا إلى الرب عن طريق المسيح، وعندما يتم النظر إلى هؤلاء الأشخاص وفق منطق الإيمان يظهر أن شفاعة المسيح محدودة وليست عامة<sup>(4)</sup>.

وأما دعاء المسيح لقتلته عندما كانوا يثبتونه على الصليب، وهو يقول: " 34 فَقَالَ يَسُوعُ: اغْفِرْ لَهُمْ يَا أَبِي، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا يَعْمَلُونَ. وَاقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا."<sup>(5)</sup>، فهم يفسرونه على أن ذلك له أثر في مستقبل تنصرهم، فالمسيح عندما يدعو ويأمر بعدم إهلاك أولئك الأقوام الذين لم يتنصروا، فإنه يهدف من ذلك إلى حفظ ذريتهم التي تأتي من أصلابهم في المستقبل، وتنصر وتتبع المسيح، ومن ثم فشفاعة المسيح تعرض وتعطي لهم وهم لم يولدوا بعد، ولذلك فإن شفاعة المسيح للعالم يقصد منها حفظ من سيأتي من أولئك الناس، ويتنصروا في المستقبل ويصبحوا من أتباع الكنيسة<sup>(6)</sup>.

(1)- Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p 68.

(2)- ميخائيل مينا: موسوعة علم اللاهوت، ص 313.

(3)- غريغوريوس: الموسوعة، ص 2835-2836.

(4)- Thomas Houston : **op. cit**, p 68.

(5)- إنجيل لوقا، إصحاح 23: 34.

(6)- Thomas Houston : **op. cit**, p 69.

إن شفاعة المسيح في اللاهوت المسيحي بمعناها الدقيق، تتم فقط لأولئك الذين أعطوا له في العهد، وسيحضرهم معه ليشهدوا مجده، فهو نفسه أعلن صراحة: "أَنَا أُصَلِّي لِأَجْلِهِمْ، وَلَا أُصَلِّي لِأَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ لِأَجْلِ مَنْ وَهَبْتُهُمْ لِي لِأَنَّهُمْ لَكَ."<sup>(1)</sup>، فكلمات المسيح المستعملة ليست الرجاء، ولكن طلب من له سلطة وحق يطالب به، والطبقة التي يشفع لها تقدم على أنها متميزة عن غيرها، فهو يدعو لجماعته التي أعطيت له وضحي بحياته من أجلها، وهم وحدهم الذين يتمتعون بشفاعته<sup>(2)</sup>.

ويعتقد المسيحيون بأن سؤال المسيح للمؤمنين فقط، وليس من أجل غير المؤمنين الذين لا يزالون يحيون في شرهم فهؤلاء من يسميهم العالم؛ فالمسيح حقاً مات من أجل كل العالم، ولكن ليس كل العالم قد تمتع بالغفران، لأن شرط نيل شفاعته هو الإيمان، لأن صلواته هذه مكتملة لصلواته على عود الصليب في أن يقبل كفارته فلقد قدم حياته مبدولة من أجل العالم كله، لكنه إذ يشفع بدمه إنما يقدم الذين قبلوه ويؤمنون به في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة فشفاعة المسيح تقدم بشكل مستمر لأولئك الذين كانوا والموجودون حالياً والذين سيأتون في المستقبل، كلهم يتوحدون فيه بالإيمان<sup>(3)</sup>.

ويبين توماس هاوسطن انحصار شفاعة المخلص في هؤلاء القوم الذين أنقذهم واضحة في اعتبارات كثيرة؛ لأن العهد الذي تم بموجبه اختيارهم ومنحهم للوسيط يضمن لهم الخلاص في النهاية، وهذا الخلاص الذي اشتراه المسيح بحياته لا يمكن تفعيله إلا بصلوات المخلص وعمله الكهنوتي في مجده، إن منصبه بوصفه كاهنهم الأعظم يتطلب أولاً أن لا يشفع إلا لأولئك الذين يقبلون به كاهنهم الوحيد<sup>(4)</sup>.

وعليه فشفاعة المسيح لا تشمل غير المؤمنين به لرفضهم عمله فيهم، وأما المؤمنون به فيعطيهم أكثر من الخلاص، بل يشفع لهم لينالوا مجداً أكثر في الآخرة، وذلك لأنهم اجتهدوا وعملوا في حياتهم أكثر، وبتمسكهم وحفظهم لوصايا الرب وتنفيذها هو ما جعلهم يحضون بشفاعة خاصة بأن يأخذوا مجداً أكثر<sup>(5)</sup>.

(1) - إنجيل يوحنا، إصحاح 17: 9.

(2) - Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p70.

(3) - هل قول المسيح من أجلهم أسأل يدل أن المسيح ليس شفيع العالم؟، مقال منشور بموقع الدكتور غالي المعروف باسم هولي بايل، بتاريخ 2012/03/14 [drghaly.com/articles/display/11492](http://drghaly.com/articles/display/11492) تم التصفح يوم 2016/07/15. أنظر أيضاً، مرقس رينسفورد: المسيح يصلي من أجل خاصته، ص35.

(4) - Thomas Houston : **op. cit**, p70.

(5) - هل قول المسيح من أجلهم أسأل يدل أن المسيح ليس شفيع العالم؟، المرجع السابق.

يذكر اللاهوت المسيحي بأن نصوص الكتاب المقدس، تشير إلى أن شفاعة المسيح لا تكون لأجل الجميع، وإنما من أجل أتباعه: "27 خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا، وَهِيَ تَتَّبَعُنِي. 28 أُعْطِيهَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، فَلَا تَهْلِكُ أَبَدًا وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنِّي." (1)، وذلك بتولي المسيح الدفاع عن القضايا الخاصة بهم، ويدعو لكل واحد منهم شخصيا أمام العرش، فيذكرهم بأسمائهم ويعطي لكل واحد منهم الحياة الخالدة فلا أحد منهم يهلك، فيصلي لكل القديسين في كل الظروف والأحوال (2)؛ ويتم ذلك من خلال عمله الكهنوتي في السماء، حيث تكون أولا لرسله ثم لجميع من آمن به من خلال الإنجيل، فالمسيح الكاهن الأعظم في صلاته، يصلي أولا لنفسه حتى يتمجد ويمجد الآب، ثم بعد ذلك يدعو لرسله، ويدعو للدعاة إليه في المستقبل بالبركات التي يحتاجون إليها، فيدعو لتبويرهم ولحفظهم من خلال اسمه لتمجيدهم في الدنيا والآخرة (3).

كما يستدل القائلين بأن شفاعة المسيح خاصة بالمؤمنين بما جاء في الإنجيل أيضا: "25 وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ يَنْقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ خَلَاصًا تَامًّا، لِأَنَّهُ حَيٌّ بَاقٍ لِيَشْفَعَ لَهُمْ." (4) يرى توماس هاوسطن من خلال هذا النص، أن عبارة "الَّذِينَ يَنْقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ" وفي ترجمات أخرى "يتقدمون به إلى الله"، التي جاءت على قصرها؛ تعرض بصورة شاملة خصائص وإطار أولئك الذين يملكون نصيبا من شفاعة المنقذ، وتعلن في الوقت نفسه أن خلاصهم تام وأكيد، وذلك لأنهم وثقوا في عمله ومنصبه وتبرؤوا من الاعتماد على أنفسهم، أو أي مخلوق، لأنهم من خلال إيمانهم بالوسيط وبالروح القدس وصلوا إلى الآب.

كما يفسر توماس هاوسطن عبارة "القادمون إلى الله" في نصوص الكتاب المقدس، بأنها تعني العبادة الدينية من خلال طاعة الإنجيل، لذلك فإن أولئك الذين يؤمنون بالمسيح ويعبدون الرب يدعو دائما من أجلهم ويحصل على القبول لعبادتهم ويشفع لأولئك الذين يأتون إلى الرب من خلاله ويحقق لهم أقصى درجات الحفظ من أعظم الذنوب في الحالات الصعبة على أكمل وجه إلى الأبد وعمله هذا، يكون له تأثير قوي في جعل أتباعه يلجئون إلى الرب من خلال المسيح باستمرار (5).

(1) - إنجيل يوحنا، إصحاح 10: 27-28.

(2) - Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p71.

(3) - **Ibid, op. cit**, p71.

(4) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 7: 25.

(5) - Thomas Houston : **op. cit**, p76.

بهذا تكون شفاعة المسيح عند المسيحيين خاصة بالمؤمنين به، مخلصا لهم، كما تكون أيضا للقديسين والمصلين (المكثيرين من الصلاة)، فالمسيح يصلي لأجلهم بصورة مستمرة، ذلك لأن القديسين في حياتهم الدنيا ناقصين، وهم معرضون للذنوب والخطايا كغيرهم، فلا بد لهم من كاهن عظيم يشفع لهم، كي تلقى أعمالهم القبول عند الله، ويكونون من المقبولين، وذلك بخلط أعمالهم ببخوره وعطره ليجعلها مقبولة، وهذا يشبه ما كان عند اليهود<sup>(1)</sup>.

إن المسيحيين يعتقدون بأن شفاعة المسيح منحت للقديسين طريقا آمنا للدخول إلى السماء، لأن الخلاص النهائي والكمال للمفدين يكون عن طريق شفاعة الفادي المسيح، واستحقاق قبول القديسين في عالم المجد تحقق بموت المخلص، ومن خلال شفاعته المستمرة المقبولة لدى العرش واستمرار القديسين في المجد والزيادة الدائمة لسعادتهم في الآخرة مضمونة بالشفاعة الدائمة للمخلص التي تضمن لهم دوام حال الفلاح والسعادة<sup>(2)</sup>. كما تمنح شفاعة المسيح للقديسين أيضا، التطهير الكامل ويشتركون في السعادة بمختلف درجاتها، إلى أن يصلوا إلى أعلى من مرتبة الملائكة حول العرش، فهم يستمرون في زيادة مشابعتهم للرب دون الوصول إلى الكمال المطلق الخاص به<sup>(3)</sup>.

ففقيدة المسيحيين في شفاعة المسيح لا تكون فقط للرسل والقديسين بتمجيدهم أكثر، بل تكون أيضا للمخطئين وهم الأشخاص الذين حددهم الكتاب المقدس ممن يستحقون الشفاعة، وقد جاء وصفهم بالمدننين في روايات، وبالعصاة في: "لِذَلِكَ أُعْطِيَهِ نَصِيبًا مَعَ الْعُظَمَاءِ وَغَنِيمَةً مَعَ الْجَبَابِرَةِ. بَدَلًا لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ الْعُصَاةِ، وَهُوَ الَّذِي شَفَعَ فِيهِمْ وَحَمَلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ."<sup>(4)</sup>

وما جاء أيضا في: "6وَأَمَّا كُنَّا ضِعَفَاءَ، مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِ الْخَاطِئِينَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ. 7وَقَلَّمَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ إِنْسَانٍ بَارٍّ، أَمَّا مِنْ أَجْلِ إِنْسَانٍ صَالِحٍ، فَرُبَّمَا جَرُّوْ أَحَدٌ أَنْ يَمُوتَ. 8وَلَكِنَّ اللَّهَ بَرَهَنَ عَنْ مَحَبَّتِهِ لَنَا بِأَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِنَا وَنَحْنُ بَعْدُ خَاطِئُونَ. 9فَكَمْ بِالْأُولَى الْآنَ بَعْدَمَا تَبَرَّرْنَا بِدَمِهِ أَنْ نَخْلُصُ بِهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ."<sup>(5)</sup>

(1) - Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p91.

(2)- **Ibid, op, cit**, p 99.

(3)- **Ibid, op, cit**, p 100.

(4)- سفر إشعيا، إصحاح 53 : 12.

(5)- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 5 : 6-9.

وعليه تقوم عقيدة المسيحيين في الشفاعة للعصاة على طلب المسيح العفو والتجاوز عن ذنوبهم، حيث وصفهم بأنهم المخطئين الذي مات بإراقه دمه على الصليب لأجلهم، وللحصول على تبرئة شعبه من الخطايا، ولما كان الإنسان ليس بمصروف بصفة كاملة عن ارتكاب المعاصي كان لا بد من الرجوع إلى المحامي الرباني باستمرار وهو الذي يلتمس العفو بناء على التضحية التي قدمها من قبل العدالة الربانية من أجل التكفير عن خطايا المذنبين<sup>(1)</sup>. ويستدلون على ذلك بما جاء في الإنجيل: "يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بهذه الأمور لئلا تخطئوا. وَإِنْ خَطِيئَةٌ أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ،"<sup>(2)</sup>. لهذا فالتبرئة الإلهية للمذنبين حسب ما بيّنه اللاهوتيون المسيحيون هي ثمرة عمل المخلص بوصفه المدافع عن شعبه والشفيع لهم، وهذا العفو والتبرئة يتحصل عليها المسيح بشفاعته في السماء، بوصفه القاضي والمحامي الذي يستعمل طاعته وموته حجة للدفاع عن شعبه، وإعطائهم بدلا من ذلك العفو والقبول<sup>(3)</sup>.

بناء على ما سبق يتبين بأن شفاعة المسيح عند المسيحيين أكثر من مجرد الصلاة، لأنها تتضمن الدفاع عن قضية الذين تشملهم هذه الشفاعة، التي تقوم على أساس عمله الكفاري الذي قام به على الصليب، هذه التضحية هي التي أهلته للخدمة الشفاعة في السماء، وهي من الشفاعات المتفق عليها بين الطوائف المسيحية، لها العديد من الخصائص التي ميزتها عن باقي الشفاعات الأخرى لارتباطها بالمسيح، فلها ميزة التكفير والفعالية والديمومة التي أعطتها صفة الأزلية، كما أنها مؤسسة على الرحمة والبر، هذا ولم تأت شفاعة المسيح على إطلاقها، بل جاءت محدودة بتخصيصها للمؤمنين سواء أكانوا قديسين بزيادة درجاتهم أو عصاة مخطئين فهي ليست عامة لكل العالم.

(1)- Thomas Houston : **The intercession of Christ**, p 87.

(2)- رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1.

(3)- Thomas Houston : **op. cit**, p 85.

## المبحث الثاني: الشفاعة النيابية

### المطلب الأول: مفهوم الشفاعة النيابية

المقصود بالشفاعة النيابية شفاعة الروح القدس، وهي الشفاعة التي يقوم بها الروح القدس في القلوب، وسميت بالنيابية لأن الروح القدس ينوب عن المسيح في أداء الشفاعة على الأرض. وقبل أن نتناول ذلك بالمبحث نعرف أولاً بالروح القدس.

### أولاً: تعريف الروح القدس

#### 1- في اللغة

**الروح:** في العبرية من فعل بمعنى "تنفس" أو "نفخ"، وقد ترجمت إلى "نسمة ريح"، وكذلك إلى "ريح" في بعض نصوص الكتاب المقدس، والكلمة المقابلة لها في اليونانية هي "نيوما"، ترجمت "نفخة" وإلى "ريح" في بعض نصوص الكتاب المقدس، ولكنها في غالبية المواضع ترجمت إلى "روح"<sup>(1)</sup>.

والروح لا صورة ولا حتى إسم يمكن أن يوحي بوجه إنساني، ففي جميع اللغات يعبر عنه باسم عام؛ ففي العبرية "روح"، وفي اليونانية "Pneuma"، وفي اللاتينية "Spritus"، وهو مقتبس من الظواهر الطبيعية كالريح والتنفس، والرموز الأساسية المشيرة إلى الروح هي النار والماء والهواء والريح، تنتمي إلى عالم الطبيعة ولا تتضمن ملامح متميزة، إنها تشير بصفة خاصة إلى حضور غامر، وإلى نمو لا يقاوم متجهها دوماً نحو العمق.

وتستعمل الكلمة دائماً للدلالة على العنصر الجوهري وغير المحسوس في كائن ما<sup>(2)</sup>.

**القدس:** من قدس يقديس، وهو يشتق من الفعل السامي "قوديش" الذي يعني الشيء المقدس، والقداسة من مصدر يفيد "القطع أو الفصل"، ويوحي بفكرة المنفصل عن الاستعمال العادي<sup>(3)</sup>.

وهي بمعنى الانفصال والطهارة، فتكون بذلك القداسة؛ الكمال والخلو من كل خطيئة والانفصال عن كل شر ونجاسة، وهي أساساً من صفات الله القدوس مصدر كل قداسة، وأكثر الكلمات المستخدمة

(1) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج4، ص 141.

(2) - قزافيي ليون ديفور: معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة: أنطونيوس نجيب وآخرون، ط6، (بيروت: دار المشرق، 2008)، ص384.

(3) - المصدر نفسه، ص619.

للتعبير عن القداسة في العهد الجديد هي "أجيوس" (Hagios) ومشتقاتها، وهي تعني "مقدسا" أو "قدوسا"، أما الفعل منها فهو "يقُدس" ويرد في العهد الجديد سبعا وعشرين مرة<sup>(1)</sup>.

وتؤكد قداسة "الروح القدس" بوصفه في غالبية الأحيان بأنه "الروح القدس" في كل من العهد القديم والعهد الجديد بهذا الاسم وذكره المتكرر بهذا الاسم تأكيد لقداسته وتفردده، وهو يشترك في القداسة والتفرد مع الله<sup>(2)</sup>.

وعند ربط الكلمتين "روح القدس" نجدتها قد وردت ثلاث مرات في العهد القديم، نذكر منها ما ورد في سفر المزامير: "13 لَا تَطْرَحْنِي مِنْ أَمَامِ وَجْهِكَ، وَلَا تَنْزِعْ رُوحَكَ الْقُدُّوسَ مِنِّي."<sup>(3)</sup>.

وعندما ربط العهد القديم اللفظين معا قصد بذلك الإشارة إلى روح الله<sup>(4)</sup>، ولم يظهر هذا بوضوح على أن الروح القدس أقنوم متميز عن الأب والإبن إلا على أساس أحداث التجسد، ويوم الخمسين بحلول الروح القدس على التلاميذ، ليملك معهم إلى الأبد ويسكن فيهم، وعليه شرعوا في الكرازة بالإنجيل وأدى هذا إلى تأسيس الكنيسة الجامعة<sup>(5)</sup>.

أما في العهد الجديد فقد ذكر "روح القدس" بصورة كثيرة مقارنة مع العهد القديم، فقد ذكر بهذا الاسم أكثر من إحدى وتسعين مرة، أما في العهد القديم فيذكر عادة باسم "الروح"، "روح الرب" أو "روح الله"، ولم يذكره على أنه أقنوم أو أحد الأقانيم الثلاثة<sup>(6)</sup>.

وكما ورد الروح القدس في الإنجيل بهذا الاسم مرات عديدة، فقد جاء بعضها باسم "البارقليط" بمعنى المعزي، حيث جاء في إنجيل يوحنا ما نصه: "26 وَلَكِنَّ الْمُعْزِي، وَهُوَ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ الَّذِي يُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، سَيَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَجْعَلُكُمْ تَتَذَكَّرُونَ كُلَّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ."<sup>(7)</sup>.

(1) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص191، 188.

(2) - المصدر نفسه، ص193.

(3) - سفر المزامير، إصحاح 51: 13.

(4) - جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، (بيروت: المطبعة الأميركية، 1894)، ج1، ص497، أنظر أيضا، صموئيل حبيب وآخرون: المصدر السابق، ج6، ص193.

(5) - صموئيل حبيب وآخرون: المصدر السابق، ج6، ص193.

(6) - المصدر نفسه، ج6، ص147، 143.

(7) - إنجيل يوحنا، إصحاح 14: 26.

## 2- الروح القدس في اصطلاح الكنيسة

الروح القدس في اصطلاح الكنيسة لفظ مخصوص للدلالة على واحد من الأقانيم الثلاثة<sup>(1)</sup>، وتجمع الكنائس المسيحية على الإيمان بأن الروح القدس هو الأبنوم الثالث في أقانيم الألوهية، وهو مساو للآب والابن في الذات والجوهر والطبع وكل كمالات الله<sup>(2)</sup>.

فعمل الروح القدس في العقيدة المسيحية لا يكون منفصلا عن عمل الآب أو الابن حتى وإن نسب لكل أقنوم عمله، ولذلك يقول القديس أمبروسوس<sup>(3)</sup>: "عمل أي أقنوم ليس قبل ولا بعد عمل الأبنوم الآخر، بل عمل واحد للثالوث، ولذلك السبب عينه يقول الابن أنه لا يقدر أن يعمل شيئا من ذاته لأن عمله لا يمكن فصله عن عمل الآب، وبنفس الطريقة لا يمكن فصل عمل الروح القدس لأن ما يعمله الروح القدس هو ما يسمعه من الآب، هو يعلنه ويتكلم به"<sup>(4)</sup>.

يقوم الاعتقاد المسيحي في الروح القدس، بأن الذي وعد بإرساله هو المسيح ليكون معزيا وشفيعا، فهو الفاعل العظيم في تعليمه وإرشاده وإنارة ذهنه لمعرفة الحق الإلهي، فالروح القدس كائن ممتاز في الأبنومية والصفات الذاتية، وذلك بدليل الأعمال التي تنسب إليه وعملها بنفسه؛ كالأمر، النهي، المنح، المنع، الإرسال، الإرشاد وما إلى ذلك من الأفعال التي تدل على أنه أقنوم ذو مشيئة واختيار وقدرة<sup>(5)</sup>. وعليه فالروح القدس هو المعزي، المعين والمرشد، وهو الذي يشفع في الصلوات<sup>(6)</sup>.

### ثانيا: تعريف شفاعة الروح القدس

جاء تعريفها في قاموس الكتاب المقدس، بأنها: "سطوة الروح القدس في قلوبنا، بحيث نتعلم، نسترشد ونقدر على إنشاء العواطف المقدسة، التي يقبلها الله لسبب وساطة من يجيأ ليشفع

(1) - توما الاكوبي: الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: الخوري بولس عواد، (بيروت: المطبعة الأدبية، 1881)، ج1، ص433.

(2) - ميخائيل مينا: موسوعة علم اللاهوت، ص124.

(3) - أمبروسوس: ولد عام 349م، حكم ميلان وتقلد الأسقفية بما كان من المعارضين للأريوسية، له كتابات عقديّة، تفسيرية،

نسكية، أخلاقية، عظات ورسائل، توفي عام 397م، تادرس يعقوب ملطي: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها - حرف أ-، ص305 وما بعدها.

(4) - هرمينا البرموسي: الروح القدس رؤية كتابية، مراجعة: أنبا ايسيدورس، ط1، (القاهرة: مطبعة الدلتا، 2009)، ص30.

(5) - ميخائيل مينا: المصدر السابق، ص124.

(6) - بيشوي حلمي: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص380.



فينا"<sup>(1)</sup>.

كما جاء تسمية الروح القدس بالبارقليط؛ والمعنى العام للكلمة يعبر عن وظيفة الروح القدس، فبعد صعود المسيح إلى السماء أصبح الروح القدس مكانه، ليكون هو المؤيد والمدافع والمعزي، فالمسيحيون يعتقدون بأنه قائدهم الذي يقودهم إلى المعرفة العميقة بالإنجيل، والتكريز به (التنصير به) وإعطائهم المعونة والقوة اللازمة للقيام بهذا العمل، وهذا ما يعطي المعنى النهائي للكلمة؛ التي ينحصر مفهومها في الشفاعة والعزاء ومنح القوة للآخرين، هو تعبير واضح لوظيفة هامة للروح القدس في حياة الإنسان، فالتشفع الذي اضطلع به الروح القدس عن الإنسان هو عزاءه له في محن الدنيا<sup>(2)</sup>.

ومن الأعمال التي تنسب أيضا للروح القدس عمله الشفاعي، وهو ما سنتطرق له في العنصر الموالي، ولكن قبل ذلك نتناول أولا إرسال الروح القدس.

### المطلب الثاني: منح الروح القدس الشفيع

لقد كانت علاقة البشر بالروح القدس في المسيحية، أثناء رسالة السيد المسيح على الأرض تتم عبر المسيح وفي المسيح، وبعد العنصرة<sup>(3)</sup> انعكس الأمر فأصبحت علاقة البشر مع المسيح لا تتم إلا بواسطة الروح القدس<sup>(4)</sup>.

لقد ذكر اللاهوت المسيحي أن المسيح كان يسكن بين تلاميذه بالجسد، ولما صعد إلى السماء وعدهم بأن لا يتركهم، بل سيحل فيهم بطريقة أخرى، وهذا بسكنى الروح القدس فيهم، فحضور الروح القدس في العهد القديم كان حضورا بواسطة عمله، أما في العهد الجديد فحضوره حضور شخصي، فالروح ليس غريبا عن الآب والابن؛ لأن روحهما الذي لا ينفصل عنهما حل على الكنيسة، ويسكن في نفوس أعضائها المؤمنين واهبا إياهم الشركة مع الله أبيهم<sup>(5)</sup>.

(1) - جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، مج 1، ص 622.

(2) - هرمينا البرموسي: الروح القدس رؤية كتابية، ص 87.

(3) - العنصرة: لفظ يدل على العيد الذي يحتفل به بعد الفصح بخمسين يوما، وقد تطور موضوع هذا العيد، كان أولا عيدا زراعيا ثم أخذ يعني فيما بعد ذكر حادث العهد التاريخي، وأخيرا أصبح عيد هبة الروح معلنا إنشاء العهد الجديد على الأرض. أنظر: قزافي ليون ديفور: معجم اللاهوت الكتابي، ص 568.

(4) - بول إقدوكيموف: الروح القدس في التراث الأرثوذكسي، ط 1، ترجمة: إلياس نعمة، وتقديم: جورج خضر، (بيروت: المكتبة البولسية، 1989)، ص 85.

(5) - هرمينا البرموسي: المصدر السابق، ص 163.

غير أنه لما ترك المسيح الأرض وصعد إلى السماء حسب ما يعتقد به المسيحيون، دخل مجده وقدم إلى تلاميذه المتألمين وعد الروح القدس، وعيَّنه عن طريق لقب "بارقليط"، وقد تكرر هذا الوعد أربع مرات، وفي واحدة من هذه نادى الروح بعبارة "المعزي"، التي تعبر عن العزاء الذي يدل على إحدى خدمات الروح في المؤمنين على الأرض<sup>(1)</sup>.

فالروح القدس على هذا الأساس هو المعزي الثاني، وتفسير ذلك أن الآب أرسل الابن، وهو الآن يرسل الروح القدس، لقد انتهت رسالة الابن فعاد لينزل الروح القدس شخصياً، فهو عزاء المؤمنين بعد غياب المسيح بالجسد يقف بجانبهم في حياتهم<sup>(2)</sup>.

ويذكر الإنجيل بأن مجيء الروح القدس هو الهدف الأساسي الذي بسببه جاء المسيح على الأرض: "صَدَّقُونِي، مِنْ الْخَيْرِ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ، فَإِنْ كُنْتُ لَا أَذْهَبُ لَا يَجِيئُكُمْ الْمَعْزِي. أَمَّا إِذَا ذَهَبْتُ فَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. <sup>8</sup>وَمَتَى جَاءَ وَبَخَّ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَالْبِرِّ وَالذَّيْنُونَةِ:"<sup>(3)</sup>، وما جاء أيضاً في إنجيل يوحنا: " <sup>16</sup>وَسَأَطْلُبُ مِنَ الْآبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ يَبْقَى مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ. <sup>17</sup>هُوَ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ. أَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ، لِأَنَّهُ يَقِيمُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ."<sup>(4)</sup>.

لقد فسر وليم باركلي هذا النص؛ على أن المسيح لا يتركهم بمفردهم في هذه الحياة بل سيرسل لهم البارقليط، الذي يقويهم ويشجعهم ويؤازرهم حتى يستطيعوا القيام بواجباتهم، وأن الروح القدس سوف يرشدهم إلى الحق، وينهض عزائمهم الفاترة المرتحية حتى يستطيعوا المكافحة في الجهاد الموضوع أمامهم في سبيل الحق، فكما كان يسوع يعزي ويساند تلاميذه عندما كان على الأرض، فكذلك يفعل الروح القدس، حيث يمكث معهم إلى الأبد ويقودهم إلى الحق<sup>(5)</sup>: " <sup>13</sup>فَمَتَى جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ أَرْشِدْكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِهِ ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ وَيُخْبِرُكُمْ بِمَا سَيَحْدُثُ."<sup>(6)</sup>.

فصعود المسيح في العقيدة المسيحية هو استدعاء للروح القدس في قمته، فالابن يسأل الآب أن يعطي الروح القدس ويتجاوب الآب مع الطلب ويرسل الروح ويكون حدث العنصرة وهذه الرؤية تحدد

(1)- James Bucherman: **The office of intercession**, p45.

(2)- بول إقدوكيموف: الروح القدس في التراث الأرثوذكسي، ص84.

(3)- إنجيل يوحنا، إصحاح 16: 7-8.

(4)- إنجيل يوحنا، إصحاح 14: 16-17.

(5)- ويليام باركلي: تفسير العهد الجديد شرح لبشارة يوحنا، ص335-336.

(6)- إنجيل يوحنا، إصحاح 16: 13.

تسلسل الأحداث التي تتوالى وتظهر كل من الابن والروح القدس في عظمته وبعده، حيث يتبادلان الخدمة ويتجهان معا نحو ملكوت الآب<sup>(1)</sup>.

أما حدث العنصرة فهو في اللاهوت المسيحي يشكل تنويج فصيح للمسيح، إذ تعلم الكنيسة الأولى أن المسيح مات وقام وتمجد عن يمين الآب، يتم عمله بإضافة الروح على جماعة الرسل<sup>(2)</sup>.

إن القول بأن إرسال الروح القدس هو إتمام لعمل المسيح، يوحي بأن عمله الذي قام به في التبليغ كان ناقصا، مع أنه ورد في العهد الجديد ما يفيد أن المسيح قد أكمل عمله: "أَنَا مَجْدُكَ فِي الْأَرْضِ حِينَ أَنْمَمْتُ الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلُهُ"<sup>(3)</sup>.

كما أن الحواريين لم يكونوا بحاجة إلى وحي من الروح القدس، لأنهم أدركوا صدق المسيح من قبل بالآيات التي شاهدوها معه، كما أنهم لم يكونوا بحاجة إليه في دعوتهم وتثبيتهم على الدين، لأن كل حوارى له طريقته التي يراها أصلح في أمر الدعوة.

هذا ويعتقد المسيحيون أن الروح القدس ظهر في يوم الخمسين بشكل ألسنة من نار على رأس التلاميذ، وقد تجلى الروح بهذه الطريقة حتى يمتلئ عدد كبير بالروح القدس، فكانت مثل ألسنة من نار استقرت على كل واحد منهم، وهو ما يعني أنها جاءت ومكثت وبقيت عليهم فيما بعد، ذلك لأن معنى الاستقرار هو المكث والبقاء والاستمرار<sup>(4)</sup>: "وظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ، فَانْقَسَمَتْ وَوَقَفَتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِسَانٌ. 4 فَامْتَلَأُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَأَخَذُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ غَيْرَ لُغَتِهِمْ، عَلَى قَدْرِ مَا مَنَحَهُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَنْ يَنْطِقُوا"<sup>(5)</sup>.

أما بخصوص الألسنة النارية التي ظهرت على رأس التلاميذ؛ فالمسيحيون يشبهونها بمفعول الروح القدس، فهو كالنار أينما وجد يكون الناس ملتهبين حماسا، فعندما يكون الروح القدس في الداخل يكونون محترين بالحرارة الروحية، ممتلئين حيوية ونشاطا ونشوة، وكما تفعل النار فإن الروح يصقلهم ويطهرهم من

(1) - بول إيدوكيموف: الروح القدس في التراث الأرثوذكسي، ص 85.

(2) - قزافي ليون ديفور: معجم الكتاب اللاهوتي، ص 569.

(3) - إنجيل يوحنا، إصحاح 17: 4.

(4) - يوحنا الذهبي الفم: الروح القدس، مراجعة وتقديم: الأنبا بطرس، ط 1، (القاهرة: دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، 1993)، ص 13.

(5) - سفر أعمال الرسل، إصحاح 2: 3-4.

الشر وينقيهم من الخطية<sup>(1)</sup>.

فالعنصرة حسب الاعتقاد المسيحي، أعادت إلى العالم حضوره الداخلي، وتعلنه الآن ليس بإزاء التلاميذ بل في داخلهم: "وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْرِفُونَ أَنِّي فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ فِيَّ مِثْلَمَا أَنَا فِيكُمْ"<sup>(2)</sup>، هذا الحضور الداخلي هو عمل الروح القدس<sup>(3)</sup>؛ حيث يعرف الرسل والقديسين بما يدعو إليه المسيح وبصفاته وبأساسيات العقيدة المسيحية، المتمثلة في أساسيات الإيمان المسيحي من خلال فهم أتباع الكنيسة ذلك<sup>(4)</sup>. كما يمثل في هذا اليوم إحدى تجليات الروح القدس الذي كان فيه حضور الروح القدس في الرسل وهو تتميم لعمل المسيح، فالروح القدس في طبيعته الأساسية ينطلق من الآب والابن، ويرسله باسم الابن ليكون ممثلاً للابن ليقوم بالعمل على خلاص الإنسانية، وليكمل ذلك الخلاص<sup>(5)</sup>.

هذا الكلام يوقع المسيحيين في تناقض عقائدهم؛ لأن القول بأن الروح القدس أرسل ليكمل الخلاص الذي جاء به المسيح لأجلهم يفيد أن خلاص المسيح عمل ناقص، مع أن عقيدتهم تقول إن الفداء الذي قام به عمل تام ومقبول، وبالتالي فإن خلاصهم كامل وقد تطرقنا لهذا فيما سبق.

إن أمر ذهاب المسيح ورفعته في العقيدة المسيحية كان أمراً لا بد منه، وذلك لمنفعة أتباعه لأنه بذهابه يأتي الروح القدس ممثلاً عنه ليفتح لهم أبواب المواساة ويمنحهم القوة، ويقوم بمهذبة الرسل وتوجيههم ليصبحوا معصومين، ويتكلموا ويكتبوا كل ما يخبرهم به المسيح الإنجيل، كما أرسل أيضاً لهداية المسيحيين في حياتهم اليومية إلى الحق الذي جاء به المسيح في القضايا الأساسية للخلاص الأبدي<sup>(6)</sup>.

مما تقدم يتبين لنا بأن إرسال الروح القدس عند المسيحيين جاء بناء على شفاعة المسيح، وذلك بعد صعوده بهدف عزاء وتوجيه الأتباع وإرشادهم لينالوا الخلاص، وبالتالي يعمل على تكملة الخلاص.

هذا عن إرسال الروح القدس، فماذا عن شفاعته أو الكيفية التي يشفع بها؟، هذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي.

(1)- م. أنتوني كونيارس: من هو الروح القدس، ترجمة: ي.م، مراجعة: أناسيوس، ط1، (القاهرة: مطبعة مدارس الأحد شارع روض الفرج، 2005)، ط4، 2014، ص15-16.

(2)- إنجيل يوحنا، إصحاح 14: 20.

(3)- بول إيدوكيموف: الروح القدس في التراث الأرثوذكسي، ص85.

(4)-Thomas Houston : **Th intercession of Christ** ,p83.

(5)- **Ibid, op. cit**, P82.

(6)- **Ibid, op. cit**, p82.

### المطلب الثالث: شفاعاة الروح القدس في اللاهوت المسيحي

شفاعة الروح القدس من الشفاعات التي لا تختلف في أمرها الطوائف المسيحية من حيث الإيمان بها بعد شفاعاة المسيح<sup>(1)</sup>.

تدخل الشفاعاة في ضمن الوظائف الهامة التي عينت للروح القدس، فقد بينت ذلك مجموعة من النصوص الإنجيلية نذكر منها: "16 وَسَأَطْلُبُ مِنَ الْآبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ يَبْقَى مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ."<sup>(2)</sup>، وما جاء أيضا في الإنجيل نفسه: "7 صَدَّقُونِي، مِنْ الْخَيْرِ لَكُمْ أَنْ أذْهَبَ، فَإِنْ كُنْتُ لَا أذْهَبُ لَا يَجِيئُكُمْ الْمُعْزِي. أَمَّا إِذَا ذَهَبْتُ فَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. 8 وَمَتَى جَاءَ وَبَحَّ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَالْبِرِّ وَالِدَيْنُونَةِ: 9 أَمَّا عَلَى الْخَطِيئَةِ فَلَأَنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. 10 وَأَمَّا عَلَى الْبِرِّ فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ وَلَنْ تَرَوْنِي، 11 وَأَمَّا عَلَى الدَيْنُونَةِ فَلَأَنَّ سَيِّدَ هَذَا الْعَالَمِ أَدِينُ وَحَكَمَ عَلَيْهِ. 12 عِنْدِي كَلَامٌ كَثِيرٌ أَقُولُهُ لَكُمْ بَعْدُ، وَلَكِنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ الْآنَ أَنْ تَحْتَمِلُوهُ. 13 وَمَتَى جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ أُرْسِدْكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ وَيُخْبِرُكُمْ بِمَا سَمِعْتُمْ. 14 سَيَمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ كَلَامِي وَيَقُولُهُ لَكُمْ."<sup>(3)</sup>.

فهذه النصوص كما ذكر غريغوريوس عينت مختلف وظائف الروح القدس؛ فهو يعين، يعلم، يوجه، يرشد ويمجد المسيح، فكل هذه الوظائف تنسجم مع معنى كلمة "بارقليط"، وخدمة الشفاعاة للروح القدس تكون بتحريك المشاعر الروحية للمسيحيين، وإثارتهما وإلهاب قلوبهم بالحببة الإلهية وإثارة فيهم الحاجة إلى الصلاة، بل ويلهمهم أيضا ما يصلون لأجله، فهو إذن يشفع فيهم لأنه بمعونته تتحرك فيهم رغبتهم في الصلاة، وبه يعرفون ما يصلون لأجله سواء من أجل أنفسهم أو من أجل الآخرين<sup>(4)</sup>.

إن عمل الروح القدس في الإنسان بهذا التصور يلغي الإرادة الإنسانية، فكيف نتصور إنسانا يصلي لا يعرف ما يصلي لأجله سواء له أو لغيره حتى يرشده الروح القدس؟، فأين هو العقل وأين هي الإرادة والشعور والأحاسيس التي بها يستحضر الحضور الإلهي والخشوع في الصلاة.

أما ما استدل به المسيحيون على أن البارقليط هو الروح القدس، فهذا التفسير غير صحيح لأن الروح القدس كان متواجدا مع المسيح عليه السلام في حياته مؤيدا له في مهامه الرسالية، فكيف يبعث لهم معزيا

(1) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج2، ص 107.

(2) - إنجيل يوحنا، إصحاح 14: 16.

(3) - إنجيل يوحنا، إصحاح 16: 7-14.

(4) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 2261، 3154.

آخر وهو متواجد معه؟، إن المقصود من المعزي هو محمد ﷺ، وليس الروح القدس كما يقولون، ضف إلى ذلك أن الروح القدس هو مما يؤيد الله به أنبياءه ورسله وهو ليس لعامة الناس بل لخاصتهم.

فالإنجيل يذكر بأن العمل الخاص للروح هو مساعدته لشعبه في تطبيق الصلاة، وتكلم عنه كواحد هو مشترك لكل المؤمنين ودائم خلال كل عصور الكنيسة<sup>(1)</sup>: "26 وَيَجِيءُ الرُّوحُ أَيْضًا لِنَجْدَةٍ ضَعْفِنَا فَحَنُّ لَّا نَعْرِفُ كَيْفَ نُصَلِّي كَمَا يَجِبُ، وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَنَّاتٍ لَّا تُوصَفُ. 27 وَاللَّهُ الَّذِي يَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ يَعْرِفُ مَا يُرِيدُهُ الرُّوحُ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَشْفَعُ لِلْقَدِيسِينَ بِمَا يُوَافِقُ مَشِيئَتَهُ." (2)

لقد فسر المسيحيون هذا النص على أنه حدد عمل الروح القدس في المؤمنين، ويتمثل في إعانتهم في الصلاة، فعبارة "نَجْدَةٌ ضَعْفِنَا" تفيد أن المسيحي عندما يقبل على الصلاة وهو في حالة ضعف سواء أكان جسدياً أو نفسياً، فالإنسان في هذه الحالة يكون ميالاً لترك الصلاة والخلود إلى الراحة، غير أن مجاهدة النفس بعدم ترك الصلاة وتأجيلها، هو ما يجعل الروح القدس يقبل على الإنسان ليساعده في ضعفه، ويرفع صلاته أمام العرش، وعمل الروح هنا لا يعمل عوضاً عنه وإنما يعمل معه، وهذا ما يفيد الأصل اللغوي لكلمة يعين<sup>(3)</sup>، ومساندة الروح القدس في جهاد المؤمن في الصلاة وحتى في الأمور البسيطة هو ما عبر عنه القديس يوحنا الذهبي الفم بقوله: "لكي تعرف أنه ليس بأتعابك وحدها والمخاطر التي تواجهها إنما تقف النعمة بجانبك، حتى في الأمور التي تبدو هينة للغاية، إذ يعمل معك وفي كل الأحوال يقوم بدوره في الاتحاد"<sup>(4)</sup>.

إن تفسير هذه العقيدة عند المسيحيين لا يجب أن يفهم كضرورة بأن الروح القدس يقوم بالشفاعة من أجل المؤمنين في شخصه، أو أنه يوجه مباشرة صلاته إلى الأب دفاعاً عنهم باسمهم، فالمسيح كوسيط صلى من أجل أتباعه عندما كان على الأرض، ولا يزال مستمراً في الشفاعة من أجلهم في السماء، لكن الروح القدس لم يصور أبداً في الإنجيل على أنه يتشفع في الاتجاه نفسه بظهوره عند العرش كالمسيح، بل يشفع في طريق آخر عن طريق حلوله حلول نعمة؛ حيث يهبهم ويمكنهم من الصلاة من أجل أنفسهم<sup>(5)</sup>.

(1)- Bucherman James : **The office and work of the Holy Spirit**, (New York : Robert carta's publication, 1847), p488.

(2)- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 8: 26-27.

(3)- نبيل يعقوب: **الكنيسة والعبادة**، ط1، (دمشق: در، 2008)، ص104.

(4)- تادرس يعقوب ملطي: **تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية**، (الإسكندرية: كنيسة مار جرجس، دت)، ص101.

(5)-Bucherman James: **op. cit**, p489.

فعمل الروح القدس الشفاعي الوارد في عبارة "يَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَنَّاتٍ لَا تُوصَفُ"، فسره المسيحيون على أنه يكون داخل المسيحيين، بقيادتهم في الصلاة وإعطائهم ماذا يقولون ويقنعهم بإرادة الله، أو بأن ما يطلبونه ليس في مصلحتهم فيسلمون بإرادة الله، فقد يبدأ الإنسان صلاته بأن يطلب طلبا ما، ومع استمرار الصلاة يقنعه الروح القدس بقبول إرادة الله فيقول لتكن مشيئتك، وحين يسلم الإنسان أمره لله يصير مقبولا لديه، فالصلاة لا تغير مشيئة الله بل هي تغير مشيئة الإنسان بعمل الروح حتى تتطابق مشيئة الإنسان مع مشيئة الله، والله لا يستجيب إلا لو كانت الصلاة مطابقة لمشيئته، وهذا هو عمل الروح الذي يقنع الإنسان بالتسليم الكامل له، وبهذا يصير الإنسان مقبولا لدى الله وهذه هي شفاعاة الروح القدس<sup>(1)</sup>.

إن شفاعاة الروح القدس عند المسيحيين ليست كفارية كشفاعة المسيح، وإنما هي شفاعاة مشيئة "وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ" مبنية على عمل الروح القدس في المؤمن، أي في إقناعه بتعديل مشيئته لتنسجم مع الله، وبالتالي ليكون مقبولا لديه، وهنا يأتي دور الروح في إقناع المؤمن بالتسليم الكامل لإرادة الرب أي يقنعه بما يريد الله فيطلبه أو يقنعه أن طلبته ليست في مصلحته فيتخلى عنها<sup>(2)</sup>.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم، بأن الروح الذي يشفع هنا إنما يعني القلوب الملتهبة بالروح القدس خلال موهبة الصلاة، إذ يعطي الروح للبعض وهم ذوي النفوس المقدسة موهبة الصلاة عن الآخرين، ويقترح عليهم ما يصلون به من أجل إخوانهم، لأنهم لا يعلمون ما يصلون إليه كما ينبغي، فقد صلى موسى مشتتيا رؤية فلسطين: "26<sup>26</sup> وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ غَاضِبًا عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ وَلَمْ يَسْمَعْ لِي، بَلْ قَالَ لِي: كَفَى، لَا تَزِيدُ فِي الْكَلَامِ مَعِيَ فِي هَذَا الْأَمْرِ."<sup>(3)</sup>، وطلب إرميا عن اليهود: "1<sup>1</sup> وَقَالَ لِي الرَّبُّ: لَوْ أَنَّ مُوسَى وَصَمُؤِيلُ تَشَفَّعَا أَمَامِي لَمَا نَفَقْتُ قَلْبِي إِلَى هَذَا الشَّعْبِ. فَاطْرَحُهُمْ عَنْ وَجْهِي خَارِجًا."<sup>(4)</sup>، وتشفع إبراهيم عن أهل سدوم: "23<sup>23</sup> فَاقْتَرَبَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: أَتَهْلِكُ الصَّدِيقَ مَعَ الشَّرِّيرِ؟"<sup>(5)</sup>، ومع ما لهذه الصلوات من قيمة كبرى تكشف عن قلوب مقدسة محبة للآخرين، لكنها في رأي القديس يوحنا الذهبي الفم لم يكن هؤلاء يعرفون ما يصلون لأجله كما ينبغي، فالإنسان مهما بلغت

(1) - أنطونيوس فكري: شرح الرسالة إلى أهل رومية، ص 137-138.

(2) - نبيل يعقوب: الكنيسة والعبادة، ص 105.

(3) - سفر التثنية، إصحاح 3: 26.

(4) - سفر إرميا، إصحاح 15: 1.

(5) - سفر التكوين، إصحاح 18: 23.

قداسته يحتاج إلى الروح ليرشده حتى في الصلاة عن الآخرين<sup>(1)</sup>.

يعلق القديس أوغسطينوس على أنات الروح القدس قائلا: "لا يئن الروح القدس في ذاته مع نفسه في الثالوث القدوس، في جوهره الأبدي...إنما يئن فينا، أي يجعلنا نئن، فإنه ليس بالأمر الهين أن الروح القدس يجعلنا نئن، إذ يهبنا أن ندرك أننا غرباء نسلك في الأرض غربتنا، ويعلمنا أن ننظر نحو وطننا، فنئن بشوق شديد"<sup>(2)</sup>، فهذه الأناث هي أنات المؤمنين لا أنات الروح القدس، وهي ما يعبرون بها عن أشواقهم إلى الأمور الروحية التي أوجدها الروح القدس في قلوبهم، فالروح لا يوجد البلاغة في الصلاة، ولكن يوجد الأشواق في القلوب، ويضع مشاعر الحب والشكر لله والحنين إليه<sup>(3)</sup>.

أما عن شفاعنة الروح القدس وعمله في القلب حسب التصور المسيحي، فيكون على قدر استعداد كل مؤمن ولا يوجد تقنين خاص بالروح، ولكن الممارسة والثبات في المسيح لا يأتي من قلب الإنسان، بل يغرسه الروح في وداعة بدون تسلط، فهو لا يترك النفس، بل يشجعها في وداعة ويعزي القلب بالمثابرة هامسا بشكل غير منظور، وهكذا يقترب المعزي الذي يعرف أعماق النفس ويشرح لها مواعيد الله ويكشف لها أسرار الحياة السمائية التي تشتاق إليها وتعرفها، ويقدم لها عربون هذه الحياة لكي تحيا حسب الرجاء، فالروح القدس الذي سمي بـ"البارقليط"، أي المدافع عن المسيحيين الذين افتدوا بدم المسيح فهو لا يقدم لهم دفاع المحامين في المحكمة وأمام القضاء، وإنما دفاع المعلم والمرشد<sup>(4)</sup>؛ فهو في اعتقادهم حالٌّ في جميع المؤمنين، وهو الذي يعزيهم ويقويهم على الأمور الجسدية المضادة للروح حتى يقهروها ويعملوا الأعمال الروحية، والروح القدس يدوم ساكنا فيهم إذا هم داوموا تسيححه وتقديسه، وهذه الأعمال هي التي يرثون بها ملك المسيح الدائم وإلى الأبد<sup>(5)</sup>.

إن عقيدة حلول الروح القدس في المؤمنين عند المسيحيين تكون لإرشادهم وتقويتهم حتى يرثوا الخلاص، من العقائد التي تختلف مع ما جاء في الإسلام من حيث كون الروح القدس مما أيد الله به أنبياءه

(1) - تادرس يعقوب ملطي: تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، ص 101-102.

(2) - المصدر نفسه، ص 102.

(3) - نبيل يعقوب: الكنيسة والعبادة، ص 108.

(4) - صفرونيوس: من رسائل الأب صفرونيوس إلى تلميذه ثيودوروس، المتوية الأولى للتوبة وعمل الروح القدس في القلب، ص 10-11، تحميل المادة من موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، www.coptologie.com، التصفح يوم 2015/01/16.

(5) - ساويرس: الدر الثمين في إيضاح الدين، ط 2، (القاهرة: إصدار أبناء البابا كيرلس السادس، 1978)، ص 29، 102، أنظر

أيضا، James Bucherman: *The office and work of the Holy Spirit*, p49



ورسله، بما يقذفه في قلوبهم من وحي وإلهام لنصرتهم وتثبيتهم في مهامهم الرسالية، وليس حلولا كما هو الحال عند المسيحيين، وما ترتب على ذلك من القول بعصمة البابا والقديسين، وتوسيع دائرة العصمة على جميع المؤمنين، وهذا مما لا يقبله العقل؛ لأن الإنسان من طبيعته الخطأ بل وحتى الأنبياء عصمتهم تكون في الكبائر، وكذلك فيما يبلغون به من الوحي، هذا عن الإنسان المؤيد من الله فما بالك بالإنسان العادي.

فالروح القدس عند المسيحيين هو الذي يحرك إرادة الإنسان للصلاح، ولكن في نفس الوقت الروح لا يعمل بالإجبار، فالروح القدس لا يرغب الإرادة على فعل الصلاح، بل يحضها ويستميلها فقط، إنه يمنح أمرين للإرادة، أولا الحث وثانيا التحذير، والروح لا يمنع إرادة الإنسان بالقوة الجبرية من ارتكاب الخطية، بل يحذرهما ويوبخ في الخفاء، فإذا قبل ضمير الإنسان تأنيب الروح فإنه يمتنع عن الخطية، ومباشرة يظهر الروح القدس في الضمير مع نوره ويملأه بالفرح، وإذا لم يطع الضمير الروح الساكن فيه وأكمل الخطية بالفعل تظهر فيه ظلام النفس، وينمو فيها القلق وتمتلى النفس بالحزن والكآبة، وبهذا لا تكون معونة الروح القدس للإنسان عملا إجباريا، بل لديه كامل الإرادة في اختيار الأفعال، ويوحز القديس باسيلوس عمل الروح القدس في الإنسان قائلا: "بالروح القدس استعدنا مكاننا في الفردوس، وصعودنا إلى ملكوت السموات وعودتنا إلى مكانة النبوة، وحريرتنا لأن ندعو إلهنا الآب وشركتنا في نعمة المسيح وتسميتنا أبناء النور وميراثنا في المجد الأبدي"<sup>(1)</sup>.

كما أن التصور المسيحي لجهاد الإنسان في هذه الحياة سواء أكان من الناحية الجسدية أو النفسية، هو ضرورة حتمية يزكيها المسيح ويؤازرها الروح القدس لمواجهة ضعف الإنسان الذي يسقطه في الخطية، وبالتالي حرمانه من حياة القداسة التي يشترك فيها القديسون<sup>(2)</sup>، لذلك فإن مستوى جهاد الإنسان ثم مقدار مؤازرة الروح القدس له وتقوية عزيمته في هذا الجهاد، هو ما يكشف مقدار عمل الروح في داخل الإنسان فيعمل بذلك على تجديد الحياة والدخول به شركة القديسين<sup>(3)</sup>.

لم تقتصر شفاعاة الروح القدس على الإنسان العادي، بل هي أيضا للقديسين، وتكون بما يوافق مشيئة الله، لأن مشيئة الله حسب اعتقاد المسيحيين هي قداستهم، لأنهم أبناء الله يحملون دوما ينبوع

(1) - هيرمينا البرموسي: الروح القدس رؤية كنيائية، ص 164-165.

(2) - متى المسكين: الروح القدس وعمله داخل النفس، ط2، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1987)، ص 14.

(3) - المصدر نفسه، ص 15-16.

القداسة الإلهية في ذواتهم، ولأن حياة الروح القدس هي القداسة والتقديس لهم، فهم شركاء له في هذه القداسة<sup>(1)</sup>.

إن القداسة الإلهية التي تأتي بمعنى التنزيه الإلهي والكمال، لا يمكن للبشر بلوغها مهما بلغ من الصفات، لأن الإنسان محدود والله مطلق، والقول بالاشتراك في القداسة الإلهية منافي للطبيعة البشرية، لأن المعروف على الإنسان الخطأ وارتكاب الذنوب وإن صغرت.

لقد استدل المسيحيون على شفاعاة الروح القدس للقديسين، بما نصه: "27 وَاللَّهُ الَّذِي يَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ يَعْرِفُ مَا يُرِيدُهُ الرُّوحُ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَشْفَعُ لِلْقَدِّيسِينَ بِمَا يُوَافِقُ مَشِيئَتَهُ."<sup>(2)</sup>، وقد فسر متى المسكين العبارة الأولى من نص الإنجيل؛ بأن الله يعلم ذلك الأنين على الرغم من أنه غير مسموع، لأن الله هو الفاحص الكلي للقلوب، وقد كشف حالة الإنسان الروحية، وذلك بواسطة الروح القدس فيه، وأصبح هو الوسيلة لرفع كل ما يهم الإنسان وما يهتم به داخل روحه لله، لذلك فإن هذا ينعكس على صلواته ويزيد من الثقة في الصلاة والاطمئنان في أدائها، لأن الروح القدس يقدم معونته للإنسان في الصلاة بإيصالها لله، ليس لأن الله لا يعلمها ولكن ليعلم الإنسان أنه قد علمها<sup>(3)</sup>.

يبدو لنا مما سبق أن فكرة الوسيط عند المسيحيين قد طغت على عقائدهم الدينية، إذ جعلوا المسيح (الابن) الوسيط بينهم وبين الله (الآب)، كما جعلوا الروح القدس أيضا وسيطا لهم، يرفع صلواتهم إلى الله مع أنهم غير محتاجين لكل هذه الوسائط، لأن علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة، وهذا ما نجده في الإسلام وقد سبق الإشارة إلى ذلك فيما سبق.

أما عبارة "أَنَّهُ يَشْفَعُ لِلْقَدِّيسِينَ بِمَا يُوَافِقُ مَشِيئَتَهُ"، فقد فسرها متى المسكين على أن شفاعاة الروح القدس ليست لكل من يصلي، ولا في كل جماعة تصلي، ولكن هي للقديسين بصفة خاصة، وهم الذين يضبطهم الروح القدس أو "المنضبطين بالروح" أو "المنقادون بالروح القدس"؛ بمعنى أنه يشفع في الذين أسلموا حياتهم للروح، ويسيروا بمقتضى تدييره ونعمته الذين هم حقا مسيحيون<sup>(4)</sup>.

إن عمل الروح القدس عند المسيحيين، هو إعانة القديسين والشفاعة فيهم، من أجل أن يكونوا

(1) - جورج حبيب بابوي: الدالة والشفاعة، (دم: در، 2011)، ص 13.

(2) - رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 8: 27.

(3) - متى المسكين: شرح رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ط 1، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1992)، ص 398.

(4) - المصدر نفسه، ص 399.

مؤهلين لحمل الآخرين غير المفديين بعد<sup>(1)</sup>. ولهذا خصهم كاتب الرسالة "بجماعة القديسين" فهو يذكرهم على أنهم أولا الذين نالوا باكورة الروح، والذين يحملون همّ العالم ويثنون بأنين الخليقة غير المفدية، فيعمل الروح القدس فيهم حاملا ضعفهم متشفعا فيهم بأنات لا يدركون معناها، وهؤلاء هم الذين خاطبهم الإنجيل بأنهم نور العالم: "14أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لَا تَخْفَى مَدِينَةٌ عَلَى جَبَلٍ،"<sup>(2)</sup>

لقد ذكر متى المسكين بأن بولس قد قرر أن الإيمان بالخلاص الحادث يكون ناقصا إذا لم يكمله الرجاء بالفداء الآتي وأن الجميع يثنون، حيث يطلبون الخلاص من الحاضر، وبالرجاء يطلبون الخلاص الآتي ويجمع الروح القدس بين الاثنين، إذ يرثي ضعفهم ويثن بأنينهم لأنه المتولي قيادتهم في طريق واحد وهو طريق الصليب المؤدي إلى السماء<sup>(3)</sup>.

فعلى الرغم من أن الكتاب المقدس وصف الروح القدس بأنه يشفع للقديسين وفقا لمشيئة الرب، وأنه يقوم بالشفاعة بتأوهات لا يمكن النطق بها غير أن هذه الشفاعة لا تؤثر في الشفاعة الخاصة بالمسيح التي يقوم بها ككاهن أعظم في السماء. إن عمل الروح القدس بوصفه شفيعا خاص بالجانب الجواني للقديسين على الأرض يعمل في قلوب وعقول القديسين إنه يقوم بتحريك الصلوات والجهود المقدسة بوصفه روح العفو والدعاء -حسب تعبير القديس أوغسطين- يتدخل بتأثيره علينا ليقودنا نحو الطموحات التي لا يمكن أن تعبر عنها اللغة<sup>(4)</sup>.

فإذا كانت شفاعة المسيح في السماء في الهيكل المقدس، فإن شفاعة الروح القدس تكون في هيكل القلب الإنساني<sup>(5)</sup>، لذلك فإن شفاعة المسيح خالصة غير مخلوطة بخبث الأرض أما شفاعة الروح القدس فإنها تمر خلال وسط فاسد وتشق طريقها خلال عوائق ذات طبيعة أرضية وفي الوقت الذي تخرج فيه على صورة تعبير تكون قد واجهت المكونات الظلامية والشهوانية الموجودة في الإنسان ولهذا فالمسيح يحتفظ بخاصية كونه الشفيع والمدافع الوحيد والأبدي عن شعبه في السماء<sup>(6)</sup>.

إن خدمة الشفاعة للمسيح والروح القدس في العقيدة المسيحية لا ينفصلان عن بعضهما البعض؛ فإذا كان المسيح يشفع مرتكزا في ذلك على دمه المدفوع ثمنا للخطية فالروح القدس يشفع مرتكزا على

(1)- متى المسكين: شرح رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ص 399-400.

(2)- إنجيل متى، إصحاح 5: 14.

(3)- متى المسكين: المصدر السابق، ص 400.

(4)- Thomas Houston: **The intercession of Christ**, p57.

(5)- James Bucherman: **The office of intercession**, p50.

(6)- Thomas Houston : **op. cit**, p58.

المسيح الذي يأخذ منه ويتوسل لدى الله عن المؤمنين، فشفاعة الروح القدس على الأرض مقدمة عنهم وهي مسموعة عند الله باشتراك المؤمنين فيها بالأئنين فهي شفاعة تعزية وتقوية، فالروح القدس يعبر عن حضرة الرب (الابن) على الأرض مكملًا في المؤمنين العمل نفسه الذي يعمل في السماء، فهي تكاد تكون شفاعة واحدة مقدمة من الشفيعين العظمين في السماء وعلى الأرض لدى الله، وبهذا تزداد ثقة الإنسان بالذي له في السماء من الذي يحسه في الأرض<sup>(1)</sup>.

وهكذا يعتقد المسيحيون بأن الروح القدس الساكن في المؤمنين يجعلهم يرفعون دعواتهم مباشرة إلى الله على أساس وجود المسيح كرئيس كهنة في السماء على يمين الرب في الأعالي<sup>(2)</sup>، وإذا كان المسيح قد قدم للمسيحيين الفداء والخلص، فالروح القدس هو الذي يقوم بتوريتهم هذا الفداء والخلص ويجعله بسهولة حقا ونصييا لهم<sup>(3)</sup>، فاهتمام الروح القدس الأساسي نحو المؤمنين وعمله الرسمي فيهم محصور في تسليمهم وتوريتهم عمل المسيح المخلص، لأن الحصول على الروح القدس عند المسيحيين معناه بلوغ غاية كل شيء، فهو روح الإيمان وهو روح الرجاء بالحياة الأبدية<sup>(4)</sup>.

مما تقدم يتبين لنا بأن شفاعة الروح القدس عند المسيحيين، شفاعة أرضية، يقوم بها الروح القدس في قلوب المؤمنين، إذ يحرك مشاعرهم الروحية ويلهب قلوبهم بمحبة الله، ويثير فيهم الحاجة إلى الصلاة ويلهمهم بما يصلون، فهذه الإعانة التي يقوم بها الروح القدس هي عمله الشفاعي، وإذا كانت شفاعة المسيح سمائية من حيث الإطار المكاني فشفاعة الروح القدس أرضية، أما الإطار الزمني لشفاعتها فهو موحد بينهما، وهي الحياة الدنيا لا الآخرة، وإن كانت آثار الانتفاع بها أخروية أيضا.

(1) - متى المسكين: شرح رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ص 398-399.

(2) - صفاء داود فهمي: الشفاعة، ص 13.

(3) - متى المسكين: الروح القدس وعمله داخل النفس، ص 22.

(4) - المصدر نفسه، ص 23-24.

### المبحث الثالث: الشفاعة التوسلية

#### المطلب الأول: مفهوم الشفاعة التوسلية

يعرف الأنبا غريغوريوس مفهوم الشفاعة التوسلية بأنها صلوات الملائكة والقديسين وتضرعاتهم إلى الله من أجلنا<sup>(1)</sup>.

ويعرفها القس بيشوي حلمي: "هي طلب صلاة الملائكة والقديسين من أجلنا أمام الله"<sup>(2)</sup>. كما جاء تعريفها لدى الأقباط الأرثوذكس بأنها طلب معونة رجال الله القديسين وتوسلهم من أجلنا، ومعنا أمام الله لدلتهم القوية عنده، لكي يمهلنا الله ويسهل لنا طريق التقوى ويهديننا إلى التوبة ويرفع غضبه عنا، أو لينزع عنا ضائقة ما أو شدة أو مرض أو ينقذنا من عدو خفي أو ظاهر<sup>(3)</sup>. يستخدم للشفاعة التوسلية في الكنيسة الأرثوذكسية في الهيئتينيات<sup>(4)</sup> لفظان: لفظ تطلب به شفاعة القديسة مريم والدة الإله ورؤساء الملائكة السبعة الأطهار والملائكة، فيقولون اشفعي فينا أو بشفاعة (برسيفيا)، أما باقي القديسين والشهداء فتقول الكنيسة بطلبات (توفة) أو اطلبوا عنا<sup>(5)</sup>. إن الشفاعة التوسلية موضع خلاف بين المسيحيين؛ فيؤمن بها الأرثوذكس والكاثوليك، ويعارضها أغلب البروتستانت<sup>(6)</sup>.

فالبروتستانت بصورة عامة ينكرون الشفاعة كلية سواء بالعدراء أو الملائكة أو القديسين لأن ذلك يعد في نظرهم انتقاصا من عمل المسيح الكفاري، ويعتمدون في ذلك على قول يوحنا الرسول<sup>(7)</sup>: "يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهِذِهِ الْأُمُورِ لِنَلَّا تُخْطِئُوا. وَإِنْ خَطِيءَ أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ

(1) - غريغوريوس: الموسوعة، ص4282.

(2) - بيشوي حلمي: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص380.

(3) - مبادئ العقائد المسيحية - أصلاتها وفعاليتها-، ص253-254.

(4) - الهيئتينيات: تعني السؤال، ويطلب بالهيئتينيات طلبات الشهداء والقديسين والرعاة، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: قاموس المصطلحات الكنسية، (القاهرة، مطبعة الإخوة المصريين، 1991)، ص54.

(5) - مبادئ العقائد المسيحية، المصدر السابق، ص254.

(6) - إبراهيم عبد السيد: الشفاعة التوسلية للعدراء والملائكة والقديسين، ط3، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، 1986)، ص6-7.

(7) - ماهر يوانان عبد الله: الطوائف المسيحية في مصر والعالم، مراجعة: جرجس صبحي، (دم: الناشر ماهر يوانان عبد الله، 2001)، ص175.

شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ،"<sup>(1)</sup>، وأيضاً قول بولس الرسول: "فَأَطْلُبُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ 8 أَنْ تُقِيمُوا الدُّعَاءَ وَالْإِبْتِهَالَ وَالْحَمْدَ مِنْ أَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ"<sup>(2)</sup>.

فالتشفع بغير المسيح من وجهة النظر البروتستانتية هي رفض لشفاعته وسلب لحقه الشرعي الذي اشتراه بدمه والاعتقاد بشفاعة المسيح يلغي الحاجة إلى شفيع غيره بل إنه من الفجور أن تنسب الشفاعة للقديسين، أما الكاثوليك والأرثوذكس الذين يعتقدون في هذا النوع من الشفاعة يفرقون بين شفاعة المسيح باعتبارها شفاعة كفارية ناب فيها المسيح عنهم في دفع ثمن الخطية بدمه المسفوك على الصليب وهذه الشفاعة خاصة بالمسيح وحده، وشفاعة القديسين في البشر بمعنى صلواتهم وهي شفاعة توسلات وتضرعات وصلوات وهذا أمر معروف ومقرر في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد<sup>(3)</sup>. وستناول هذا النوع من الشفاعة بشيء من التفصيل نبحث فيه كل من شفاعة الملائكة ومريم والقديسين.

### المطلب الثاني: شفاعة الملائكة.

قبل أن نتناول شفاعة الملائكة بالبحث نعرف الملائكة أولاً.

#### أولاً: تعريف الملائكة.

1- الملائكة في اللغة: تترجم كلمة "ملاك" في العهد القديم عن الكلمة العبرية "ملاك" كما في العبرية، أما في العهد الجديد فتترجم عن الكلمة اليونانية "أجلوس" "Agglos" ومعنى كل من الكلمتين هو رسول<sup>(4)</sup>.

#### 2- الملائكة في الاصطلاح:

جاء تعريف الملائكة في دائرة المعارف الكتابية بأنهم خلائق سماوية خلقهم الله قبل خلق العالم لكن الله أعطاهم القدرة على الظهور بشر لتأدية رسالة معينة<sup>(5)</sup>.

(1) - رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1.

(2) - رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس، إصحاح 2: 1.

(3) - غريغوريوس: الموسوعة، ص4371، أنظر أيضاً، ميخائيل مينا: علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، (القاهرة: مطبعة الأمانة، 1938م)، ج3، ص460.

(4) - صموئيل حبيب واخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج7، ص209.

(5) - المصدر نفسه، ص209.

والملاك في الكتاب المقدس هو أحد الأرواح غير المنظورة الذين يسبحون الله في السماء ويكلفون بمهمات لدى البشر.

كما جاء تعريف الملائكة في معجم الكتاب اللاهوتي بأنهم أرواح مسخرون للخدمة يرسلون من أجل خير الذين يرثون الخلاص<sup>(1)</sup>.

والكتاب المقدس يميز بين الملائكة الأشرار والشياطين، والملائكة الأخيار ومنهم ميخائيل وجبرائيل ورافائيل ويطلق على سائر الملائكة أسماء جمع كالسروفين والكروبيين والعروش السادات... إلخ<sup>(2)</sup>.

كما تتنوع خدمات الملائكة وإن كان العمل الرئيسي لهم هو أنهم يرسلون من الله لتبليغ رسائله أو تنفيذ مشيئته<sup>(3)</sup>، فلهم وظائف أخرى تتمثل في عبادة الله وحراسة المؤمنين وخدمة القديسين وكذلك الصلاة عن المتضايقين أو ما يسمى شفاعة الملائكة عن المؤمنين في الأرض، أما في الآخرة فتقوم الملائكة بحمل الأبرار والصالحين إلى الفردوس وطرح الأشرار في الجحيم<sup>(4)</sup>.

وكإحدى هذه الأعمال التي تقوم بها الملائكة الشفاعة للمؤمنين وهذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي.

### ثانياً: شفاعة الملائكة في اللاهوت المسيحي

شفاعة الملائكة نوع من الشفاعة الطلبية أو الرجاء كشفاعة الروح القدس والقديسين<sup>(5)</sup>، والكتاب المقدس يسجل صراحة أن الملائكة جميعهم مرسلون للخدمة: "14أَمَّا هُمْ كُلُّهُمْ أَرْوَاحٌ فِي خِدْمَةِ اللَّهِ يُرْسَلُهُمْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْخَلَاصَ."<sup>(6)</sup>، فمعونتهم للمؤمنين المجاهدين هي جزء أساسي من دورهم الذي وجدوا من أجله وبالتالي فطلب معونتهم عند المسيحيين الذين يعتقدون في هذا النوع من الشفاعة يتفق والإرادة الإلهية<sup>(7)</sup>.

(1) - قزافيي ليون ديفور: معجم الكتاب اللاهوتي، ص761.

(2) - صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص479.

(3) - قزافيي ليون ديفور: المصدر السابق، ج7، ص209.

(4) - ميخائيل مينا: موسوعة علم اللاهوت، ص143-145.

(5) - موريس تاوضروس: عالم الملائكة، تقديم: الأنبا موسى، ط2، (القاهرة: دار الجيل للطباعة، 1995)، ص40.

(6) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 1: 14.

(7) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية. ج2، ص116.

لقد فسر متى المسكين النص السابق على أن جميع الملائكة بكل رتبها ودرجاتها هم سواء، لكونهم مخلوقين على أساس الخدمة، وعبارة "أرواح خادمة" تفسر أعظم سر من أسرار الملائكة والمتمثل في خلقه الملائكة المحصور في عمل محدد لها، لذلك فهم مخلوقون بكل رتبهم على أنواع الخدمة التي هي من صميم طبيعتهم، وبالتالي فالخدمة بالنسبة للملائكة هي طبيعتهم، وكإحدى هذه الخدمات الخاصة بهم ما توضحه عبارة الملائكة "مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص"، فالمقصود بذلك الوظائف الخاصة بخدمة المفديين المعينين للحياة الأبدية التي يكلفهم بها الله، دون أن يفقدوا موقفهم أمام الله على الدوام، لأن خدمة المفديين جزء لا يتجزأ من خدمة الله<sup>(1)</sup>.

أما الخدمات التي تنسب إلى الملائكة فتتمثل في إغاثة المؤمنين لذلك تعتبر الكنيسة الأرثوذكسية، التشفع والاستغاثة بالملائكة أمر صحيح وسليم، ولا يعد ذلك من الخطايا، لأن هذا هو العمل الذي خلقت الملائكة من أجله وكلفت به<sup>(2)</sup>.

إن شفاعاة الملائكة من أجل المؤمنين في العقيدة المسيحية تكون بحمل الملائكة للمعونة من السماء إلى البشر، ويصعدون احتياجاتهم في صورة طلبات وصلوات إلى الجالس على العرش، حسب تفسير السلم الذي رآه يعقوب عليه السلام قديماً في حلمه والملائكة تصعد وتنزل عليه، ويصل الأرض بالسماء، وهذا يشير إجمالاً إلى عمل الملائكة كوسطاء بين البشر في الأرض والله في السماء<sup>(3)</sup>: "12 فَحَلَمَ أَنَّهُ رَأَى سَلْمًا مَنْصُوبَةً عَلَى الْأَرْضِ، رَأْسُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلَائِكَةُ اللَّهِ تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهَا."<sup>(4)</sup>؛ فالملائكة يصعدون صلوات المؤمنين إلى الله: "3 وَجَاءَ مَلَاكٌ آخَرٌ يَحْمِلُ مِبْخَرَةً مِنْ ذَهَبٍ وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ، فَأَعْطَى بَخُورًا كَثِيرًا لِيُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ الْقَدِّيسِينَ عَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ أَمَامَ الْعَرْشِ. 4 فَتَصَاعَدَ دُخَانُ الْبَخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقَدِّيسِينَ أَمَامَ اللَّهِ."<sup>(5)</sup>.

يفسر الأرثوذكس هذا النص من سفر الرؤيا على أنه شفاعاة توسلية أما الخارجين عن الإيمان الأرثوذكسي والمقصود بهم البروتستانت فهم يفسرون "الملاك" الذي جاء في سفر الرؤيا على أنه المسيح، وهذا الكلام يعتبره الأرثوذكس خطأ وكفراً في حق المسيح لأنه جالس على العرش ليس أقل من الآب في

(1) - متى المسكين: الرسالة إلى العبرانيين، ص 208-209.

(2) - يوانس: السماء لمثلث الرحمات، ط 11، (القاهرة: مطابع النوبار، 2013)، ص 116.

(3) - المصدر نفسه، ص 117، أنظر أيضاً، جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج 2، ص 116.

(4) - سفر التكوين، إصحاح 28: 12.

(5) - رؤيا يوحنا اللاهوتي، إصحاح 8: 3-4.



الجوهر<sup>(1)</sup>، فليس صحيحا ما يدعيه البروتستانت بأن هذه شفاعة قاصرة على المسيح فقط وليس صحيحا أيضا أن شفاعة المسيح توسلية لأن المسيح لا يتوسل وإلا فإنهم ينكرون لاهوته<sup>(2)</sup>.

ومن أمثلة شفاعة الملائكة، ما ذكر في سفر زكريا أن الملاك توسل إلى الرب بشأن أورشليم بعدما رأى ما تنعم به الأمم الأخرى من السلام: "11 ثم قال هؤلاء لملاك الرب وللواقف بين الآس: جئنا في الأرض، فإذا الأرض كلها ساكنة هادئة. 12 فقال ملاك الرب: أيها الرب القدير، إلى متى لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي تكلمت عليها بغضب هذه السبعين سنة؟"<sup>(3)</sup>، وقد قبل الله شفاعته وإجابة سؤاله لما جاء في: "16 لذلك سأرجع على أورشليم بالمراحم يقول الرب، فبني بيوتها فيها ويمد خيط العمارة عليها"<sup>(4)</sup>.

كما يستدلون أيضا على شفاعة الملائكة بما جاء في سفر التكوين، لما بارك يعقوب بجنديه قال الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين<sup>(5)</sup>: "16 الله الذي نجاني من كل سوء يبارك هذين الصبيين. يتسميان باسمي واسم أبوي إبراهيم وإسحاق، ويكثران جدا في الأرض."<sup>(6)</sup>.

لقد سجل الكتاب المقدس أمثلة كثيرة لخدمات رؤساء الملائكة الذين أرسلهم الله إلى الأرض لإنقاذ المؤمنين، منها ما فعله ملاك الرب مع لوط مثلا وأسرته<sup>(7)</sup>، وهو ما نصه: "17 وبيئنا هما يخرجه من المدينة قال له أحدهما: أنج بنفسك. لا تلتفت إلى ورائك ولا تقف في السهل كله، واهرب إلى الجبل لئلا تهلك. 18 فقال لوط: لا يا سيدي. 19 نلت رضاك وغمرتني برحمتك فأنقذت حياتي. ولكني لا أقدر أن أهرب إلى الجبل، فربما لحقني سوء فأموت. 20 أما تلك المدينة فهي صغيرة وقريبة، فدعني أهرب إليها، فأنجو لصغرها بحياتي. 21 فقال له: إكراما لك لن أدمر المدينة التي ذكرت."<sup>(8)</sup>.

(1) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4370.

(2) - مبادئ العقائد المسيحية، ص 253.

(3) - سفر زكريا، إصحاح 1: 11-12.

(4) - سفر زكريا، إصحاح 1: 16.

(5) - مرقس عزيز خليل: شفاعة العذراء والملائكة والقديسين، ط 1، (القاهرة: كنيسة القديسة مريم العذراء، 2009)، ص 17.

(6) - سفر التكوين، إصحاح 48: 16.

(7) - مرقس عزيز خليل: المصدر السابق، ص 17.

(8) - سفر التكوين، إصحاح 19: 17-21.

وعليه فالمؤمنون بشفاعة الملائكة من المسيحيين، يؤكدونها على أساس قول بولس عن الملائكة بأنهم أرسلوا لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص، بل هي ومن أوجب هذه الأعمال وأهمها، هو الاستشفاع لهؤلاء المؤمنين وحراستهم من كل شر، ومن موت النفس على الخطيئة، وغير ذلك من الإعانة الروحية<sup>(1)</sup>.

### ثالثا: شفاعة الملائكة في الطقس الكنسي

يرهن المسيحيون الذين يعتقدون بشفاعة الملائكة، تأكيدهم لهذا المبدأ العقدي بإقامة الكنائس وتسميتها باسمهم؛ ككنيسة الملاك "ميخائيل" المتواجدة في نحصون الأديرة القبطية، حيث كان يلجأ إليها الرهبان عند اشتداد الغارات على قلايهم<sup>(2)</sup>.

كما آمنت الكنيسة الأولى بوجود "ملاك حارس" لكل مؤمن وكذا الأطفال الأبرياء، جاء في إنجيل متى أن ملائكتهم الحارسة تصعد السماوات: "10 إِيَّاكُمْ أَنْ تَحْتَقِرُوا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ يُشَاهِدُونَ كُلَّ حِينٍ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. 11 فابْنُ الْإِنْسَانِ جَاءَ لِيُخَلِّصَ الْهَالِكِينَ."<sup>(3)</sup>.

يرى بعض الآباء القديسين أن المقصود بهذا النص هو تشفع ملائكة الرب من أجل من يجرسونهم على الأرض وهم يصعدون باستمرار لتقديم الشكوى أمام الله عن كل من يظلمهم<sup>(4)</sup>.

هذا وقد ترجم العالم الألماني مولر "Muller" مخطوطة قبطية عثر عليها في الصعيد، تحدث فيها البابا تيموثاوس الأول عن الملائكة ضمن عظة للشعب، وأشار فيها إلى دور الملاك الحارس، وأنه ينقذ من يرافقه لا سيما عندما يتشفع به، فيصلي الملاك من أجله ويرفع طلبه عاجلا أمام الله، فيتدخل الرب في وقت مناسب وينقذ ابنه بشفاعة ملاكه المقبولة لديه<sup>(5)</sup>.

تتبع الممارسات المسيحية في تشفعهم بالملائكة، في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية على حد سواء، من خلال ما يفعله الأب الكاهن بعد انتهاء صلوات القداس الإلهي من ملاك الذبيحة، حيث

(1) - مرقس عزيز خليل: شفاعة العذراء والملائكة والقديسين، ص 17.

(2) - ميخائيل مكسي اسكندر: الشفاعة على ضوء الكتاب المقدس، (القاهرة: مكتبة المحبة، 1998)، ص 58.

(3) - إنجيل متى، إصحاح 18: 10.

(4) - ميخائيل مكسي اسكندر: المصدر السابق، ص 62.

(5) - المصدر نفسه، ص 62-63.

يختم الكاهن طلبته بقوله: "يا ملاك هذه الذبيحة -الصاعد إلى العلو- اذكرنا أمام الآب ليغفر لنا خطايانا"<sup>(1)</sup>.

كما تتشفع الكنيسة القبطية في صلواتها بالملاك ميخائيل باعتباره الملاك الحارس للدير، وعادة ما تبنى الكنيسة باسمه في أعلى الحصن بكل دير، كما كانوا يقيمون له عيداً شهرياً في اليوم الثاني عشر من كل شهر قبطي. وتتشفع أيضاً بالملاك رافائيل، الملاك الشافي لذلك فهو يعتبر عندهم شفيع المرضى وهو في اعتقادهم من بصلواته شفي طويلاً الأب من العمى الذي أصاب عينيه<sup>(2)</sup>.

فشفاعة الملائكة في نظر المعتقدين بها من المسيحيين وإن كانت في ذاتها ليست ضرورية للخلاص غير أنها نافعة ومفيدة "للعتيدين أن يرثوا الخلاص"، فهي مساعدات لها قيمتها في طريق الجهاد لأنها تدمهم بالعون والقوة من الله وذلك بدافع المحبة والاهتمام بهم<sup>(3)</sup>.

مما تقدم يتبين لنا بأن شفاعة الملائكة عند المسيحيين من الشفاعات التوسلية لأن عمل الملائكة الرئيسي هو معاونته للمؤمنين وهذا العمل جزء لا يتجزأ من دورهم الذي وجدوا من أجله، وتتم هذه الشفاعة بحمل الملائكة للمعونة من السماء إلى البشر ويصعدون احتياجاتهم في صورة طلبات وصلوات المسيح إلى الإله الابن الجالس على العرش في السماوات، لذلك تتشفع الكنيسة بالملائكة في صلواتها. بعدما تحدثنا عن شفاعة الملائكة كإحدى أنواع الشفاعة التوسلية تأتي في العنصر الموالي لنتناول شفاعة مريم كثاني أنواع هذه الشفاعة.

### المطلب الثالث: شفاعة مريم العذراء.

تندرج شفاعة مريم العذراء ضمن الشفاعات التوسلية، بل إنها تأتي على رأس قائمة القديسين جميعاً، باعتبارها أم جميع القديسين، بل وتجعلها الكنيسة الأرثوذكسية تتقدم جميع الملائكة والقديسين والبشر أجمعين، وقبل أن نتناول شفاعة مريم، نتطرق أولاً لمكانة مريم في اللاهوت المسيحي.

(1) - ميخائيل مكسي اسكندر: الشفاعة على ضوء الكتاب المقدس، ص 63.

(2) - بيشوي حلمي: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص 462-463.

(3) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4282.

أولاً: مكانة مريم في اللاهوت المسيحي.

### 1- مريم في اللاهوت الأرثوذكسي:

تكرم الكنيسة الأرثوذكسية مريم العذراء إكراما كبيرا لاثقا مع مكانتها فهي تعتبر عند أتباع الكنيسة والدة الإله، المطلوبة من السمايين والأرضيين، الشفيعة غير الخازية التي لها دالة عند الله والدائمة البتولية الممتلئة نعمة، فهي عندهم أكرم من الملائكة وأرفع مجدا منهم<sup>(1)</sup>.

وقد افتتح كيرلس الكبير بابا الإسكندرية عظته عن العذراء مريم في مجمع أفسس الذي ترأسه سنة 431م بقوله: "السلام لمريم التيوتكس (والدة الإله) الكنز الثمين الذي وجد العالم، المصباح غير المنطفئ قط تاج البتولية قضيب الأرثوذكسية، الهيكل غير المنهدم، الموضع الذي احتوى غير المحوى، الأم الباقية عذراء"، وهذا يعتبر تعريفا لاهوتيا ومدخلا أساسيا للإيمان الأرثوذكسي وبدونه لا يقبل أحد في الإيمان<sup>(2)</sup>. كما تسمت مريم بـ"والدة الإله" في اللاهوت الأرثوذكسي؛ لأنها ولدت المسيح الله الذي ظهر في الجسد، ومن يقول بغير ذلك فيكون قد أنكر لاهوت المسيح، وتورط في الكفر، وسقط في هرطقة نسطور الذي رفض أن يلقب مريم بأم الإله قائلا بأنها أم المسيح لأن اللاهوت لا يمكن أن يولد من امرأة، إلا أن الذي ولدته مريم في نظر الأرثوذكس إنما هو إله، وقد جاء مجمع أفسس ليثبت أن مريم هي أم الإله ردا على ما قاله نسطور<sup>(3)</sup>، فكلمة "والدة الإله" ليست لقب شرف للعذراء وإنما عقيدة لاهوتية تخص طبيعة المسيح المولود من العذراء لاهوت وناسوت متحدان في شخص واحد، فمريم في العقيدة الأرثوذكسية عنصر أساسي في التجسد<sup>(4)</sup>. والكنيسة تكرم مريم "كأم الإله" تكريما يفوق كل تكريم لأي ملاك أو رئيس ملائكة، فهي في التقليد الأرثوذكسي عبدة وأم؛ فكأم الإله تكرم وتعظم ويتشفع بها، وكعبدة لا يمكن أن تعبد<sup>(5)</sup>.

(1) - علاء عيد: العذراء مريم في اللاهوت المقارن، (القدس: بطريركية الروم الأرثوذكس، 2011)، ص12.

(2) - متى المسكين: العذراء القديسة مريم، ط4، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2014)، ص62.

(3) - ميخائيل مينا: علم اللاهوت، ج4، ص123-124.

(4) - متى المسكين: المصدر السابق، ص67-68.

(5) - علاء عيد: المصدر السابق، ص13.

## 2- مريم في اللاهوت الكاثوليكي:

تحتل مريم مكانة كبيرة في الكنيسة الكاثوليكية إذ مجدت فيها بشكل يفوق كل أشكال المديح الذي تلقته من الكنائس الأخرى وتتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية في بعض الصفات المختصة بمريم وبعض التسميات كأَم الإله الممتلئة نعمة، الدائمة بتولية وغيرها<sup>(1)</sup>. فإذا كانت مريم عند الأرثوذكس ولدت كأَي إنسان آخر مثل الأنبياء والقديسين، فهي عند الكاثوليك حبل بلا دنس الخطية الأصلية<sup>(2)</sup>، أي أن والدتها مريم العذراء حملت بها بلا دنس؛ وعليه فمريم لم تكن حاملة شيء من الخطية الأصلية وذلك بسبب محبة الله لها، إذ لم يشأ أن يكون الهيكل الذي سيسكنه يوماً ملوثاً، فإن شرف الابن كان يتطلب أن لا تكون الأم مستعبدة للشيطان، وهو ما يعني أنها ولدت مخلصاً من الخطية<sup>(3)</sup>.

ويعتقد الكاثوليك بأن للعذراء دور كبير في الغفرانات التي يمنحها الباباوات لمن يتلو تلاوات خاصة، أو يزور أماكن معينة، كما تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بأن مريم العذراء هي شريكة المسيح في الفداء، كما تقر أيضاً بعقيدة انتقالها بالنفس والجسد إلى السماء وقد أقرت هذه العقيدة عام 1950م بحسب البابا بيوس الثاني عشر<sup>(4)</sup>.

## 3- مريم في الفكر البروتستانتي:

يرفض البروتستانت أن يطلق على مريم لقب والدة الإله، ويعلمون ذلك بأنهم إذا أقروا بأنها والدة الإله فهي موجودة قبل الله، فهي لم تلد إلا جسد المسيح لذلك يفضلون أن يطلقوا عليها أم يسوع<sup>(5)</sup>. وهم لا يؤمنون بدوام بتولية مريم، ويرون أنه قد كان للمسيح إخوة بالجسد<sup>(6)</sup>، أنجبتهم من يوسف، ويسوع قد دعي ابنها البكر، ويستدلون بما جاء في الإنجيل: "فَلَمَّا قَامَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ، عَمِلَ بِمَا

(1) - علاء عيد: العذراء مريم في اللاهوت المقارن، ص16.

(2) - موسوعة الخادم القبطي - لاهوت مقارن-، ط5، (القاهرة: كنيسة الشهيد مارجرس، 2009). ص84.

(3) - علاء عيد: العذراء مريم في اللاهوت المقارن، ص16.

(4) - المصدر نفسه، ص19.

(5) - المصدر نفسه، ص21.

(6) - موسوعة الخادم القبطي - لاهوت مقارن-، المصدر السابق، ج2، ص95.

أَمْرَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ. فَجَاءَ بِأَمْرَاتِهِ إِلَى بَيْتِهِ" (1)، وبما جاء أيضا في الإنجيل نفسه: "55 أَمَا هُوَ ابْنُ النَّجَّارِ؟ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟" (2).

كما لا يؤمن البروتستانت أيضا بأن العذراء مريم "ممتلئة النعمة" بل "المنعم عليها" كما يرد في الترجمات البروتستانتية، أي أنها لا تمتلك أي امتياز عن الجنس البشري (3).

ولا تعبد الكنائس البروتستانتية العذراء مطلقا، باستثناء الكنيسة الانجليكانية التي تحتفل بذكرى انتقال مريم العذراء إلى السماء في الخامس عشر من شهر أوت، وتقر صوما اختياريا لهذه الذكرى، وتحتفل أيضا بعيد طهارة القديسة مريم في الثاني من شهر فيفري، وكذلك عيد البشارة للقديسة المباركة في الخامس والعشرين من مارس، وتقوم الكنيسة في إنجلترا بإقامة ذبيحة القربان المقدس في هذين الاحتفالين، كما تحتفل الكنيسة بذكرى ولادة العذراء في الثامن من سبتمبر وبالنسبة لاحتفالهم بانتقال العذراء إلى السماء يقول الانجليكان بأنه بعد موتها انتقلت روحها إلى السماء بدون جسدها (4).

### ثانيا: شفاعة مريم في اللاهوت المسيحي

إن موضوع شفاعة العذراء هو من أكثر المواضيع التي أثرت بين المسيحيين حيث انقسموا في هذا الموضوع إلى قسمين، فمن جهة الكاثوليك والأرثوذكس يؤمنون بشفاعة العذراء وبأن لها دالة عند الله وأنها شفيعة غير خازية، ومن جهة أخرى فإن البروتستانت لا يؤمنون بشفاعتها لأن طلب شفاعة العذراء أو القديسين يعطل عمل المسيح لهم، ولأنه لا يوجد إلا شفيع وحيد وهو يسوع، غير أن الأرثوذكس والكاثوليك يفرقون بين شفاعة المسيح الكفارية وشفاعة القديسين ومريم العذراء على أنها شفاعة توسلية (5).  
فشفاعة مريم أم الإله في اللاهوت المسيحي، هي أعظم من شفاعة القديسين؛ لأهليتها الفريدة في نوعها، الجاعلة لها دالة عظيمة لدى الخالق، ولعدم أهلية الإنسان، هو ما يجعله يطلبها ويستعين بها، لأنها كلية القداسة، ولأن أهليتها نوع من اللانهاية لكونها أم الإله، كما قال القديس توما اللاهوتي: "بأن أهليتها نوع من اللانهاية بداعي كونها أم الإله" (6).

(1) - إنجيل متى، إصحاح 1: 24.

(2) - إنجيل متى، إصحاح 13: 55.

(3) - علاء عيد: العذراء مريم في اللاهوت المقارن، ص 21.

(4) - المصدر نفسه، ص 21.

(5) - المصدر نفسه، ص 64-65.

(6) - ألفونس دي ليجوري: شفاعة مريم العذراء، ترجمة: الحوري ثوزورس نجار، (القاهرة: المطبعة العصرية، 1957)، ص 13.

كما تقوم هذه الشفاعة على أساس إعلان مريم العذراء بأنها سلطانية مطلقة على السموات والأرض وأنها الملكة التي أجلسها المسيح عن يمينه كما جاء في المزمور: "الْمَلِكَةُ بِنْتُ الْمُلُوكِ عَنْ يَمِينِكَ، وَقَفَتْ فِي وَقَارٍ يَذْهَبُ أَوْفَيْرَ".<sup>(1)</sup> ومادامت عن يمينه فهي شفيعة أيضا<sup>(2)</sup>، وحجة علماء اللاهوت في ذلك مبنية على أنها والدة الإله المتأنس المسيح الإنسان متحد باللاهوت فشخصيته إلهية وبهذا فهو ملك الخليقة وبذلك فمریم شريكته في سلطانه المطلق فهي سلطانية الملائكة والرسل والشهداء كما أنه سلطانية المعترفين: "مَنْ اعْتَرَفَ بِي أَمَامَ النَّاسِ، أَعْتَرَفُ بِهِ أَمَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ"<sup>(3)</sup>.

فالاعتراف عند المسيحيين معناه إعلان حقيقة الدين أمام المؤمنين وغير المؤمنين وبهذا يشغلون مركزا مرموقا في الكنيسة بالدور الذي يقومون به لذلك اعتبرت مريم الشفيعة الخاصة للمرسلين والكهنة، فهي التي تثير في نفوس بعض الناس رغبة خاصة في اعتناق الحياة الكهنوتية أو الرهبانية لهذا تعد مريم العذراء شفيعة الدعوات الكهنوتية والرهبانية<sup>(4)</sup>.

وعلى أساس أن مريم سلطانية الأرض والسماء، تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بأن العذراء سيدة المطهر، فهي تستطيع أن تساعد وتسعف أبناءها في المطهر بأن تنتشلهم منه، بتدخلها عند ابنها من أجل تحريرهم والإسراع في إنهاء عذاباتهم<sup>(5)</sup>.

إن المكانة التي يعطيها اللاهوت الأرثوذكسي والكاثوليكي لمریم على أنها سلطانية السماوات والأرض، تدل على أنها شريكة الله في حكمه، وهذا مما لا يمكن في حق الله تعالى، لأنها بشر ولا يمكن وصفها بصفات الله، واعتقادهم فيها النفع والضرر في الدنيا والآخرة بنفسها أم بواسطة ابنها، فهم بذلك قد صرحوا بعبادتها، وهذا يدل على فساد عقيدتهم بشأنها.

كما تعد مريم الوسيطة بين المؤمنين وابنها المسيح في اللاهوت المسيحي، فبعد صعودها إلى السماء التقت بالمسيح لتعيش معه إلى الأبد، فهي بذلك شريكة له في مجده، لأنها أمدته بالحياة وشاركته بالآلام على الأرض، وبعد اتحادها بابنها في السماء كان عليها أن تكون على مثاله حية دائما، لتشفع

(1) - سفر المزامير، إصحاح 45: 10.

(2) - جون يونان: من هو شفيعة المسيح أم القديسين، (دم: طباعة جون يونان، دت)، ص 35.

(3) - إنجيل متى، إصحاح 10: 30.

(4) - يواكيم نمن: مريم العذراء، (سوريا: مطبعة الفنون، 1962)، ص 300-301.

(5) - بيار سوران: الأنفس المطهريّة، ترجمة: قبالان المصري، (لبنان: جمعية جنود مريم، دت)، ص 54.

وتتوسط للكنيسة، وللمؤمنين أبناءها الذين تسمع صلواتهم وترفعها بواسطة ابنها الالهي إلى عرش النعمة لينالوا الرحمة<sup>(1)</sup>.

غير أن هذه الوساطة عند المسيحيين تابعة وخاضعة لاستحقاقات المسيح الوسيط المطلق ووساطتها ليست ضرورية لخلاص البشر لأن وساطة المسيح وحدها ضرورية للخلاص ووساطة العذراء امتداد لوساطة المسيح ووساطتها هي شعاع لأمومتها فهي أم البشر أجمعين لتحقيق غايتهم فتتوسط بين الله مصدر كل نعمة والبشر المفترقين لهذه النعم وبهذا تسهر على الذين يدعونها طالبين معونتها لكي تقودهم إلى الحياة الأبدية بدافع الحب<sup>(2)</sup>، ويقول اللاهوتي نويل ألكسندر في هذا الصدد: "هذه هي إرادة الرب أن نتقبل كل النعم من وجوده بواسطة أمه الإلهية"<sup>(3)</sup>.

كما أن مريم العذراء عند المسيحيين الذين يعتقدون بشفاعتها، تمثل ملجأ للخطاة كما أنها أهمهم، فهي قديسة القديسين، وبغضها للخطية هو ما يجعلها تقدم مساعدتها للمخطئين، وذلك عن طريق وحيها لهم بالتوبة والرجوع إلى الله، فتحررهم بقوة شفاعتها من قيود العادات الأثيمة، ثم تحملهم إلى المصالحة مع الله<sup>(4)</sup>. ولجوء الناس إلى الاستشفاع بمريم حسب ما يبينه اللاهوتيين المسيحيون؛ سببه التلوث بالخطية التي تمنعهم من استحقاق الدنو من عرش الإله والاتصال المباشر به، وهو ما تؤكد مناجاة القديس برنردس لمريم بقوله: "يا أم الخلاص وموزعة النعم ليتنا نستأهل بشفاعتك الدنو من عرش جلال ابنك، وليت من قد أعطي لنا بواسطتك يتقبلنا بواسطتك"<sup>(5)</sup>.

هذا وتعد شفاعة مريم العذراء أعظم قدرة وفعالية من شفاعة جميع القديسين، حسب ما يقوله توما اللاهوتي: "إن القديسين يخلصوا من النفوس عدداً يكثر أو يقل، بحسب الاستحقاقات التي أحرزها كل منهم في زمن وجوده على الأرض، أما العذراء الطاهرة وهي الممتلئة من الاستحقاقات، فلها أن تخلص نفوس جميع البشر"<sup>(6)</sup>.

(1) - يواكيم نتم: مريم العذراء، ص 301-302.

(2) - المصدر نفسه، ص 304-305.

(3) - ألفونس دي ليجوري: شفاعة مريم العذراء، ص 12.

(4) - يواكيم نتم: المصدر السابق، ص 309.

(5) - ألفونس دي ليجوري: المصدر السابق، ص 08.

(6) - المصدر نفسه، ص 07.



فالوصول إلى الله كما يبينه اللاهوتي ألفونس دي ليجوري؛ لا يحصل عليه المؤمنون إلا بواسطة يسوع، والوصول إلى يسوع لا يحصلون عليه إلا بواسطة أمه، وشفاعتها تنال منه النعم التي تعطى إلى المؤمنين عن طريقها، وهذه النعم نالتها مريم بفيض الله عليها بتجسد الكلمة في أحشائها، وللمؤمنين أن يأخذوا من فيض هذه النعم بالتماس شفاعتها، لأن جميع الخيرات التي يجوزونها بتوسط العذراء بينهم وبين يسوع، فإليها ترد ومنها تصدر كل النعم<sup>(1)</sup>.

ويورد المسيحيون كمثال لشفاعة مريم العذراء؛ ما حدث في عرس قانا الجليل، إذ تقدمت من ذاتها تسأل ابنها "ليس لهم خمر"، وتحول الماء إلى خمر، وكانت بذلك شفيعة العرس كله، وهذه الحادثة تلقي الضوء على علاقة مريم بالمسيح الرب من جهة إمكانية تشفعها عن الآخرين ومدى استجابة الرب لشفاعتها، كما تظهر أيضا مقدار دالتها مع ابنها، ومدى تقبل المسيح لهذه الدالة<sup>(2)</sup>.

كما أن ما حدث في عرس قانا يعده المسيحيون أعظم مثال على قبول شفاعة القديسين الأحياء، إذ وبالرغم من أن ساعة الرب لم تأت بعد، إلا أن المسيح نزل عند شفاعة أمه العذراء وحول الماء إلى خمر<sup>(3)</sup>: "4فَأَجَابَهَا: مَا لِي وَلكِ، يَا امْرَأَةً؟ مَا جَاءَتْ سَاعَتِي بَعْدُ. 5فَقَالَتْ أُمُّهُ لِلْخَدَمِ: اَعْمَلُوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ" <sup>(4)</sup>.

إن كلام المسيح الذي يستدلون به في هذا النص، لا يدل على الشفاعة، وجوابه لها يوحى بالرفض لا بالقبول.

كما يعطي المسيحيون هذا المثال الشفاعي للعذراء بعدا آخر من حيث إسقاطه على البشرية، وحاجتها وعجزها إلى العون الروحي، والحكمة التي تسلك بها في ظلمة هذا العالم، والتي تمثلت في طلب الشفاعة والتوسل إلى الأم الشفيعة، وهذا ما يتضح من شفاعة الكنيسة: "اشفعي فينا أمام المسيح الذي ولدته"، وكأن المستشفعين بهذا يعيدون إليها وإلى المسيح وإلى أنفسهم موقف عرس قانا الجليل: "شفاعة والدة الإله...يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا"<sup>(5)</sup>.

(1) - ألفونس دي ليجوري: شفاعة مريم العذراء، ص 08.

(2) - متى المسكين: العذراء القديسة مريم، ص 102

(3) - ميخائيل يعقوب: يعلمون لا كما يريد يسوع، (القاهرة: طبع في أبرشية الجزيرة والفرات للسريان الأرثوذكس، دت)، ص 15.

(4) - إنجيل يوحنا، إصحاح 2: 4-5.

(5) - متى المسكين: المصدر السابق، ص 104.

وعلى هذا الأساس يتبين بأن شفاعة مريم عند المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك تركز على كونها أم الإله والمسيح الفادي، وعلى كونها اشتركت معه في عمله الخلاصي، وبذلك صارت أما للمؤمنين في الكنيسة الذين هم أعضاء جسد المسيح، كما تركز أيضا على كونها اشتركت مع ابنها في المجد السماوي بعد صعودها إلى السماء.

غير أن المسيحيين البروتستانت يرفضون شفاعة العذراء، ويقولون إذا كان المخلص هو المسيح فلماذا التشفع بمريم، كما يرفضون أن يطلقوا عليها لقب والدة الإله، وينكرون أيضا صعودها إلى السماء، لأن الكتاب المقدس لم يرد فيه ما يثبت ذلك وشراكتها في الفداء مع المسيح، ويعتبرون الكنيسة الكاثوليكية مبتدعة، كما يقول اللاهوتي بارث: "إن بدعة الكنيسة الكاثوليكية هي في عقائدها المريمية المريبة"<sup>(1)</sup>.

فمريم بحسب الاعتقاد البروتستانتي امرأة مباركة فلا توجد امرأة حظيت بشرف ومكانة وبركة خاصة من السماء بقدر ما حظيت به العذراء، كما أنها المرأة الطاهرة المنعمة باختيارها لهذا الحبل ولقد حياها الملاك بأنها "المنعم عليها" و"مباركة أنت في السماء" وهذه حقائق في نظرهم لا تحتاج إلى تفاسير كثيرة وتأويلات وتحملات متعددة<sup>(2)</sup>.

كما أن رفض البروتستانت لشفاعة مريم يستند إلى قولهم بخلو الإنجيل من دلائل ولو دليل واحد يدعم شفاعة مريم للمتوسلين بها أما شراكتها في الخلاص فمما ينفيه البروتستانت على أساس أنها إنسانة وهي معرضة للخطية كجميع الناس وأنها كانت تنتظر الخلاص كغيرها لقولها: "47 وَتَبْتَهِّجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي، 48 لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ، أَنَا خَادِمَتُهُ الْوَضِيعَةُ. جَمِيعُ الْأَجْيَالِ سَنُهَنِّئُنِي."<sup>(3)</sup>، فكيف تؤكد رؤساء البابوية من عصمة مريم بعد ثماني عشرة قرنا وقولهم بعقيدة الحبل بلا دنس بينما مريم نفسها لم تكن تعتقد بعصمة ذاتها<sup>(4)</sup>.

أما ما استدل به المعتقدون في شفاعة مريم، وأنها الملكة التي أجلسها المسيح عن يمينه، فهي بذلك الشفاعة أيضا، كما جاء في المزمور: "10 الْمَلِكَةُ بَنَتْ الْمُلُوكِ عَن يَمِينِكَ، وَقَفَّتْ فِي وَقَارٍ بِذَهَبِ

(1) - علاء عيد: العذراء مريم في اللاهوت المقارن، ص 96.

(2) - صفاء داود فهمي: شفاعة المسيح كيف ولماذا؟، ص 68-69، 71.

(3) - إنجيل لوقا، إصحاح 1: 47-48.

(4) - جون يونان: من هو شفيعك المسيح أم القديسين، ص 29.

أوفير<sup>(1)</sup>، فالبروتستانت يفسرون المرأة في هذا النص "بالكنيسة" وهي عروس المسيح<sup>(2)</sup>.

وبالنسبة لتلقيب مريم في مجمع أفسس بلقب "والدة الإله" وبسبب مكانتها هذه فهي تشفع في المؤمنين، فلا أساس لهذه التسمية في العهد الجديد، أما عبارة "أم ربي" الواردة في إنجيل لوقا فتعني سيدي إذ أن الرب هو السيد فعبارة "رب" تطلق على الإله كما تطلق أيضا على "رب البيت" أو "رب العمل" فهي لقب مشترك أما لفظة "الله" فهي تشير للإله الواحد و الإنجيل يخلو في كل إصحاحاته من عبارة "والدة الإله" ولو كانت مريم هي أم الإله، فالله هو الثالوث (الآب والابن والروح القدس)، وحينما نقول أم الله ينسحب هذا على أمها أم الثالوث أي أم الآب وأم الروح القدس أيضا<sup>(3)</sup>.

كما أن شفاعة مريم في عرس قانا وما جاء فيها من عبارة "ليس لهم خمر" التي وردت في الإنجيل والتي بني عليها كثير من العقائد التي نسبوها للقديسة مريم دون مستند من الإنجيل والتي استخرجوا من العبارة السابقة بأن مريم وسيطة جميع النعم وأنه لا نعمة ولا خلاص يأتي للمؤمن إلا من خلال مريم وهذا لا يدل على الشفاعة كما أن السياق الذي ورد في نص الإنجيل وإجابة المسيح واضحة: "مالي ولك يا امرأة"، فهذا لا يوجد فيه دليل على إجابة شفاعتها بل هذه العبارة تعطي الانطباع بالرفض لا بالقبول بل إن مريم طلبت من الآخرين أن ينفذوا تعاليمه كما يريد هو لا كما تريد هي لأنه صاحب السلطان والملك<sup>(4)</sup>.

إن المعتقدين في شفاعة القديسين، لا يلتزمون بما يقوله الكتاب المقدس، إنما يحولون الآيات بحسب مصالحهم ويحولونها إلى معتقدات لاهوتية تدعم نظرية التشفع بالقديسين، التي بدورها تصب في مصلحة قيادات الكنيسة، إذ عبادة القديسين والاستشفاع بهم يستفيدون ماديا، فيكثرن بها من المزارات على اسم القديسين التي تدر عليهم الملايين سنويا<sup>(5)</sup>.

(1) - سفر المزمير، إصحاح 45: 10.

(2) - جون يونان: من هو شفيحك المسيح أم القديسين، ص 35.

(3) - المصدر نفسه، ص 38.

(4) - المصدر نفسه، ص 40-41.

(5) - المصدر نفسه، ص 41.

### ثالثا: شفاعة مريم في الطقوس الكنسية

#### 1- في صلوات التسبيح

تتشفع الكنيسة بمريم العذراء في صلوات التسايح اليومية، التي تتلى تكريما للعذراء مريم، وتوسلا للرب بشفاعتها ووضعت لها طريقة خاصة في التسبيح وهي المعروفة بالثيوتوكيات السبع على سبعة أيام الأسبوع<sup>(1)</sup>.

منها ما جاء في ثيوتوكية السبت مثلا القطعة الثامنة: "...صرت لنا شفيعة أمام الله مخلصنا الذي تجسد منك لأجل خلاصنا"، وفيها يتشفعون بقولهم: "السلام لك يا أم الرحمة نحن عبيدك جيرانا طوباك يا مملوءة نعمة عند ابنك الحبيب اشفعي فينا"، كما يتشفعون أيضا بمريم لغفران خطاياهم بقولهم: "شفاعات والدة الإله القديسة مريم يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا"<sup>(2)</sup>.

كما يكرم الأرثوذكس مريم في كل ساعة من صلوات السواعي، يسألونها فيها الصلاة عنهم والشفاعة لأجلهم، منها ما جاء في صلاة باكر قبل ترديد قانون الإيمان، فيقولون: "السلام لك، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجدا العذراء في كل حين والدة الإله أم المسيح... اصعدي صلواتنا إلى ابنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا... اسألي الرب عنا ليصنع رحمة مع نفوسنا ويغفر لنا خطايانا أيتها العذراء مريم والدة الإله القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشرية اشفعي فينا أمام المسيح الذي ولدته لكي ينعم لنا بغفران خطايانا..."<sup>(3)</sup>.

لقد ورد في مجمع القديسين، التشفع بمريم العذراء والملائكة والقديسين؛ حيث يطلب المسيحيون من القديسين في مجمع التسبيحة شفاعتهم وطلباتهم فيقولون: "اشفعي فينا يا سيدتنا كلنا، السيدة والدة الإله مريم، أم مخلصنا ليغفر لنا خطايانا، اشفعا فينا يا رئيس الملائكة الطاهرين ميخائيل وغابريال ليغفر لنا خطايانا... اشفعوا يا كهنة الحق الأربعة والعشرون قسيسا ليغفر... اطلبوا من الرب عنا يا سادتي الأنبياء والبطاركة، إبراهيم وإسحاق ويعقوب ليغفر... اطلب يا رئيس الشماسة المبارك، إسطفانوس الشهيد

(1) - متى المسكين: العذراء القديسة مريم، ص 19.

(2) - تسبحة أيام شهر كيهك المبارك بحسب ترتيب آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، (القاهرة: دار نوبار للطباعة، رقم الإيداع 20458 / 2007)، ص 51-52، 111.

(3) - تادرس يعقوب ملطي: القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس الأوفست، 2003)، ص 75.

الأول ليغفر..."<sup>(1)</sup>.

ومن صور استشفاع الكنيسة الكاثوليكية بمريم؛ ما يقال في صلاة نصف الليل وغيرها: "افتحي لنا باب التحنن يا والدة الإله المباركة، فإننا باتكالنا عليك لا نخيب وبك نخلص من كل المحن لأنك أنت خلاص لجنس المسيحيين". وفي الاكسابستلاريات<sup>(2)</sup> يقال: "يا رجاء من لا رجاء لهم والدة الإله ذات كل مديح إليك أهتف باكيا من صميم قلبي فأنقذيني يا عذراء من وهاد الجحيم وخلصيني" وفيها يقال أيضا: "يا والدة الإله الأم العذراء بما أنك عذوبة الملائكة وسلوة المحزونين وشفيعة المسيحيين أعضدنا واعتقينا من النار الأبدية"<sup>(3)</sup>.

ففي قانون مجمع القديسين يقال: "يا أيتها الكلية الطهارة، يا من ولدت الكلمة الكلي القدس، أقصي عن قلبي كل كآبة وحزن، ووقفني فكري ليعمل الأعمال الإلهية، لكيما أجدك بإيمان وشوق وأسبحك". وفي بعض التسيبحات الكنسية ما جاء في التسيبحة الثامنة: "أيتها البتول اشفي أمراض نفوسنا وطبي أوجاع أجسادنا لكيما يمجذك يا نقية إلى سائر الأنهار"<sup>(4)</sup>.

فهذه الترانيم التي في مجملها تدخل في إطار التشفع بوالدة الإله تعبر عن تعاليم عقديّة عن شفاعة مريم العذراء على أساس ما لها من القوة العظيمة في استعطاف المسيح الإله وإن كان الخلاص يأتي منه وأما العذراء والقديسون فهم يتشفعون لهم أمام الله<sup>(5)</sup>.

مما سبق يتبين أن الطلبات التي يطلبها المسيحيون من مريم، لا ينبغي طلبها إلا من الله وحده، فطلب الغفران والنجاة من النار وصور الاستغاثة والاستشفاع كل هذا يوحى باعتقاد الإلهية في مريم، وهو ما رد الله عليه في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ

(1) - تسبحة أيام شهر كيهك المبارك بحسب ترتيب آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ص 268-272، أنظر أيضا، زكريا السرياني: القداس الإلهي، مراجعة: رافائيل، (دم: در، 2005)، ص 72.

(2) - الاكسابستلاريات: الاكسابستلاري (الإرسال) وهي أنشودة تشير إلى إرسال المسيح رسله إلى العالم للتبشير باسمه وهي التي تترنل أيام الآحاد، أنظر، تسميات ليتورجية رومية باليونانية مع تعريبها، منقول من الموقع: [www.josephzzitoune.com/2014/10](http://www.josephzzitoune.com/2014/10). تم التصفح يوم: 2016/9/10.

(3) - ميخائيل مشاققة: الرسالة الموسومة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، ص 36.

(4) - المصدر نفسه، ص 37-38.

(5) - أغايبوس أبو سعدي: ليتورجيا القداس الإلهي بين اللاهوت والرمزية، (بيروت: منشورات المكتبة البولسية، 2013)، ص 242.

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّهِ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١﴾<sup>(1)</sup>.

## 2- في ليتورجيا القديس

من صور الاستغاثة بالقدسين المتنقلين في صلوات القديس في الكنيسة الكاثوليكية، الاستغاثة بالقديسة مريم، وهو ما ورد في طقس رفع بخور عشية وباكر، وفي قداس الموغوظين عند قراءة البولس (رسائل بولس)، والابركسيس (الأعمال)، أن الكاهن المبخر عندما يفرغ من التبخير جهة الشرق يتجه إلى جهة البحرية ويبخر ثلاث أيادي، ففي الأولى يقول: السلام لك يا مريم الحمامة الحسنة وفي اليد الثانية يقول: السلام لك أيتها العذراء الملكة البارة للحقيقة، السلام لفخر جنسنا ولدت عمانوئيل وفي اليد الثالثة يقول: نسألك أذكرنا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا<sup>(2)</sup>.

كما يتشفعون أيضا بمريم في لحن البركة، الذي يقولونه بعد رفع بخور باكر وقبل قراءة الكاثوليكون (الرسائل الجامعة بطرس يوحنا يعقوب يهوذا) في صوم الرسل، وفي سرد إنجيل باكر، وإنجيل القديس في صوم العذراء، وفي مناسبات أخرى: "اشفعي فينا يا سيدتنا كلنا السيدة والدة الإله مريم، أم يسوع المسيح مخلصنا حتى يغفر لنا الرب خطايانا"<sup>(3)</sup>.

إن صلوات الاستشفاع بالقديسة مريم العذراء كثيرة في الكنيسة القبطية لاعتقادهم بمكانتها العظيمة وشفاعتها المقبولة والسريعة في فعلها لأنها القريبة إلى قلب ابنها والجالسة عن يمينه في السماء ففي صلوات القديس يهتف الشعب بعد الأسبسمس<sup>(4)</sup>، الآدام<sup>(5)</sup>، قائلاً: "بشفاعات والدة الإله القديسة مريم، يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا"، كما يلجأ إليها الكثير لفك ضيقاتهم، اعتقاداً منهم بأن لها سرعة الاستجابة

(1) - سورة المائدة، الآية 116.

(2) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4346.

(3) - المصدر نفسه، ص 4346.

(4) - الأسبسمس: كلمة يونانية وقبطية تعني سلام أو قبلة السلام، أنظر، ميخائيل مكسي اسكندر: موسوعة الطقوس الكنسية القبطية، ج 3، ص 61.

(5) - الآدام: نعمة قصيرة لبعض ألحان التسبحة تقال أيام الأحد والإثنين والثلاثاء، وتشير إلى البدء، وسميت كذلك لأنها رتبت على أول تذاكية يوم الإثنين ومطلعها: "آدم فيما هو حزين..."، أنظر ميخائيل مكسي اسكندر: المصدر السابق، ج 1، ص 83.

لمكانتها الرفيعة<sup>(1)</sup>.

### 3- في الأعياد

تحتفل معظم الكنائس المسيحية بأعياد خاصة بمريم العذراء، ورتبت لذلك تواريخ تعيد فيها ذكراها وتكرّمها كعيد ميلادها ونياحتها وصعود جسدها وغيرها، وفي هذه الأعياد يقدم لها المسيحيون التماجيد، وينشدون الترانيم تعظيما و تكريما لها ويطلبون الشفاعة منها عند ابنها الحبيب<sup>(2)</sup>.

إن تخصيص مريم بالدعاء والصيام هو من العبادة التي لا تقدم إلا لله حتى أنهم جعلوا لها صوما خاصا بها وأعياد يطلبون فيها شفاعتها كما أن طقوس الكنيسة مليئة بالصلوات والتضرعات والطلبات التي تقدم لها مباشرة من دون الله وكأنها إلهة تسمع وتستجيب في كل زمان وفي كل مكان.

فمن أمثلة ما يقولونه في التماجيد عند الأقباط الأرثوذكس: "اشفعي فينا يا سيدتنا كلنا"<sup>(3)</sup>.  
ومن الترانيم التي تقدم في الأعياد المريمية في الكنائس القبطية يطلبون فيها شفاعدة مريم العذراء ترنيمه "في حبك سنقول أجمل التسايح" يقولون فيها:

في حبك سنقول أجمل تسايح ولاسّمك أحلى ترانيم ومديح  
يا مريم كوني في وسطينا واشفعي فينا يا أم المسيح

وهناك ألحان كثيرة لمناسبات الأعياد تتغنى بمريم العذراء كترنيمه "السلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقية" أو "افرحي يا مريم"، إضافة إلى ألحان التسيحة، وخلال شهر كيهك تمدح فيه الكنيسة العذراء وتتأمل في الميلاد البتولي، وفي حياتها والتشفع بما لنيل بركتها المقدسة<sup>(4)</sup>.

### 4- الأيقونات

لمريم العذراء حضور كبير في العائلات المسيحية وكنائسها عبر التاريخ، حيث انتشرت الرسوم التعبيرية والأيقونات الحاوية على صورتها في أغلب المناطق المسيحية، ومنذ القرون الوسطى زخرت القاعات بالصور والأيقونات والتماثيل ولا تزال حاضرة في الفن الكنسي<sup>(5)</sup>.

(1) - فيلبس: السحابة المتألقة في دقادوس، ط4، (القاهرة: مكتب النسر للطباعة، 1994)، ص269.

(2) - المصدر نفسه، ص270-276.

(3) - متى المسكين: العذراء القديسة مريم، ص24.

(4) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج 2، ص135.

(5) - باسل سليم يلدو: مريم العذراء في حياة المؤمنين، (و.م.أ: در، 2007)، ص40.

كما تعتبر الأيقونة من الناحية الطقسية، وسيلة للتأمل والصلاة خاصة في الكنائس الأرثوذكسية<sup>(1)</sup>، وتعتمد في تكريمها لمريم على أساس أنها أم الإله كملكة السماء تقف عن يمين الملك، لذلك يتمسك التقليد الكنسي في الأيقونة بأن لا ترسم مريم العذراء بمفردها، بل يحتم التقليد أن ترسم حاملة المسيح على ذراعها<sup>(2)</sup>.

لقد حظيت الأيقونات الخاصة بمريم العذراء اهتماما كبيرا من طرف المسيحيين، حيث يقدم البخور أمامها، ويطلب الكاهن قائلا: "افرحي أيتها الحمامة الحسنة التي حملت الله الكلمة من أجلنا...الفرح لك أيتها العذراء، الملكة الحقيقية، السلام لفخر جنسنا ولدت لنا عمانوئيل يسوع المسيح، لكي يغفر لنا خطايانا"<sup>(3)</sup>.

وتقدم الكاهن البخور أمام أيقونة العذراء يكون بغية أن تشفع بصلاتها عن المؤمنين الحاضرين، فيرتفع البخور أمام الله حاملا صلواتهم وصلواتها، ويدل عليه ما جاء في ثيغوطوكية الأحد في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: "لا أخطئ في شيء إذا دعوتك المجرمة الذهبية، لأن تلك كان يرفع فيها البخور المختار أمام الأقداس، فيصفح الله هناك عن خطايا الشعب من قبل المحرقات ورائحة البخور، وأنت أيضا يا مريم حملت في بطنك، الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة"<sup>(4)</sup>.

وانطلاقا من عظمة وقداسة مريم في وجدان المسيحيين يتأكد الإيمان بشفاعتها، ويرمز لهذه الشفاعة بتصور مريم رافعة ذراعها نحو السماء، كما هو موجود في كنيسة روما، لذلك فالذين يعترفون بقدسيتها وعظمتها يعلمون أن رسالتها في السماء، هي رسالة الشفاعة الدائمة من أجل المؤمنين على الأرض، أو علاقتهم بها لا بد وأن تكون علاقة التشفع باعتبارها سيدتهم لأنها والدة الإله<sup>(5)</sup>.

غير أن هذه الممارسات الكنسية ينتقدها البروتستانت، لأن التضرع وطلب المعونة من هذه الصور لا ينبغي طلبها إلا من الله وحده<sup>(6)</sup>.

(1) - باسل سليم يلدو: مريم العذراء في حياة المؤمنين، ص 42.

(2) - متى المسكين: العذراء القديسة مريم، ص 110.

(3) - تادرس يعقوب ملطي: القديسة مريم، ص 66.

(4) - متى المسكين: المصدر السابق، ص 111.

(5) - جون هنري نيومان: شفاعة مريم العذراء، مقال منشور بتاريخ 26/01/2016، موقع [abounanourad.net/216/03](http://abounanourad.net/216/03)، تم التصفح يوم: 2016/10/13.

(6) - ميخائيل مشافة: الرسالة الموسومة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، ص 03، 23.



فالكنيسة الطقسية وغيرها ممن يجري مجراها، قد تجاوزت الحدود في إكرام القديسين، ولم يبق الأمر محصور في ممارسة التشفع، وإنما بالصلاة، التضرع، طلب الشفاء، الحماية، الشفاعة والمعونة، بل وحتى الخلاص من الخطية، والنجاة من الدينونة، كما يرفعون البحور أمام تماثيل العذراء والقديسين، ويسجدون لهم ويسبحونهم بالتراتيل ويخصصون لهم أعياد ومواسم، كصوم العذراء وغيرها، وكل هذه الأفعال مما يجب تقديمه لله الآب والابن فقط<sup>(1)</sup>.

مما تقدم يتبين لنا بأن شفاعة مريم العذراء من الشفاعات المختلف فيها بين المسيحيين فيرفضها البروتستانت على أساس أنه لا شفاعة لأحد مع المسيح فهو الشفيع الوحيد ويؤمن بها الكاثوليك والأرثوذكس على أساس أنها شفاعة توسلية تأسست على أساس مكانة مريم في اللاهوت المسيحي، فهي أم الإله وشريكته في سلطانه المطلق، وما دامت على يمينه في السموات فهي شفيعة أيضا تشفع للمؤمنين وترفع صلواتهم إلى ابنها الإلهي لينالوا الرحمة، ويزيد الكاثوليك على ذلك أنها سيّدة المطهر لأنها تستطيع أن تنقذهم من عذابه بشفاعتها عند ابنها، لذلك كان ارتباط شفاعة مريم بالكنيسة أشد ارتباطا، فيتشفع بها المؤمنون في صلوات التسبيح، وفي القديس، وفي الأعياد المخصصة لها، وكذلك يتشفعون عند الأيقونات المخصصة لها في الكنائس.

بعدها تطرقنا إلى شفاعة مريم نأتي في العنصر الموالي لبحث شفاعة القديسين كثالث أنواع الشفاعة التوسلية.

## المطلب الرابع: شفاعة القديسين

### أولاً: مفهوم شفاعة القديسين

#### 1- معنى كلمة قديس

فقديس يقابلها في العبرية "قوديش" التي تعني القطع والفصل، أو المنفصل أو المميز<sup>(2)</sup>. واستخدمت الكلمة في العهد الجديد؛ إذ كثيرا ما يذكر فيه ارتباطها بالأفراد المؤمنين، فكثيرا ما يوصف المؤمنون بالمسيح، بأنهم "قديسون" أو مقدسون، إذ بالإيمان بالمسيح يبرر الله الخطاة، فيصيرون

(1) - جون يونان: من هو شفيحك المسيح أم القديسين، ص 09.

(2) - سبق تعريف الكلمة، أنظر الرسالة، ص 57-58.

قديسين<sup>(1)</sup>.

كما استخدمت الكلمة في العهد الجديد لتشير إلى جماعة المؤمنين الأوائل في الكنيسة، وقد اتسع استخدام الكلمة لتشمل فيما بعد جميع المؤمنين<sup>(2)</sup>، لأن الروح القدس يشرك المسيحي في قداسة الله، ف قوة الروح القدس حسب النظرة المسيحية ينالها المؤمن المسيحي بالمعمودية، ويقطع صلته بالخطية والعمل بحسب متطلبات القداسة جوهرًا وشكلًا وفكرًا<sup>(3)</sup>، فكل المؤمنين المسيحيين هم قديسين لأن القداسة ليست حالة وإنما هي مقام، ومقام المؤمنين أنهم قديسون لأنهم ولدوا من الله بإيمانهم بالرب يسوع فصاروا أبناء الله فهم قديسين لأنهم في المسيح وبما فعله لأجلهم فصاروا مخصصين له<sup>(4)</sup>.

## 2- تعريف شفاعة القديسين

بناء على ما جاء في تعريف الشفاعة التوسلية سابقًا نقول بأن شفاعة القديسين كما عرفها القمص زكريا بطرس بأنها توسلات وتضرعات وصلوات المؤمنين بعضهم لأجل بعض من منطلق المحبة وعضوية جسد المسيح<sup>(5)</sup>.

كما جاء أيضا تعريف شفاعة القديسين عند الأقباط الأرثوذكس بأنها: " طلب معونة رجال الله القديسين وتوسلهم من أجلنا ومعنا أمام الله لدالتهم القوية عنده لكي يمهنا الله ويسهل لنا طريق التقوى ويهدينا إلى التوبة ويرفع غضبه عنا أو لينزع عنا ضائقة ما أو شدة أو مرض أو لينقذنا من عدو خفي أو ظاهر"<sup>(6)</sup>.

وتعرف دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة بالإنجليزية عقيدة التشفع بالقديسين على أنها: " تضرع يرفعه شخص مخول من الله طالبا الرحمة لمن يحتاجها"<sup>(7)</sup>.

وعلى هذا الأساس يتبين بأن صلاة المسيحي إلى القديسين هو من أجل أن يستجيب الله له بشفاعتهم لاعتقاده بمكانتهم الرفيعة وحظوتهم التي ينعمون بها عند الله.

(1) - صموئيل حبيب وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، ج6، ص194.

(2) - صفاء داود فهمي: شفاعة المسيح كيف ولماذا؟، ص17.

(3) - ميخائيل يعقوب: يعلمون لا كما يريد المسيح، ص12.

(4) - جون يونان: من هو شفيعك المسيح أم القديسين؟، ص05.

(5) - زكريا بطرس: الشفاعة، مقال منشور بموقع [www.alkalema.net/article/shaafaa](http://www.alkalema.net/article/shaafaa) . تم التصفح يوم: 2015/11/25

(6) - مبادئ العقائد المسيحية، ص253-254.

(7) - Charles G. Herbermann and authers: **The catholic encyclopedia**, Vol 08, p71.

## ثانيا: شفاعة القديسين في اللاهوت المسيحي

تحتل شفاعة القديسين مكانة هامة في الفكر الأرثوذكسي والكاثوليكي وهي على ثلاثة أنواع:

### 1- شفاعة المؤمنين الأحياء لأجل الأحياء.

تعد شفاعة أو صلاة إنسان لأجل إنسان أحد الأنواع التي تندرج ضمن شفاعة القديسين فعادة ما تستند الصلاة إلى القديسين على عقيدة التشفع بالقديسين التي تعلمها الكنيسة الكاثوليكية لأتباعها باستمرار<sup>(1)</sup>، لأنها تعبر عن عاطفة المحبة والاهتمام بالآخرين، فالاستشفاع بالقديسين يقوي روابط المحبة بين المؤمنين المستشفعين والقديسين، وهذه المحبة تقوي الاتجاه الروحي في السلوك اليومي لديهم<sup>(2)</sup>، فالصلاة من أجل الآخرين يعتبرها المسيحيون دليل حب القديسين لهم والاهتمام بأمرهم وتدخل في باب السعي لخيرهم، فعقيدة شفاعة القديسين يسر بها الله لأنها برهان رضى القديسين عن الذين يشفعون فيهم وعن حبهم لهم والله يسر بسيادة مبدأ الرحمة بين الجميع<sup>(3)</sup>.

كما أن عقيدة الشفاعة التوسلية تنطوي على فضيلة الاتضاع أي أن الإنسان ينزل إلى مستواه ويعرف قدر نفسه وقدر غيره ومن يستشفع بغيره يرى نفسه خاطئا أمام الله وهذه الخطيئة قد أفقدته رضى الله والاقتراب منه لذلك يلجأ إلى الاستغاثة بغيره لإعانتة في طلب رحمة الله عليه، اعتقادا منه بأن هذا الغير أبر منه وأقرب إلى الله منزلة وأكثر صلاحا، فقبول السؤال هنا يكون لا من أجل نفسه بل من أجل الله ومن أجل القديسين الذين أرضوه بأعمالهم الصالحة<sup>(4)</sup>.

فاستشفاع المسيحي بالقديسين يقوم على الاعتقاد بأن القديسين لهم إمكانيات أكبر من إمكانيات غيرهم من البشر بسبب شفافتهم الروحية ودالتهم عند الله وطهارتهم كما أن صلواتهم مقبولة لأن صلاة البار تقتدر كثيرا في فعلها<sup>(5)</sup>: "17 كَانَ إِبِلِيَّا إِنْسَانًا بَشَرًا مِثْلُنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَصَلَّى بِحَرَارَةٍ حَتَّى لَا يَنْزِلَ الْمَطَرُ، فَلَمْ يَنْزِلِ الْمَطَرُ عَلَى الْأَرْضِ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ. 18 ثُمَّ عَادَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ خَيْرَهَا."<sup>(6)</sup>

(1) - ميخائيل مكسي اسكندر: الشفاعة على ضوء الكتاب المقدس، ص 19.

(2) - مبادئ العقائد المسيحية، ص 255.

(3) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4269.

(4) - المصدر نفسه، ص 4269.

(5) - مبادئ العقائد المسيحية، المصدر السابق، ص 255.

(6) - رسالة يعقوب، إصحاح 5: 17-18.

هذا وينسب بعض المسيحيين إلى القديسين علم الغيب لأن القديس الحي في نظرهم يسكنه روح الله الذي له علم ويعلم كل شيء وبالتالي يفويض على القديسين بهذا العلم، مما يجعل الناس يسلمون بأن القديسين يعلمون الغيب، وهذه القدرات أحد أهم الإمكانيات التي تمنحهم أسباب الاستشفاع بهم<sup>(1)</sup>. إن نسبة علم الغيب للإنسان ولو كانت معرفة جزئية من الأمور المرفوضة، لأن هذا ادعاء نسبة ما هو من اختصاص الله تعالى وجعل نفسه شريكا له في ذلك، وما أظهره الله للأنبياء فهو من باب التأييد، فالأصل في الغيبات من الأمور التي اختص الله بعلمها قال تعالى: "قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ"<sup>(2)</sup>.

كما أن شفاعاة القديسين عند المعتقدين بها من المسيحيين، لا تعبر عن معرفة كاملة بإرادة الله ومشيئته حتى ولو كان المصلون خداما أمناء وشهودا أتقياء لله، لأن رؤية الإنسان محدودة وكثيرا ما يعجز الإنسان عن رؤية ما يخططه الله لنا في المستقبل، فالله يعلن بأنه كثيرا ما طلب قديسوه المؤمنين طلبات لم تستجب لهم لعدم درايتهم أو فهمهم لمشيئة الله وكثيرا ما استجيبت أيضا لأنها قدمت وفق مشيئته<sup>(3)</sup>. ومن النصوص التي يستدلون بها أيضا على صلوات القديسين للآخرين: "16لِيَعْتَرَفَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِخَطَايَاهُ، وَلِيُصَلِّ بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ حَتَّى تَنَالُوا الشِّفَاءَ. صَلَاةُ الْأَبْرَارِ لَهَا قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ."<sup>(4)</sup>.

كما أكد العهد الجديد على الصلوات الشفاعية والطلبات التي ترفع إلى الله عن الناس والتضرعات له من أجل الكل فقد طلب بولس من المؤمنين في الكنيسة في أفسس أن يصلوا من أجل جميع القديسين ومن أجله<sup>(5)</sup>: "18لَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرَةِ، فَفِيهَا الْخَلَاعَةُ، بَلْ امْتَلِنُوا بِالرُّوحِ، 19وَتَحَدَّثُوا بِكَلَامِ الْمَزَامِيرِ وَالتَّسَابِيحِ وَالأَنَاشِيدِ الرُّوحِيَّةِ، رَتِّلُوا وَسَبِّحُوا لِلرَّبِّ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ."<sup>(6)</sup>.

وثمة أيضا أمثلة كتابية عن شفاعاة الأنبياء القدماء للبشر في العالم في أيامهم، منها مثلا شفاعاة إبراهيم من أجل سدوم وإن كانت من الشفاعات غير المستجابة، وكذلك شفاعته من أجل إسماعيل،

(1) - مرقس عزيز خليل: شفاعاة العذراء والملائكة والقديسين، ص 8.

(2) - سورة النمل، الآية 65.

(3) - صفاء داود فهمي: شفاعاة المسيح كيف ولماذا؟، ص 31.

(4) - رسالة يعقوب، إصحاح 5: 16.

(5) - ميخائيل مكسي اسكندر: الشفاعاة على ضوء الكتاب المقدس، ص 26.

(6) - رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، إصحاح 5: 18-19.

وكانت شفاعته مستجابة وهو ما جاء في سفر التكوين: "20 وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَسَمِعْتُ لَكَ. وَهَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأَنْمِيهِ وَأَكْثِرُهُ جِدًّا، وَيَلِدُ ابْنًا لِي عَشْرَ رِئِيسَاءَ، وَأَجْعَلُهُ نَسْلَهُ أُمَّةً عَظِيمَةً." (1).

وهذه أمثلة على سبيل الذكر لا الحصر، كما يستدلون بأن تاريخ الكنيسة مليء بأمثلة عملية لشفاعة القديسين الأحياء من أجل الذين طلبوا منهم أن يصلوا إلى الله من أجلهم ونالوا مرادهم، ولهذا يمضي المؤمنون إلى القديسين والآباء المشهود لهم، والمؤيدون بالروح القدس ومواهبه، للصلاة من أجلهم ونوال بركة صلواتهم.

## 2- شفاعة الأحياء من أجل الأموات:

يتضح هذا النوع من الشفاعة من خلال صلوات بولس لأجل أنيسييفورس: "17 بَلْ أَخَذَ يَبْحَثُ عَنِّي عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى رُومَةَ حَتَّى وَجَدَنِي. 18 أَنْعَمَ الرَّبُّ عَلَيْهِ بِأَنْ يَبَالَ الرَّحْمَةَ مِنَ الرَّبِّ يَوْمَ مَجِيئِهِ! وَأَنْتَ تَعْرِفُ جَيِّدًا كَمْ خَدَمَنِي وَأَنَا فِي أَفْسَسَ." (2).

فالمسيحون حينما يطلبون الصلاة لأجل المتقلين إنما تطلب لهم "النياح" أي الراحة على مستويين، الأول في يوم الدين والثاني وهم في مقر الانتظار، وذلك بطلب الرحمة والغفران وهو ما فعله القديس بولس من أجل أنيسييفورس (3).

إن الكنيسة تؤمن بفعالية الصلاة لأجل الأموات لذلك تصلي عليهم ولأجل كل المؤمنين من أجل راحتهم وطلب الرحمة لهم (4)، وذلك انطلاقاً من حاجة الأموات إلى شفاعة القديسين حتى يغفر الله لهم وطالما أن يوم الدينونة لم يأت زمانه بعد، ومادام عهد الرحمة ممتداً إلى يوم الدينونة فالشفاعة لها قيمتها ولها عملها وجدواها ولهذا تلجأ الكنيسة في الأرض إلى المرحم الإلهية، فتترحم على أولادها لأجل الصفح عن هفواتهم وسهواتهم (5)، فقد جرت عادة الآباء القدماء على حمل أجساد الموتى إلى الكنيسة بالترانيم والمزامير للصلاة عليهم والتشفع من أجل المؤمنين بالفادي ولا تصلي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على

(1) - سفر التكوين، إصحاح 17: 20.

(2) - رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس، إصحاح 1: 17-18.

(3) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4359.

(4) مبادئ العقائد المسيحية، ص 265-266.

(5) - غريغوريوس: المصدر السابق، ص 4359.

المتحرين اليائسين من خلاصهم ولا على المجرمين العتاة الذين ماتوا في إصرار تام على شرورهم ورفضهم للتوبة<sup>(1)</sup>.

فالصلوات وتراحيم القداسات التي ترفع من أجل الأموات، لا يستفيد منها الأشرار الهالكون، بل تستفيد منها أرواح التائبين فقط ممن آمنوا واعتمدوا، لذلك فإن قوانين الرسل (1: 69)، والسنة الرسولية (8: 43)، تقول إن الشرير لن ينتفع حتى ولو قدمنا له صدقات بالنيابة عنه إلى الفقراء<sup>(2)</sup>.

والصلاة على الموتى تقليد رسولي قديم؛ أي منذ الكنيسة الأولى، فقد ورد في قوانين الرسل ما نصه: "اجتمعوا في أماكن دفن الراقدين (أو عند المذبح الذي يحمل اسمهم بالكنيسة) وأقروا الكتب المقدسة، رنموا للشهداء والقديسين الذين رقدوا، وأقيموا لهم القداسات".

ولما كان الإنسان ليس بمقدور أن يحقق القداسة التامة في كل مدة حياته الأرضية، بدليل ما شهد به بولس الرسول عن نفسه وعن غيره من المؤمنين في الرسالة إلى رومية: "14 وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ رُوحِيَّةٌ، وَلَكِنِّي بَشَرٌ بِيَعُ عَبْدًا لِلْخَطِيئَةِ"<sup>(3)</sup>.

بهذا المفهوم الكتابي تصلي الكنيسة في الأوشية<sup>(4)</sup> عن الراقدين، فتقول: "وإن كان لحقهم توان أو تفريط كبشر وقد لبسوا جسدا وسكنوا في هذا العالم فأنت كصالح ومحب للبشر... يارب نيحهم واغفر لهم، فإنه ليس أحد طاهرا من دنس ولو كانت حياته يوما واحدا على الأرض..."<sup>(5)</sup>.

كما تقيم الكنيسة القداسات وترفع الذبيحة لأجل الراقدين لأن الأفخارستيا هي شفاعنة دائمة قائمة من أجل المجاهدين والمنتقلين ويضع الكاهن البخور بأسمائهم عقب المجمع في القداس الإلهي وفي مناسبات أخرى كثيرة يوزع البخور على الشعب ليذكر الناس موتاهم على كل حبة من حبات البخور ليضعها الكاهن في الجمرة لأجل راحتهم وطلب الرحمة لهم وفي آخر المجمع يصلي الناس بقولهم: "بركتهم المقدسة فلتكن معنا آمين... يا رب ارحم يا رب باركنا يا رب نيحهم آمين"، ويقول العلامة ترتليانوس

(1) - ميخائيل مكسي اسكندر: الشفاعنة على ضوء الكتاب المقدس، ص 50-51، أنظر أيضا، غريغوريوس: الموسوعة، ص 4365.

(2) - شنودة ماهر اسحاق: حالة أرواح الراقدين وفائدة الصلاة من أجلهم، ط3، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس الأوفست، 2002)، ص 82.

(3) - رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 7: 14.

(4) - الأوشية: هي صلوات شفاعنية تقدم إلى الله، وهي سبع (السلام، الآباء، القسوس، الرحمة، الموضع، المياه والزرع، القرايين)، أنظر، ميخائيل مكسي إسكندر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، (القاهرة: مكتبة المحبة، دت)، ج3، ص 70.

(5) - شنودة ماهر إسحاق: المصدر السابق، ص 88.

(160-220م تقريبا): "إن الذبيحة غير الدموية في سر الشكر تقدم عن الأحياء والأموات"، فالقداسات نافعة للمتقلين لراحتهم وكذلك أعمال الرحمة والصدقات التي تقدم باسمهم<sup>(1)</sup>.

### 3- شفاعاة الأموات من أجل الأحياء:

شفاعة القديسين حقيقة واقعية يعتقد فيها أتباع الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية وذلك انطلاقاً من اعتقادهم في أن المتقلين إلى السماء هم أحياء وليس أمواتاً<sup>(2)</sup>، لذلك يطلب المؤمنون في صلواتهم شفاعات القديسين، فالقديسون في نظرهم أحياء بعد انتقائهم من الأرض إلى السماء فهم يحسون بالأحياء ويتحركون في اتجاههم ويساعدونهم بصلواتهم وتشفعاتهم ويستدلون على ذلك بما جاء في قول المسيح للصدوقيين الذين أنكروا القيامة<sup>(3)</sup>: "24فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: أَنْتُمْ فِي ضَلَالٍ، لِأَنَّكُمْ تَجْهَلُونَ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ وَقُدْرَةَ اللَّهِ. 25فَفِي الْقِيَامَةِ لَا يَنْزَاوَجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاوَاتِ. 26وَأَمَّا أَنْ الْأَمْوَاتَ يَقُومُونَ، أَفَمَا قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى خَبَرَ الْعُنُقَةِ، كَيْفَ كَلَّمَهُ اللَّهُ فَقَالَ: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَهُ إِسْحَاقَ، وَإِلَهُ يَعْقُوبَ؟ 27وَمَا كَانَ إِلَهُ أَمْوَاتٍ، بَلْ هُوَ إِلَهُ أَحْيَاءٍ. فَمَا أَعْظَمَ ضَلَالَكُمْ!"<sup>(4)</sup>.

فهذه الحياة التي يحيها القديسون في اللاهوت المسيحي تكون مع الملائكة في السماء، كما أنهم ينسبون إليهم العلم بما يجري لإخوانهم على الأرض كما كانوا يعملون في الأرض وبالتالي يستطيعون أن يشفعوا في المؤمنين<sup>(5)</sup>، وهذه المعرفة بحسب اعتقادهم ليست من ذواتهم وبقوة طبيعتهم ولكنها بوحى من الله كما هي عند النبي صموئيل الذي عرف السرائر التي يكنها شاول وأخبره بأن الأثن الضالة قد وجدت، وأن الرب سيقمه ملكاً<sup>(6)</sup>: "19فَأَجَابَهُ صَمُوئِيلُ: «أَنَا هُوَ الرَّائِي. فإِصْغَدَا أَمَامِي إِلَى التَّلَّةِ وَكُلَّ الْيَوْمِ مَعِي، وَفِي الْعَدِ أَخْبِرْكُمْ عَنْ كُلِّ مَا فِي قَلْبِكُمَا، وَأَصْرِفْكُمْ. 20أَمَّا الْحَمِيرُ الَّتِي ضَلَّتْ لَكَ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَلَا يَنْشَعِلُ بِأَنَّكَ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا وَجِدَتْ. وَالآنَ لِمَنْ سَتَكُونُ كُلُّ ثَرْوَةٍ فِي إِسْرَائِيلَ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ وَلِكُلِّ بَيْتِ أَبِيكَ؟»"<sup>(7)</sup>.

(1) - مبادئ العقائد المسيحية، ص 266-267.

(2) - حبيب جرجس: الصخرة الأرثوذكسية، ط 5، (القاهرة: در، 1985) ص 114-115.

(3) - موريس ويصا ديمتريوس: شفاعاة القديسين، ص 50.

(4) - إنجيل مرقس، إصحاح 12: 24-27.

(5) - ميخائيل مينا: علم اللاهوت، ج 3، ص 463، أنظر أيضاً، نجيب سليمان جميل: قضايا إيمانية، ج 2، ص 115.

(6) - حبيب جرجس: المصدر السابق، ص 115، أنظر أيضاً، ميخائيل مينا: المصدر السابق، ج 3، ص 461.

(7) - سفر صموئيل الأول، إصحاح 9: 19-20.

إن معرفة الغيب عند المسيحيين من المواهب التي لا تسلب منهم بالموت بل تزداد لأن أرواحهم الملائكية تزداد معرفة بخلع الجسد الترابي<sup>(1)</sup>، لقول بولس: "12 وَمَا نَرَاهُ الْيَوْمَ هُوَ صُورَةٌ بَاهِتَةٌ فِي مِرَاةٍ، وَأَمَّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَسَنَرَى وَجْهًا لَوَجْهِهِ. وَالْيَوْمَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، وَأَمَّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَسَتَكُونُ مَعْرِفَتِي كَامِلَةً كَمَعْرِفَةِ اللَّهِ لِي."<sup>(2)</sup>.

فمعرفة الأموات هذه هي من فيض الله على بنيه، حسب ما يعتقد الكاثوليك والأرثوذكس لأنهم سواطع نوره الإلهي، لذلك فأقل ما يمنحهم بل من أصغرهما أن ينورهم بمعرفة وسمع أصوات المستشفعين، وإخوانهم وطلباتهم لما لهم من خاصيات المعارف التي يفيضها الله عليهم بسخاء<sup>(3)</sup>.

وعليه فالمسيحيون يطلبون شفاعة القديسين من أجل الدالة العظيمة التي لهم عند الله، ومن أجل إمكانياتهم الواسعة بعد خروجهم من الجسد، وطاقتهم الروحية الأكثر قدرة من أجل محبة الله لهم، وتكليفه لهم بأعمال الرحمة، وخدمة البشر، ومن أجل معرفتهم الواسعة التي تزداد بخروجهم من الجسد، وبشكل أوسع بكثير من معرفتهم وهم في الجسد<sup>(4)</sup>.

فشفاعة القديسين من أجل الأحياء عند من يعتقدون بها، تكون من منطلق المحبة التي لا تبطل بانتقالهم إلى الحياة الأخرى، بل إن الاهتمام يزيد وينمو بازدياد المعرفة التي تتوافر لدى سكان العالم الآخر، خاصة وقد تخلصوا من كل العوائق والمشاكل الأرضية المبطللة بالجسد، وصارت اهتماماتهم روحية خالصة، لذلك يزداد اهتمامهم بإخوانهم ومساعدتهم لهم بالصلوات والتضرعات<sup>(5)</sup>.

إن القول بأن الإنسان بعد موته تزداد معرفته بالغيب من الأمور التي تحتاج إلى دليل لإثباته، وما دام عالم الأموات من الغيب فلا يمكن الوصول إلى حقائق مثبتة، وعليه فالأمر مشكوك فيه، كما أن الإنسان محدود القدرة والله وحده هو المطلق، كما أن هذا القول يتناقض مع ما جاء في الإسلام؛ لأنه وإن ثبت فيه سماع الميت للأحياء فهذا لا يعني جواز سؤال الميت، والطلب منه والاستشفاع به، لأن هذا السلوك من الشفاعات الشركية والمحرمة في الإسلام، لأنه لا يجوز الطلب من غير الله تعالى.

(1) - مرقس عزيز خليل: شفاعة العذراء والملائكة والقديسين، ص 10، 31، أنظر أيضا، حبيب جرجس: الصخرة الأورثوذكسية، ص 116، أنظر أيضا، ميخائيل مكسي إسكندر: الشفاعة على ضوء الكتاب المقدس، ص 48.

(2) - رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنتوس، إصحاح 13: 12.

(3) - تكريم القديسين واتخاذهم شفعاء، (بيروت: مطبعة آلاما الياسوعيين، 1867)، ص 8.

(4) - شنودة الثالث: اللاهوت المقارن، ط 2، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، 1991)، ج 1، ص 77.

(5) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4342.



ويشير الكتاب المقدس إلى معرفة القديسين الراحلين بأحوال الأحياء من البشر على الأرض، وأن شفاعتهم هذه منبعها المحبة من قصة لعازر والغني القاسي القلب، الذي عرف -وهو في الهاوية- أن له خمسة إخوة لا يزالون أشراراً أحياء في الدنيا، وأنه يرجو إبراهيم الخليل الذي كان في مكان الأبرار لكي يرسل إليهم لعازر واعظاً لهم، حتى يتوبوا ويخبرهم بمصيره المظلم، حتى لا يأتوا هم أيضاً إلى موضع عذابه<sup>(1)</sup>، فقد جاء في الإنجيل ما نصه: "19 وَقَالَ يَسُوعُ: «كَانَ رَجُلٌ غَنِيٌّ يَلْبَسُ الأَرْجُوَانَ وَالثِّيَابَ الفَاخِرَةَ وَيُقِيمُ الوَلَائِمَ كُلَّ يَوْمٍ. 20 وَكَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، تُعْطِي جِسْمَهُ القُرُوحُ. وَكَانَ يَنْطَرِحُ عِنْدَ بَابِ الرَّجُلِ الغَنِيِّ، 21 وَيَسْتَهِي أَنْ يَشَبَعَ مِنْ فَضْلَاتِ مَائِدَتِهِ، وَكَانَتِ الكِلَابُ نَفْسَهَا تَجِيءُ وَتَلْحَسُ فُرُوحَهُ. 22 وَمَاتَ الفَقِيرُ فَحَمَلَتْهُ المَلَائِكَةُ إِلَى جِوَارِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الغَنِيُّ وَدُفِنَ، 23 وَرَفَعَ الغَنِيُّ عَيْنَيْهِ وَهُوَ فِي الجَحِيمِ يُقَاسِي العَذَابَ، فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ عَن بُعْدٍ وَلِعَازَرَ بِجَانِبِهِ. 24 فَنادَى: ارْحَمْنِي، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَأرْسِلْ لِعَازَرَ لِيُبَلِّغَ طَرَفَ إصْبَعِهِ فِي المَاءِ وَيُبْرِدَ لِسَانِي، لِأَنِّي أَتَعَذَّبُ كَثِيراً فِي هَذَا اللَّهيبِ. 25 فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: تَذَكَّرْ، يَا ابْنِي، أَنكَ نَلْتَ نَصِييَكَ مِنَ الخَيْرَاتِ فِي حَيَاتِكَ، وَنَالَ لِعَازَرُ نَصِييَهُ مِنَ البَلَايَا. وَهَا هُوَ الآنَ يَتَعَزَّى هُنَا، وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ هُنَاكَ. 26 وَفَوْقَ كُلِّ هَذَا، فَبَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَمِيقَةٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَهَا مِنْ عِنْدِنَا إِلَيْكُمْ وَلَا مِنْ عِنْدِكُمْ إِلَيْنَا. 27 فَقَالَ الغَنِيُّ: أَرْجُو مِنْكَ، إِذَا، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، أَنْ تُرْسِلَ لِعَازَرَ إِلَى بَيْتِ أَبِي، 28 لِيُنْذِرَ إِخْوَتِي الخَمْسَةَ هُنَاكَ لِنَلَّا يَصِيرُوا هُمْ أَيْضاً إِلَى مَكَانِ العَذَابِ هَذَا.» (2).

كما يستدل المسيحيون أيضاً باستشفاع الفتية الثلاثة في وسط النار بالقديسين إبراهيم واسحاق ويعقوب الذين كانوا في العالم الآخر قائلين: "26 وَقَاتَرَبَ نَبُوخَدَنْصَرُ إِلَى بَابِ أَتُونِ النَّارِ المُتَّقِدَةِ وَقَالَ: يَا شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنْغُو، عبيدَ الله العَلِيِّ، اخْرُجُوا وَتَعَالَوْا! فَخَرَجُوا مِنْ وَسَطِ النَّارِ. 27 فَاجْتَمَعَ الوُلَاةُ وَالحُكَّامُ وَالعُظَمَاءُ وَأَمْرَاءِ المَلِكِ، فَرَأَوْا أَنَّ قُوَّةَ النَّارِ لَمْ تُؤَثِّرْ عَلَى أجسامِ هؤُلَاءِ الرِّجَالِ، فَلَمْ تَحْتَرِقْ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِهِمْ، وَلَا تَغَيَّرَتْ حَالَ سَرَائِلِهِمْ، وَلَا سَرَتْ عَلَيْهِمْ رَائِحَةُ النَّارِ. 28 فَقَالَ نَبُوخَدَنْصَرُ: تَبَارَكَ إِلَهُ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنْغُو، الَّذِي أَرْسَلَ مَلَائِكَةً وَأَنْقَذَ عبيدَهُ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَعَارَضُوا كَلِمَةَ المَلِكِ، وَأَسْلَمُوا أجسادَهُمْ إِلَى النَّارِ لِنَلَّا يَعْبُدُوا أَوْ يَسْجُدُوا لِإِلَهٍ غَيْرِ الهِمْ. 29 فَالآنَ أُصْدِرُ أَمْرًا أَنْ كُلَّ شَعْبٍ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ أَوْ لِسَانٍ يَنْفَوْهُونَ بِتَجْدِيفِ عَلِيِّ إِلَهِ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنْغُو، يُقَطِّعُونَ قِطْعًا وَتَجْعَلُ بِيُوتَهُمْ مَزَابِلًا، فَمَا مِنْ إِلَهٍ آخَرَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّي أَحَدًا كَمَا نَجَّاهُمْ. 30 وَأَصْلِحَ المَلِكُ حَالَ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنْغُو فِي إِقْلِيمِ بَابِلَ." (3).

(1) - ميخائيل مكسي إسكندر: الشفاعة على ضوء الكتاب المقدس، ص 142، أنظر أيضاً، غريغوريوس: الموسوعة، ص 4344.

(2) - إنجيل لوقا، إصحاح 16: 19-28.

(3) - سفر دانيال، إصحاح 3: 26-30.

بناءً على هذا النص؛ اقتبست الكنيسة الأرثوذكسية الصلاة الشفاعية في صلاة الأجيبة في القطعة الثالثة، من صلاة الساعة التاسعة: "لا تنسى العهد الذي قررته مع آبائنا، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إسرائيل قديسيك"، وبهذا في نظرهم، لم تخرج الكنيسة عن طلبها شفاعات القديسين عن الكتاب المقدس<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا الأساس يني المسيحيون الذين يؤمنون بهذا النوع من الشفاعة عقيدتهم في التشفع بالقديسين المتنقلين والاستغاثة بهم التي يعتبرونها موافقة لروح الكتاب المقدس<sup>(2)</sup>، واستغاثتهم بالمتنقلين تكون استغاثة مباشرة يسألونهم معونتهم وصلواتهم، فينبغي المتنقلون لخدمة الأحياء بدافع المحبة وغيرتهم على خلاص النفوس وشعورهم بواجب الخدمة الذي تمليه عليهم محبة المسيح التي تسوقهم إلى أن يبذلوا نفوسهم من أجل إخوانهم<sup>(3)</sup>.

لقد حث القديس الذهبي الفم الشعب على التردد بكثرة على مقابر الشهداء مبينا ما لهم من فضائل وقدرات بقوله: "فئات إلى جوار أماكن الشهداء ليس فقط في يوم عيدهم هذا وأيضا في الأيام الأخرى ولنترجاهم ونتوسل إليهم أن يشفعوا فينا إذ أن لهم دالة كبيرة للشفاعة فينا بل وصارت دلتهم بعد الموت أعظم كثيرا مما كانت من قبل فإنهم الآن يحملون سمات المسيح، وإذ هم يشيرون إلى هذه السمات فيمكنهم أن يستعملوا مع الملك (المسيح) كل وسائل الاستمالة والإقناع، ولما كان لهم مع الله مثل هذا التأثير وهذه المودة، فبصبر لا يكلّ يجب أن نزور مقصوراتهم على الدوام كمن صاروا من أهلهم، ونجلب على أنفسنا بفضل شفاعتهم ووساطتهم رحمة الله"<sup>(4)</sup>.

أما عن صلوات القديسين فتستدل الكنيسة الأرثوذكسية بما أخبر به يوحنا الرسول في رؤياه لما فتح الختم السابع أن ملاكا وقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخورا ليقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش<sup>(5)</sup>: "1<sup>وَلَمَّا فَضَّ الْحَمَلُ السَّابِعَ، سَادَ السَّمَاءَ سَكُوتٌ نَحْوَ نِصْفِ سَاعَةٍ. 2<sup>وَرَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ السَّبْعَةَ الْوَاقِفِينَ أَمَامَ اللَّهِ، وَأَعْطِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَوْقًا. 3<sup>وَجَاءَ مَلَاكٌ آخَرٌ يَحْمِلُ مِبْخَرَةً مِنْ ذَهَبٍ وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ، فَأَعْطِي بَخُورًا كَثِيرًا</sup></sup></sup>

(1) - مبادئ العقائد المسيحية، ص 269.

(2) - حبيب جرجس: الصخرة الارثوذكسية، ص 116.

(3) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4344.

(4) - المصدر نفسه، ص 4350.

(5) - حبيب جرجس: المصدر السابق، ص 114.

لِيُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ عَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ أَمَامَ الْعَرْشِ. 4فَتَصَاعَدَ مِنْ يَدِ الْمَلَكِ دُخَانُ  
الْبُخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ أَمَامَ اللَّهِ".<sup>(1)</sup>

فشفاعة القديسين في اللاهوت المسيحي ذات شأن عظيم أمام عرش الله ولم تكن شفاعتهم مقبولة  
فحسب لدى الله بل كان هو من يرشد إلى الالتجاء إليها وقت الحاجة لتقيهم شر النوازل، ويستدلون  
على ذلك بما جاء عن أصحاب أيوب الثلاثة حيث ألزمهم الله بأن يستشفعوا بعبده أيوب لثلا يحمي  
غضبه عليهم فيفنيهم<sup>(2)</sup>: "8وَالآنَ خُذُوا لَكُمْ سَبْعَةَ ثِيْرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَعُودُوا إِلَيَّ عَبْدِي أَيُّوبَ  
وَقَدِّمُوا ذَبِيحَةً تُكْفِّرُ عَنْكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ. وَسَأَسْتَجِيبُ لَهُ فَلَا أُعَامِلُكُمْ  
بِحِمَاقَتِكُمْ الَّتِي جَعَلْتُمْ لَا تَتَكَلَّمُونَ أَمَامِي بِالصِّدْقِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ".<sup>(3)</sup>

والتشفع بالقديسين من وجهة النظر الأرثوذكسية هي من باب إكرام القديسين؛ لأنهم أكرموا الله  
وأرضوه بأعمالهم الصالحة، فصارت لهم دالة قوية عنده، وصلواتهم مقبولة، وهم لا يتوقفون عن الصلاة في  
السماء لأجل إخوانهم، ويتطلعون إلى معونتهم ويتشفعون لأجلهم، لذلك يطلب المسيحيون شفاعتهم في  
القداس الإلهي، وفي تماجد القديسين في رفع البخور عشية وصباح كل يوم وفي لحن الهينيات (بواسطة  
شفاعات) وفيه تطلب الكنيسة شفاعات السيدة العذراء والملائكة والقديس يوحنا المعمدان ثم تطلب  
صلوات وطلبات وتضرعات الرسل والشهداء والقديسين<sup>(4)</sup>.

إن التشفع بالقديسين المتنقلين من الشفاعات التي أجازتها الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية على  
حد سواء ولا يرون مانعا من التشفع بهم مع شفاعة المسيح، ولم يكن هنالك تناقض بينهما وحتى خمسة  
قرون مضت لم تكن هناك قضية بالنسبة لشفاعة القديسين وكان مفهوما حدود الدور الذي رسمته لهم  
إرادة الله كأعضاء أحياء ضمن الكنيسة ولم تتحول شفاعة القديسين إلى قضية جدلية إلا في القرون المتأخرة  
عندما غالت الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية في إكرام القديسين الأمر الذي رآه البروتستانت تجاوزا  
ومن ثم استبعدوا هذا النوع من الشفاعة بصفة كاملة إذ رأوا فيه انتقاصا من عمل المسيح الكفاري<sup>(5)</sup>.

(1) - رؤيا يوحنا اللاهوتي، إصحاح 8: 1-4.

(2) - ميخائيل مينا: علم اللاهوت، ج3، ص466.

(3) - سفر أيوب، إصحاح 42: 8.

(4) - مبادئ العقائد المسيحية، ص257، 271.

(5) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج2، ص107-108.

أما البروتستانت فيرون أن التشفع بالمسيح وبالقديسين في الوقت ذاته من الأمور الخطيرة؛ لأن التشفع بالقديسين والصلاة إليهم مجرد فكر بشري سيفتح الباب لنزع المجد عن الرب يسوع ويساويه بالقديسين لأن الإنسان وقت الحاجة عندما يذهب إلى القديسين ويترك الرب ينبوع كل خير وكل عطية فهذا يعد سلبا لمجد المسيح كما أن علاقة المؤمن بربه هي علاقة شخصية تقوم على الاتصال المباشر به وهذا الامتياز في نظرهم أتمه الرب يسوع عن طريق عمله الكفاري ووساطته وعليه فلا حاجة بهم إلى وسائط آخرين ما دام وسيط وشفيع وحيد هو يسوع المسيح لأن الكتاب ذكر شفيعا واحدا وليس شفيعا كثيرين<sup>(1)</sup>: "يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ لِئَلَّا تَخْطَأُوا. وَإِنْ خَطِيئَةٌ أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ."<sup>(2)</sup>.

ومن جملة الانتقادات التي وجهها البروتستانت أيضا أن التشفع بالقديسين يقتضي توجيه الصلاة إليهم والصلاة عبادة وسجود وهذه لا يجب أن تقدم إلا لله وحده ولذلك لا يجوز أن تقدم الصلاة لأحد إلا للرب لأن السجود للخليقة عبادة أصنامية، لأنه جاء في الانجيل<sup>(3)</sup>: "10 فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: إِبْتَعِدْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ."<sup>(4)</sup>.

أما القوة التي ينسبونها للقديسين المنتقلين على أنهم يسمعون من يستغيث بهم فهذا من غير الممكن لأنهم بشر والبشر محدودون والرب وحده هو المطلق الوجود والقديسين بعد انتقالهم إلى السماء لا يقومون بأي خدمة سوى التسييح ولو أن القديسين يسمعون صلوات، وتشفعات القديسين الذين على الأرض، وأن يكونوا مع جميع المستغيثين، فهم بذلك يصبحون مطلقي القدرة وهذا يتنافى وصفة القدرة المطلقة التي يختص بها الله<sup>(5)</sup>.

كما ذكر البروتستانت بأن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يخلو من دليل إثبات شفاعة القديسين المنتقلين ما عدا مثال واحد في العهد القديم وفاعله كان ملكا منحرفا عن طريق الله وهو "شاوول"

<sup>(2)</sup> - المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، (بيروت: در، 1866)، ص59، أنظر أيضا، جون يونان: من هو شفيعك المسيح أم القديسين، ص20.

<sup>(2)</sup> - رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1.

<sup>(3)</sup> - المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، المصدر السابق، ص60.

<sup>(4)</sup> - إنجيل متى، إصحاح 4: 10.

<sup>(5)</sup> - المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، المصدر السابق، ص60، أنظر أيضا، جون يونان: المصدر السابق، ص22.

الذي لجأ إلى الجان ليسأل صموئيل النبي المتنقل ولم يأت بجديد، فعاقب الرب شاوول وأماته في الحرب: "13فَمَاتَ شَاوُولٌ لِأَنَّهُ خَانَ الرَّبَّ وَعَصَى كَلِمَتَهُ، وَأَيْضًا لِأَنَّهُ اسْتَشَارَ أَرْوَاحَ الْمَوْتَى".<sup>(1)</sup>

أما العهد الجديد فالتشفع الوحيد بالقدسين المتنقلين المذكور في قصة الغني ولعازر، وكان ذلك في الجحيم وكانت نتيجته مؤلمة، فالغني الذي طلب الرحمة من إبراهيم لم ينلها وأما طلبه من أجل إخوته على الأرض وأن يرسل إليهم لعازر لكي يحذرهم فقد قال له إبراهيم: "29فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءُ، فَلْيَسْتَمِعُوا إِلَيْهِمْ".<sup>(2)</sup>

كما أن شفاعة القديسين المتنقلين تناقض الاعتقاد القائل بأنهم في الأفراح السماوية وإن كانوا كذلك فلن ينغصوا حياتهم هناك بتوسلات وآلام المؤمنين على الأرض التي تحول أفراحهم إلى أحزان لذلك فالشفيع الوحيد هو الرب يسوع لأنه هو القائل <sup>(3)</sup>: "28تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالرَّازِحِينَ تَحْتَ أَثْقَالِهِمْ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ".<sup>(4)</sup>

مما سبق يتبين ضعف عقيدة التشفع بالقدسين وأنها من العقائد الباطلة؛ لأنها تعطي الإنسان أكثر من قدراته البشرية، وتنسب إليه ما هو من اختصاص الله، ورغم ذلك نجدنا من العقائد الواسعة الانتشار في المجتمعات المسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية، لاعتقادهم بفعاليتها في الحصول على طلباتهم المختلفة. بعدما عرفنا مكانة هذا النوع من الشفاعة في حياة المؤمنين بما نأتي في العنصر الموالي لمعرفة ما إذا كان التشفع بالقدسين في الحياة الدنيا أم الآخرة.

### ثالثاً: شفاعة القديسين بين الحياة الدنيا والآخرة

إن شفاعة القديسين من الشفاعات التي عرفها المسيحيون بل وأصبحت من العقائد الراسخة في المجتمع المسيحي عند الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية في حياتهم اليومية وطقوسهم الكنسية، فهم يتشفعون في حياتهم الدنيا بالقدسين لنوال المغفرة وغفران الخطايا والبركة لما هؤلاء القديسين من مكانة عند الله.

ولكن السؤال الذي يطرح هنا، هل شفاعة القديسين ينحصر مفعولها على الحياة الدنيا، كما هي

(1) - سفر أخبار الأيام الأول، إصحاح 10: 13.

(2) - إنجيل لوقا، إصحاح 16: 29.

(3) - جون يونان: من هو شفيعك المسيح أم القديسين، ص 24-25.

(4) - إنجيل متى، إصحاح 11: 28.

شفاعة المسيح، أم هي موجودة أيضا في اليوم الآخر؟

إن هذا الأمر مختلف فيه بين المسيحيين، بين القائلين بالعقاب الأبدي للأشرار، وبين القائلين بمحدودية العقاب للعصاة.

إن رأي القائلين بمحدودية العقاب يرفضون الاعتقاد بالعذابات الأبدية ويقولون بأن العصاة وبعد زمن محدود يطول أو يقصر وذلك حسب الجرائم والذنوب التي ارتكبوها يدعون إلى الخلاص على سبيل الرأفة وهي دون ما يدعو إليه أوريجانوس<sup>(1)</sup> القائل بأن الشيطان وملائكته سوف يتحررون مستقبلا بعد أن يكفروا عن شرورهم على مدى طويل وقاس ثم يدخلون نهائيا مصاف الملائكة القديسين<sup>(2)</sup>.

وهذه الفكرة تعد غريبة عن اللاهوت المسيحي إذ يعتبر أن هناك تطابقا بين مصدر الوجود ونهايته أي أنه سيصار في ختام الأزمنة إلى إعادة إحياء كونية (Apocatastase) يغفر الله فيها للخطاة والشياطين المنفصلين عنه، بهذا يتسنى للخطاة أن يكفروا عن خطاياهم ويخرجوا مع الشياطين من جهنم فتعود جميع الأرواح دون استثناء إلى وحدة الله فيتحد الجميع بالله، فالوحدة النهائية هي التي تنتصر وتبدد كل تنوع وكل تشتت فينتصر الله على كل أعدائه أي أنه يعيد الأرواح إلى مصدرها إلى ذاته، فتتحول الإرادات الشريرة إلى خيرة ويصبح الله الكل في الكل<sup>(3)</sup>.

إن العذابات في فكر أوريجانوس بمثابة الأدوية لعلاج الخطايا وأن الله هو الطبيب الذي ينزل عذاب النار بالذين فقدوا عافية النفس ليقضي على آثار الذنوب والخطايا المتنوعة، وأن السخط الإلهي إنما يفيد في تطهير النفوس وتقديسها وهذا ما يعلمه إشعيا بقوله<sup>(4)</sup>: "16لأنَّ الرَّبَّ بِالنَّارِ وَالسَّيْفِ يُعَاقِبُ الْبَشَرَ، وَيَكُونُ قَتْلَى الرَّبِّ كَثِيرِينَ."<sup>(5)</sup>.

وأصحاب هذه العقيدة المسماة بالعالمية يقولون؛ بأنه بعد أن يعذب الأشرار الوقت الذي تتطلبه خطيئتهم، يصدر الله العفو عنهم، وهكذا يخلص الجميع في النهاية، لأن الله برحمته لا يترك مخلوقاته تتعذب

(1) — أوريجانوس: ولد بالإسكندرية حوالي 185م، درس الكتاب المقدس والتعليم به، اتسم بالحياة النسكية، من رواد التفسير الرمزي للكتاب المقدس، حرمة الكنيسة بسبب أفكاره حول خلاص الشياطين، توفي بفلسطين عام 254م، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها - حرف أ-، ص 384 وما بعدها.

(2) — أغسطينوس: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، ط2، (بيروت: دار المشرق، 2007)، ج3، ص 293.

(3) — هنري كريمونا: أوريجانوس عبقرى المسيحية الأولى، ط1، (بيروت: دار المشرق، 1991)، ص 32.

(4) — أوريجانوس في المبادئ، عربيه وقدم له وعلق عليه: جورج خوام البولسي، (بيروت: منشورات المكتبة البولسية، دت)، ص 240-241.

(5) — سفر إشعيا، إصحاح 66: 16.

إلى الأبد في جهنم<sup>(1)</sup>، ويستدلون على هذا بما جاء في الكتاب المقدس: "22وَكَمَا يَمُوتُ جَمِيعُ النَّاسِ فِي آدَمَ ، فَكَذَلِكَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَوْنَ. 23وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ رُتْبَتِهِ: فَالْمَسِيحُ أَوْلًا لِأَنَّهُ الْبِكْرُ، ثُمَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ عِنْدَ مَجِيئِهِ. 24وَيَكُونُ الْمُنْتَهَى حِينَ يُسَلِّمُ الْمَسِيحُ الْمُلْكَ إِلَى اللَّهِ الْآبِ بَعْدَ أَنْ يُبِيدَ كُلَّ رِئَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. 25فَلَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. 26وَالْمَوْتُ آخِرُ عَدُوٍّ يُبِيدُهُ. 27فَالكِتَابُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ «أَخَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». وَعِنْدَمَا يَقُولُ: «أَخَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ»، فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يَسْتَنْتِ اللَّهَ الْآبِ الَّذِي أَخَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ لِلْمَسِيحِ. 28وَمَتَى خَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ لِلِابْنِ، يَخْضَعُ هُوَ نَفْسُهُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَضَعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَيَكُونُ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ".<sup>(2)</sup>

إن القائلين بمحدودية العقاب ينطلقون من مبدأ الرحمة الإلهية، ويقولون بأن التهديدات الإلهية للأشرار والكفرة حقيقية، لكون البشر يستحقون العقاب، غير أن الرأفة ساعة الدينونة تنتصر؛ قائلين بأن الله سيستجيب لصلوات قديسيه وشفاعتهم، كما أنهم يقولون بأنه لا يصدق أن القديسين يحسون شفقتهم عندما يصيرون في تلك الحالة من القداسة، كما أن الله لا يصم أذنيه عن صراخ القديسين الممجدين، وأن الله سيستجيب لهم، لرحمة الله الواسعة تجاه البشر<sup>(3)</sup>.

أما الرأي القائل بالتكفيرات الطويلة بالألم يستدلون بما جاء في الكتاب المقدس: "10عَظْبُكَ عَلَى أَدُومٍ يَحْمَدُكَ، وَتَارَاتُ حُمَاةٍ تُعِيدُ لَكَ".<sup>(4)</sup>، فغضب الله عندهم عدل، يقضي على جميع الذين لا يستحقون السعادة الأبدية بالعذابات الأبدية، ولكن ليس من منطلق رحمة الله ألا يجبس غضبه فيرفع العقاب تجاوبا مع الدموع التي تتوسل إليه، فالحصول على رحمته تتجاوب مع أدعية وتوسلات قديسيه المشاركين التائبين في تضرعاتهم إليه<sup>(5)</sup>.

إن القائلين بهذا الرأي يرون في صمت الكتاب المقدس تجاه هذا الغفران حتى يصل الكثير من الناس إلى التوبة عن طريق الخوف من العذابات الأبدية وحتى يصلي الكثيرون لأجل الذين لا يتوبون وإن كانوا يرون بأن الكتاب لم يحتفظ بصمت مطلق في هذا الشأن حتى تبقى ملذات الرحمة الإلهية في جو من المخافة وهذا المعنى هو الذي يعطونه أيضا في قول القديس بولس: "32لَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْبَشَرَ كُلَّهُمْ سُجَنَاءَ

(1) —إسكندر جديد: جهنم في كتب المسيحية والإسلام، منقول من الموقع: [alkalema.net/articl/johanem](http://alkalema.net/articl/johanem)، تم التصفح يوم: 2016/10/5.

(2) — رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنتوس، إصحاح 15: 22-28.

(3) — أوغسطينوس: مدينة الله، ج3، ص294-295.

(4) — سفر المزامير، إصحاح 76: 11.

(5) — أوغسطينوس: المصدر السابق، ج3، ص295.

العَصِيَانِ حَتَّى يَرْحَمَهُمْ جَمِيعًا." (1)، أي أن الله لن يهلك أحدا على أن الذين يقولون بهذا الرأي لا يسلطون الرحمة الإلهية على خلاص الشيطان وملائكته لأنها رحمة بشرية وحسب (2).

إلا أن هذا الرأي قد قوبل بالرفض من طرف الكثير من المسيحيين؛ وهم أصحاب الرأي القائل بالعذاب الأبدي للأشرار، وانعدام الرجاء بالخلاص منه، مستدلين على ذلك بمجموعة من نصوص الكتاب المقدس، منها ما جاء في إنجيل متى: "46فَيَذْهَبُ هُوَ لَأَنَّ إِلَى الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ، وَالصَّالِحُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ". (3)، وما جاء أيضا في سفر الرؤيا: "11وَدُخَانَ عَذَابِهِمْ يَصْعَدُ أَبَدَ الدَّهْرِ. لَأَنَّ رَاحَةَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِلسَّاجِدِينَ لِلوَحْشِ وَصُورَتِهِ وَلَمَنْ يُوَسِّمُ بِاسْمِ الوَحْشِ". (4)، وغيرها من النصوص التي تفيد ديمومة العذاب في جهنم إلى الأبد.

وقد رفض أوغسطينوس الرأي القائل بمحدودية العقاب، معتمدا في ذلك على نصوص الكتاب المقدس التي تفيد الجزم بأن عذاب جهنم لا يتوقف إلى الأبد، وفي هذا تأكيد بأن الله لم يغفر لهم بل أوقفهم إلى حين زمن العدل إلى النيران الأبدية، كما رفض أيضا القديس أوغسطينوس الرأي القائل أيضا بأن شفاعة القديسين تخلص المجرمين من نار جهنم (5)، ويتأكد هذا من خلال قوله: "من ذا الذي يجرؤ أن يحمل إلى السيد مزاعمه الوقحة ويدعي بأن الملائكة القديسين سيضمنون صلواتهم إلى صلوات الأبرار الذين يصبحون منذ الآن متساوين معهم فيبعدوا عن الملائكة والناس الأشرار المهلاك الأبدي ويحولوا لمصلحتهم عدل الله إلى رافة؟ ذاك ما قاله قط وما لن يقوله إيمان صاف" (6).

والقائلين بهذا الرأي، يعتمدون على ما جاء في الكتاب المقدس، ووصف حال الأشرار في الحالة الأخيرة بالذهاب إلى النار الأبدية، وبئر الهاوية والمهلك الأبدي وغيرها من الأوصاف، لأنه في العالم الآتي لا يوجد إصلاح ولا تبديل حال، وهذا ما اتفقت عليه وآمنت به الكنيسة في كل القرون، ويقولون بأنه إذا كان الكتاب يقول بأن عذاب المهلكين يبقى إلى الأبد، فواضح بأنه يقتضي أن يعتبر هذا العذاب

(1) — رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، إصحاح 11: 32.

(2) — أوغسطينوس: مدينة الله، ص 296.

(3) — إنجيل متى، إصحاح 25: 46.

(4) — سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، إصحاح 14: 11.

(5) — أوغسطينوس: المصدر السابق، ج 3، ص 301.

(6) — المصدر نفسه، ج 3، ص 302.



أبدياً<sup>(1)</sup>.

ويرون فيمن ينكر قصاص الله من الخطاة فهو منكر لعدله، وإنكار أيضا لجودة بره، وقداسته، وعدم تطبيق كلامه عن العقاب الأبدي للأشرار<sup>(2)</sup>.

وفي الأخير نقول؛ بأن المسألة تبقى خلافية بين المسيحيين القائلين بأبديية العقاب للخطاة، وبين القائلين بمحدوديته والخلاص منه بشفاعة القديسين أو غيرها، وإن كان الغالب على النظرة المسيحية الأخذ بأبديية حال الأبرار والأشرار، وبالتالي فإن شفاعة القديسين هي دنيوية، وإن كانت آثار الانتفاع بها أخروية، وهو الرأي الغالب عند المسيحيين، وهو ما يفسر رسوخها في المجتمعات المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية على حد سواء، وهو ما توضحه طقوسهم الكنسية، وهذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي.

#### رابعا: شفاعة القديسين في الطقوس الكنسية.

##### 1- في ليتورجيا الصلوات والتسبيح:

يظهر طلب شفاعات القديسين عند الأقباط الأرثوذكس في "تسبيحة الكنيسة السنوية والكيهكية"<sup>(3)</sup>، التي تصلى على مدى شهر كيهك أو ما يسمى بالشهر المريمي، وتحفل هذه التسبيحة بطلب شفاعة القديسين وصلواتهم (الثيوطوكيات)<sup>(4)</sup> الخاصة بالعدراء ومجمع القديسين) وتمجيدهم مرافقا لتسبيح الله وتمجيده والتغني بالمزامير والأحداث التي ساند فيها الرب قديسيه كعبور الإسرائيليين البحر الأحمر بقيادة النبي موسى وإنقاذ الرب للفتية الثلاثة من أتون النار، وهذا كله في قالب غنائي يضم مجموعة من الألحان<sup>(5)</sup>.

أما التشفع بالقديسين في الكنيسة الكاثوليكية يبينه ما جاء في المزامير أو النشيد القديم حيث يرتلون: "يا رب بشفاعة قديسيك خلصنا" وهذا لما قدمه هؤلاء القديسين في سبيل تضحياتهم في الدفاع

(1) - جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، ص 611-612.

(2) - ميخائيل مينا: موسوعة علم اللاهوت، ص 184.

(3) - كيهكية: نسبة إلى كيهك، وهو الشهر الرابع من السنة القبطية، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: قاموس المصطلحات الكنسية، ص 16.

(4) - الثيوطوكيات: أو تذاكية، مأخوذة من الكلمة اليونانية "teotokia" ومعناها، لولادة الإله، وتقال لتطويب ومديح السيدة العذراء، أنظر، يوسف حبيب: قراءة وتسايح، (القاهرة: در، 1961)، ج 1، ص 05.

(5) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج 2، ص 132.

عن العقيدة المسيحية وذكرهم ليتورجيا لا يعني التذكر النفساني فقط بل الدخول سريا في شركة معهم مع فضائلهم وقوة حياتهم والروح القدس الذي فيهم وذكر القديسين إنما هو إنماء وتعميق للشركة بالمسيح نفسه<sup>(1)</sup>.

كما أن الصلاة إلى القديسين في اعتقادهم ليس من أجل الحصول على المعونة والشفاعة فقط ولكن أيضا لأجل تعميق الوعي للوحدة الجامعة بين الكنيسة الأرضية والسماوية لأن التضرع للقديسين يظهر معيار الحب المسيحي لما يجسد الوفاق ووحدة الكنيسة<sup>(2)</sup>، لأن القديسين لا يكفون عن الشفاعة في المؤمنين المسيحيين لدى الآب مقربين ثوابهم الذي استحقوه على الأرض بالوسيط الوحيد بين الله والناس المسيح، فاهتمامهم الأخوي هو عون عظيم لضعف المسيحيين<sup>(3)</sup>.

ومن جملة ما يقولونه نحو القديسين في الكنيسة الكاثوليكية، ما يقال نحو القديس أرشيبس في التاسع والعشرين من فيفري: "إن الكنيسة مقتنتيك ككوكب عظيم يا أرشيبس ومستنيرة بشهاب عجائبك وصارخة عليك خلص المكرمين بإيمانك لتذكارك".

ويقال نحو القديس نيكيفورس بطريك القسطنطينية في الثاني من جوان: "بما أنك رئيس كهنة المسيح ومعلم قبلت إكليل الغلبة من السماء من عند الله فخلص المكرمين إياك بإيمان يا نيكيفورس الشريف".  
ويقال نحو الشهيدين الاسكندرس وثيرموثاوس أسقف بروسي في العاشر من جوان: "هل نكمل تذكرك شاهدي المسيح المناضلين عن الإيمان ولنُعَلِّ الصراخ نحوهما لكي يحفظانا"<sup>(4)</sup>، والأمثلة في ذلك كثيرة اقتصرنا على نماذج منها على سبيل الذكر لا الحصر.

## 2- في ليتورجيا القديس:

إن القديس الإلهي عند المسيحيين تتحقق به أسمى درجات عبادة المؤمنين وأقدسها حيث تجتمع الكنيسة حول المسيح الذي يقدم جسده ودمه بيد خادمه الكاهن وبحضور الملائكة والقديسين، وخلال الصلوات يذكر القديسون باعتبارهم حاضرين في الكنيسة كأحياء مع الملائكة القائمين حول المذبح والذين

(1) - أغايوس أبو سعدي: ليتورجيا القديس الإلهي بين اللاهوت والرمزية، ص 245-246، أنظر أيضا، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، (لندن: طباعة جورج يلد، 2011)، ج 2، ص 44.

(2) - المصدر نفسه، ص 246-247.

(3) - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، المصدر السابق، ج 2، ص 44.

(4) - ميخائيل مشاققة: الرسالة الموسومة بالدليل الى طاعة الانجيل، ص 38.

يحملون صلوات العابدين مع البخور إلى العرش السماوي<sup>(1)</sup>، فهناك لحن الهيئيات الذي يطلب شفاعة العذراء والملائكة والمعمدان وصلوات الرسل والشهداء وقديسي اليوم والهدف منها طلب رحمة الله ومغفرة الخطايا بشفاعة الملائكة والقديسين<sup>(2)</sup>.

كذلك في مجمع القديسين الذي يتلوه الكاهن: "لأن هذا يا رب هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك في تذكار قديسيك، تفضل يا رب أن تذكر جميع القديسين الذي أرضوك منذ البدء: رؤساء الآباء وأنبياء العهد القديم والرسل والمبشرين وكتاب الإنجيل والشهداء وبالأكثر القديسة مريم العذراء والقديس يوحنا المعمدان والقديس إسطفانيوس رئيس الشمامسة ومرقس الرسول"، ومن بعدهم الآباء المعلمين من القرون الأولى وأعضاء المجامع المسكونية الثلاثة الذين حفظوا الإيمان وآباء الرهبنة والنسك<sup>(3)</sup>.

وهكذا تتشفع الكنيسة الأرثوذكسية بالقديسين المتنقلين، ففي ختام المجمع مثلا في القديس الكيرلسي نسبة إلى كيرلس السكندري، بعدما يصلي الكاهن طالبا الراحة لجميع القديسين يقول: "أنا أيها السيد لسنا أهلا أن نتشفع في طوباوية أولئك القديسين بل هم قيام أما منبر ابنك الوحيد ليكونوا هم عوضا عنا يتشفعون في مسكنتنا وضعفنا، كن غافرا لآثامنا من أجل سؤالاتهم المقدسة عنا ومن أجل اسمك المبارك الذي دعينا<sup>(4)</sup>".

والوضع نفسه في قديس القديس باسيلوس وقديس القديس غريغوريوس عند الأقباط، فبعدهما يقيم الكاهن تذكار جميع فئات القديسين في المجمع ويذكر أسماء بعضهم يختم التذكار بقوله: "وكل مصاف قديسيك هؤلاء الذين سؤالاتهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معا وأنقذنا من أجل اسمك القدوس"<sup>(5)</sup>.

فالكنيسة والقديسون يتبادلون الشفاعة عن بعضهم البعض والتشفع بالقديسين جزء لا يتجزأ من الليتورجيا وحتى الذين لا يطلبون شفاعة القديسين في صلواتهم الفردية هم بالتأكيد يطلبونها من خلال صلوات الكنيسة واشتراكهم في ألحانها (الهيئيات بشفاعة والدة الإله وبركتهم المقدسة) هم بذلك مؤازرون بصلوات القديسين.

(1) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج2، ص133.

(2) - ميخائيل مكسي إسكندر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، ص433.

(3) - جميل نجيب سليمان: المصدر السابق، ج2، ص134، أنظر أيضا، زكريا السرياني: القديس الإلهي، ص72.

(4) - شنودة ماهر إسحاق: حالة أرواح الراقدين وفائدة الصلاة من أجلهم، ص97.

(5) - المصدر نفسه، ص97.

كما تستغيث الكنيسة أيضا بالآباء الرسل، وهو ما جاء في الربع قبل الأخير من لحن صوم الرسل ويقال قبل قراءة الكاثوليكون: "اطلبوا من الرب عنا يا سادتي الرسل، أعنّا يا أبانا بطرس ومعلمنا بولس والاثنين والسبعين تلميذا حتى يغفر الرب لنا خطايانا".

ومن ذلك أيضا استغاثة الكنيسة بالقدّيس جرجس حيث جاء في الربع الأخير من لحن صوم الرسل المشار إليه: "اطلب من الرب عنا أيها المجاهد الشهيد سيدي الملك جيلورجيوس، حتى يغفر الرب لنا خطايانا"<sup>(1)</sup>.

ومن صور الاستغاثة بالقدّيسين في طقوس الكنيسة الاستغاثة بالقدّيسة مريم العذراء على النحو التالي: "يا أمّ النور مريم وإني بلا زواج مباركة أنت في النساء... لا تكفّي عن الشفاعة فينا"<sup>(2)</sup>.

### 3- أعياد القدّيسين:

لسير القدّيسين وأعيادهم موقعها في الاحتفالات الكنسية، فهناك السنكستار<sup>(3)</sup>، الذي يسجل لكل يوم من أيام السنة حياة قدّيسي الكنيسة وآباءها، كما تحتفي الكنيسة بعيد القدّيسين في يومه المعين وهناك ألحان كثيرة لهذه المناسبات ضمن صلوات القدّاس تتغنى بحياة القدّيس أو الشهيد، وعندما يقام تمجيد للقدّيس في عيده فهو في حقيقته تمجيد لله الذي أفاض نعمته على هذا القدّيس وساند جهاده وأكمل سعيه بسلام<sup>(4)</sup>.

فتمجيد القدّيسين في الطقوس الكنسي المسيحي يكون في صلوات وألحان خاصة لمدح مريم العذراء أو لشهداء أو لقدّيسين أو لرهبان ولا سيما في مناسبة عيد استشهادهم أو وفاتهم ويغلب على هذه الألحان الفرح وتتضمن سيرتهم وأعمالهم الفاضلة وطلب شفاعتهم<sup>(5)</sup>، وفي هذا يقول القدّيس غريغوريوس النازيانزي مخاطبا القدّيس باسيليوس بعد نياحته: "ولكن أيها الرأس الإلهي المقدس تطلع إلينا من فوق، وبشفاعتك عند الله إما أن تنزع من لحمنا الأشواك التي تؤلمنا وإما أن تستهيننا إلى احتمالنا".

(1) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4347-4347.

(2) - المصدر نفسه، ص 4348.

(3) - السنكستار: أو السنكسار، كلمة يونانية "Synxarion" تعني خبر أو سيرة، وهو جامع السير ويطلق على كتاب الآباء والرسل والقدّيسين... إلخ، يقرأ في القدّاس للتمثل بهم، أنظر، ميخائيل مكسي إسكندر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، ج 3، ص 51.

(4) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج 2، ص 135.

(5) - ميخائيل مكسي إسكندر: المصدر السابق، ج 1، ص 77.

ومن الأمثلة التي يذكرها المسيحيون أيضا ما قاله القديس غريغوريوس النيسي (325-394م) مخاطبا القديس تيشودوروس الشهيد في يوم عيدهِ حيث احتشدت الناس لتكريمه: " تعال إلى أولئك الذين يكرمونك أيها الصديق غير المنظور افتقد هذه الطقوس حتى يمكنك أن تضاعف من شكرك لله...نحن في حاجة إلى إحسانات كثيرة فتشفع إلى ملكنا كلنا من أجل هذه البلاد...فصلوات الأبرار مجتمعين تحل خطايا جميع الشعب"<sup>(1)</sup>.

#### 4- الأيقونات.

إن تقليد الكنيسة عند المسيحيين لا يجد له تعبيرا في الكلمات فقط أو في الحركات والرموز التي تقام في العبادة بل يعبر عنه أيضا عن طريق الفن عبر الخطوط والألوان في الأيقونات المقدسة<sup>(2)</sup>. فالأيقونات في التعليم الكنسي ترتبط بالوعظ فإذا كانت الكتابة والعظات هي أيقونات كلامية فإن الأيقونات بدورها في عظات مرسومة ومرئية<sup>(3)</sup>.

والأيقونات هي صور القديسين ويشبهها بعض المسيحيين بالنجوم التي تزين السماء أو لوحة الشرف لأوائل الناجحين في جهاد الإيمان، أو هم كبار عائلة المسيح.

لقد صارت الأيقونات جزءا من التقليد الكنسي منذ القرن الرابع وهي ترسم بالميرون مع سائر أجزاء الكنيسة، هيكلًا ومذبحًا وجدرانًا باعتبارها مكرسة لخدمة الأقداس وتحتل موقعها على حجاب الكنيسة وجدرانها تجسيدا لحضور القديسين الدائم في الكنيسة وهم يحيطون بالرب الجالس على عرش مجده في حضن الآب في الهيكل وحوله الملائكة والأربعة وعشرون كاهنا<sup>(4)</sup>.

فعند الاحتفال بأعياد القديسين، توضع أيقونة القديس على يمين الهيكل لتوجيه الأنظار إلى احتفال الكنيسة بعيدهِ وأيضا سيرته تمثلا بوصية الكتاب: "أذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمْ الَّذِينَ خَاطَبُوكُمْ بِكَلَامِ اللَّهِ، وَاعْتَبِرُوا بِحَيَاتِهِمْ وَمَوْتِهِمْ وَاقْتَدُوا بِإِيمَانِهِمْ."<sup>(5)</sup>، وعليه اعتبرهم المسيحيون قدوة للمؤمنين وعونا لهم في حياتهم بطلب شفاعتهم<sup>(6)</sup>.

(1) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4350.

(2) - ثيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة، (بيروت: مطبعة النور، 1982)، ص 26.

(3) - مدخل إلى الطقس الكنسي، ط 1، (القاهرة: دار الجيل للطباعة، 2002)، ص 58.

(4) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج 2، ص 135-136.

(5) - الرسالة إلى العبرانيين، إصحاح 13: 7.

(6) - جميل نجيب سليمان: المصدر السابق، ج 2، ص 137.

هذا ولا ترى الكنيسة الأرثوذكسية في استخدام الصور والأيقونات في الكنيسة مخالفة للوصية الأولى من الوصايا العشر التي منعت السجود والعبادة للصور أو التماثيل في وجود مجتمعات محيطة كانت تعبد الأصنام: "5 لَا تَسْجُدْ لَهَا وَلَا تَعْبُدْهَا، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُ غَيْرُ أُعَاقِبُ ذُنُوبَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِمَّنْ يُبْغِضُونَنِي"<sup>(1)</sup>، والصورة في الكنيسة لم تكن للعبادة ولمس الصور وتقبيلها لأنها ممسوحة بالميرون الذي يحتوي جانبا من البركة أو تعبيراً عن الحب، يقول الأب يوحنا الدمشقي: "إن منع الصور في العهد القديم قام جوهرها على عجز الشعب اليهودي عن التمييز بين العبادة الخاصة بالله وحده والتكريم الذي يمكن تقديمه لغير الله... أما المسيحيون فقد اجتازوا مرحلة الطفولة وصاروا قادرين على التمييز بينهما فليس هناك مانع من استخدام الأيقونات إذ هم يستطيعون ألا يمزجوا بين التعبد للسيد المسيح وتوقير أيقونته المقدسة"<sup>(2)</sup>.

إن الواقع المشاهد على الممارسات المسيحية يقول غير ذلك، لأن ما يحدث في كنائسهم يثبت عبادتهم لهذه الصور من كلام وركوع وسجود، مع العلم بأن الركوع والسجود من العبادة التي لا تقدم إلا لله وحده.

إن أساس هذه الممارسات الاعتقاد المسيحي القائل بامتلاء القديسين بالروح القدس أثناء حياتهم الأرضية والسماوية أيضا إذ تسكن النعمة في أرواحهم كما في أجسادهم كما تعمل أيضا في أيقوناتهم يقول يوحنا الدمشقي: "امتلاء القديسون بالروح القدس أثناء حياتهم وبعد رحيلهم تسكن نعمته في أرواحهم كما في أجسادهم في القبر وتعمل في أشكالهم وأيقوناتهم لا سكنى الجوهر بل كنعمة وقوة إلهية"<sup>(3)</sup>.

كما أن الكنيسة بوضعها للأيقونات تريد بذلك أن تعلم أتباعها بأن هؤلاء القديسون يُصلّون ويشفعون دائما من أجلهم أمام الله، والأيقونات تعوّدهم رؤية القديسين وتذكرهم بالحياة الأبدية التي ينبغي أن يجاهدوا من أجلها مثلهم، كما أن الصورة لها تأثير كعظة صامتة يتعلمون منها ومن سيرة صاحبها لأن الأيقونة قصة كاملة للسيرة التي تحملها، ويمر الكاهن أمام هذه الصورة حاملا الحجرة في صلوات عشية وباكر ويبخر أمامها ويلقي بالسلام على أصحابها قديسين أو شهداء أم ملائكة<sup>(4)</sup>، ويرى المسيحيون بأن

(1) - سفر الخروج، إصحاح 20: 5.

(2) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج2، ص137، أنظر أيضا، مدخل إلى الطقس الكنسي، ص57.

(3) - مدخل إلى الطقس الكنسي، المصدر السابق، ص59.

(4) - ميخائيل مكسي إسكندر: موسوعة طقوس الكنيسة، ج1، ص54.

الطواف بالبحور حول المذبح وتقديمه للأيقونات وأجساد القديسين والشعب يعمل على جمع صلوات الجميع كصوت واحد يحمل البخور المقدس وترفعه الملائكة المنوطة بالخدمة مع صلوات وتشفعات العذراء والقديسين<sup>(1)</sup>.

ويستدل المسيحيون الذين يؤمنون بشفاعة القديسين ارتباط البخور بصلوات العابدين والقديسين بأنه ظاهر في الكتاب: "4فَتَصَاعَدَ مِنْ يَدِ الْمَلَائِكَةِ دُخَانُ الْبُخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقَدِّيسِينَ أَمَامَ اللَّهِ"<sup>(2)</sup>، وفي الكنيسة دائما يسبق كل قداس صلاة رفع بخور عشية وباكراً بما تحويه من تسابيح وتماجيد وأغاني روحية، وعندما يضع الكاهن البخور في الجمرة ويخر ترتفع سحابات البخور وكأنها تحمل صلوات المؤمنين وطلباتهم وتشفعاتهم إلى السماء (كما في دورات البخور وفي ختام صلاة مجمع القديسين)، ويصف بولس القديسين بأنهم رائحة المسيح الذكية<sup>(3)</sup>: "14الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نَصْرِهِ الدَّائِمِ فِي الْمَسِيحِ، وَيَنْشُرُ بِنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ عَبِيرَ مَعْرِفَتِهِ. 15فَنَحْنُ لِلَّهِ رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ بَيْنَ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ أَوْ الَّذِينَ يَهْلِكُونَ."<sup>(4)</sup>.

كما يروي المسيحيون بأن هناك معجزات كثيرة حدثت في كنائسهم مع الذين يلجئون إلى التشفع بالقديسة مريم أو بأحد القديسين، وفي هذا يقول الكاهن ميخائيل يعقوب لكنيسة القديس مارأسيا الحكيم بالدراسية بمصر: "عاينت ولازلت حتى الآن ألمس معجزات كثيرة يجريها الله مع كثير من الذين يلجئون إليه بشفاعة القديس مارأسيا الحكيم"<sup>(5)</sup>.

والروايات التي يرويها المسيحيون في هذا الشأن كثيرة لا تعد ولا تحصى، الأمر الذي حوى عندهم عقيدة الشفاعة بالقديسين وعلى رأسها مريم العذراء<sup>(6)</sup>، حتى أنهم جعلوا لهؤلاء القديسين تخصصات في شفاء الأمراض فالقديسة ريتا من القسطنطينية شفيعة الأمور المستحيلة والقديس روكس المعترف شفيع مرض الطاعون والقديسة فيفيان شفيعة مرض الصرع والقديس يوسف النجار شفيع العمال والقديس

(1) - أغايوس أبو سعدي: ليتورجيا القديس الإلهي بين اللاهوت والرمزية، ص 575.

(2) - رؤيا يوحنا اللاهوتي، إصحاح 8: 4.

(3) - جميل نجيب سليمان: قضايا إيمانية، ج 2، ص 140.

(4) - رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، إصحاح 2: 14-15.

(5) - ميخائيل يعقوب: يعلمون لا كما يريد المسيح، ص 19.

(6) - بشرى جورج: معجزات البتول الملكة الشفيعة أم النور، (القاهرة: شركة فاين للطباعة، 2009)، ص 03 وما بعدها، أنظر أيضا، نورمان جراب: الشفاعة في حياة ريزهويلز، (القاهرة: إ. مدي جرافكس، 2006)، أنظر أيضا، فيلبس: السحابة المتألقة في دقادوس، ص 302 وما بعدها.

مارشربل شفيح لبنان، ومن هنا تظهر خطورة التشفع بالقدسين التي تحول معها القديسون آلهة، فإكرام القديسين لا يجب أن يتجاوز حد الإكرام والتمثل بإيمانهم إلى حد العبادة<sup>(1)</sup>، وهذا ما بنى أحد الأسس الهامة التي انتقدت منها شفاعة القديسين.

وقد انتقد المذهب البروتستانتي مظاهر التشفع الأرثوذكسي والكاثوليكي في الكنائس، التي تجاوزت الحدود في إكرام القديسين والملائكة إلى حد ليس فقط ممارسة التشفع وإنما بالصلاة والتضرع إليهم والطلب منهم بالشفاء من الأمراض الجسدية والروحية والحماية والشفاعة والمعونة بل وحتى الخلاص من الخطيئة والنجاة من الدينونة ودخولهم جهنم، كما أنهم يرفعون البحور ويطلقونه أمام تماثيل القديسين ويسجدون لهم ويسبحونهم بالتراتيل والألحان بل وينذرون لهم النذور ويخصصون لهم أياما كيوم السبت للعدراء وأعياد وذبائح تقدم على أسمائهم وأصواما كصوم الرسل والعدراء وغيرها مع أن الصوم والنذور هي عبادة تختص بالرب وحده<sup>(2)</sup>.

وأولى هذه الانتقادات التي وجهت للكنيسة الطقسية الرومانية؛ أن التشفع بالقدسين يقتضي توجيه الصلاة إليهم، والصلاة عبادة وسجود وهذه لا يجب أن تقدم إلا لواحد فقط هو الله، ولأن الصلاة إليهم تعدي وخطيئة، كما أن السجود للمخلوق عبادة وثنية<sup>(3)</sup>، فقد جاء في الإنجيل: "10 فأجابه يسوع: «ابْتَعِدْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ»".<sup>(4)</sup>

وإذا اعترض على الكنيسة الرومانية بأن هذه العبادة وثنية، تجيب بأنهم لا يعبدون هذه الصور عبادة مطلقة، بل إنهم يكرمونها بعبادة تقوية إكراما عائدا إلى عنصرها، ولكون هذه الصور هي لأحباء المسيح، وإكرامها يرجع إلى المسيح نفسه، وأما السجود بالعبادة المطلقة لا يقدمونه إلا نحو خشبة الصليب وصور الآب لأن عنصرها هو الله، وهكذا نسجد نحو تماثيله وصوره، غير أن التصرف العام في الكنائس بخلاف ذلك، لأن العامة يقدمون أنواع العبادة المطلقة نحو جميع صور القديسين بدون استثناء، لا بل إنهم يوقرون صورة مريم العذراء أكثر من صورة المخلص، وينذرون النذور لها ويأخذون ستر رأسها ويضعونه على رؤوس المرضى طلبا للشفاء، ولا يفعلون ذلك مع صورة المسيح المخلص<sup>(5)</sup>، كما أن الله تعالى نهي نهيها مطلقا عن

(1) - جون يونان: من هو شفيحك المسيح أم القديسين، ص 13.

(2) - المصدر نفسه، ص 09، أنظر أيضا، ميخائيل مشاققة: الرسالة الموسومة بالدليل الى طاعة الانجيل، ص 17.

(3) - المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، ص 60، أنظر أيضا، جون يونان: المصدر السابق، ص 21.

(4) - إنجيل متى، إصحاح 4: 10.

(5) - ميخائيل مشاققة: المصدر السابق، ص 04.



اتخاذ الصور والتماثيل وعن عبادتها والسجود لها<sup>(1)</sup>، كما جاء على لسان موسى في الوصية الثانية من الوصايا العشر: "لَا تَصْنَعُ لَكَ تِمْنَالًا مَنحُوتًا وَلَا صُورَةَ شَيْءٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ، وَلَا مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَلَا مِمَّا فِي الْمِيَاهِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. 5 لَا تَسْجُدْ لَهَا وَلَا تَعْبُدْهَا، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهُ غَيْرُ أَعَاقِبُ ذُنُوبَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِمَّنْ يُبْغِضُونَنِي،" <sup>(2)</sup>.

فبالرغم من وضوح الوصية الثانية من الوصايا العشر ونصوص الكتاب المقدس إلا أنه ومنذ عصور مبكرة دخلت صور المسيح والقديسين إلى الكنائس الأرثوذكسية بالتدرج حتى امتلأت بها مؤخرًا وهذا من التأثير الوثني لوجود الشبه بين صور آلهة المصريين القدماء والأيقونات القديمة بالكنائس الأرثوذكسية كصورة الآلهة إيزيس وهي تحمل طفلها الإله حورس وتطابقها مع الأيقونة الأثرية للعدراء وهي تحمل طفلها الرب يسوع وغيرها من المشابهات.

لم يقف الأمر عند حد تسلل الصور من الديانة المصرية القديمة إلى الكنيسة، بل امتد إلى بعض الممارسات الوثنية كإيقاد الشموع أمامها والتبخير والسجود لها وطلب المعونة والصلاة أمامها وغيرها مما يشاهد بوضوح في الكنيسة الأرثوذكسية التي توغل فيها وأصبح من صميم طقسها بل وعقيدتها<sup>(3)</sup>.

كما كان للتأثير الروماني الإغريقي وقعه أيضا على عقيدة التشفع بالقديسين فالتخصصات التي كانت لآلهة الرومان والإغريق وأن لكل إله عمله تحولت أسماء هذه الآلهة إلى أسماء قديسين حديثة وكما كان الوثنيون يصلون إليهم لسد حاجاتهم فكذلك المسيحيون اليوم يصلون ويطلبون من القديسين العون والخلاص والحماية والشفاء فقد كان الروماني عند سفره يصلي للإله هيرمس وكذلك اليوم يصلي المسيحي إلى القديس خريستفورس شفيع الطرقات والمسافرين...إلخ، وهكذا صار للقديسين تخصصات كل في مجاله<sup>(4)</sup>.

يرى البروتستانت أنه من هنا تظهر مدى خطورة التشفع بالقديسين الذين أصبحوا كآلهة رومانية تراحم المسيح في مجده، لأن جملة الممارسات الكنسية التي توجه إلى مريم العذراء والقديسين والأقوال التي

(1) - ميخائيل مشاققة: الرسالة الموسومة بالدليل الى طاعة الانجيل، ص05، أنظر أيضا، حنين عبد المسيح: عبادة الأصنام، (دم: در، 2009)، ص03.

(2) - سفر الخروج، إصحاح 20: 4-5.

(3) - حنين عبد المسيح: عبادة الأصنام، ص16-17.

(4) - جون يونان: من هو شفيعك المسيح أم القديسين؟، ص12-13.

يقولونها لهم لا يمكن أن تقال إلا لمن تحب له الطاعة والعبادة وهو الله ولو كان ذلك من باب الإكرام<sup>(1)</sup>، وحتى السجود التكريمي يوجد ما يدل على بطلانه لما جاء في الإنجيل لأن الملائكة والقديسين لا يرضون التقدم لهم بالسجود وأنواع العبادة فهذا يوحنا الإنجيلي عندما سجد أمام رجلي الملاك لمهابته تلك الرؤية قال له الملاك لا تفعل إني عبد مثلك فاسجد لله<sup>(2)</sup>، وكذلك القائد كرنيليوس عندما سجد عند رجلي بطرس الرسول مع أن سجوده كان تكريما لا عباديا إلا أن بطرس أنهضه وقال له إني إنسان<sup>(3)</sup>.

وثانيها أن تقديم التضمرات والتوسلات إلى القديسين من أجل الخلاص أو الشفاء أو التشفع بهم فهذا مخالف للإيمان والعقل من وجهين: الأول أن هؤلاء القديسين أموات وهم لا يشعرون بما يطلبونه منهم، والثاني أنهم لا يقدرّون على خلاصهم وعليه فلا يجوز طلب الخلاص منهم لقول المسيح: "6أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ، لَا يَجِيءُ أَحَدٌ إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي."<sup>(4)</sup>، وبهذا القول انتفى طلب الخلاص من غير المسيح نفيا مطلقا<sup>(5)</sup>.

إن هذا الفكر يتناقض مع ما جاء في الإسلام؛ لأن طلب الخلاص أو الغفران وكل احتياجات المؤمن لا تطلب إلا من الله وحده، لأنه هو الرحيم وهو الغفور وهو الرازق، وكل ما سمي به نفسه، وكل طلب أو سؤال من غير الله يعد شركا بالله.

فالكنيسة الأرثوذكسية تتشفع بالقديسين والملائكة ليس فقط طلبا للمعونة أو نوال عطية بل وأيضا طلبا لمغفرة الخطايا ونوال الخلاص كما جاء في مجمع التسيحة وختام القدّاسات وكما في لحن الهيئات الذي يقال في بداية القداس وفي صلوات كثيرة ألا تكون طلباتهم هذه من نوال المغفرة والخلاص شفاعا كفارية؟ وليست توسلية مثلما يقولون<sup>(6)</sup>، كما أنها تصلى للعدراء والقديسين في صلوات الأجيبة<sup>(7)</sup>: "ونتضرع إليك يا والدة الإله لكي تخلصينا بشفاعتك" كما تقدم التسبيح والتمجيد والتعظيم لهم وأمام

(1) - جون يونان: من هو شفيحك المسيح أم القديسين؟، ص13.

(2) - ميخائيل مشاققة: الرسالة الوسومة بالدليل الى طاعة الانجيل، ص21.

(3) - المصدر نفسه، ص22.

(4) - إنجيل يوحنا، إصحاح 14: 6.

(5) - ميخائيل مشاققة: المصدر السابق، ص145.

(6) - حنين عبد المسيح: عبادة الأصنام، ص07.

(7) - الأجيبة: صلوات حسب الساعات، أنظر، تادرس يعقوب ملطي: قاموس المصطلحات الكنسية، ص05.

صورهم حتى طغت على طقس الكنيسة وأصبح من الصعب تركيز النظر على رئيس الإيمان والرب يسوع فقط بل تشتت في كثرة صور الشهود من القديسين<sup>(1)</sup>.

وثالثهما: أن الكهنة هم الذين يعملون على تمويه الناس بقضية تقديم الصلاة إلى الملائكة والقديسين والاستشفاع بهم وطلب معونتهم بمثال فاسد يضربونه لهم وهو أنه كما لا يمكن للشعب أن يصل إلى السلطان إلا بواسطة لقضاء حوائجهم فكذلك الأمر مع الله لأنه أعظم من كل سلطان وبواسطة القديسين المحبوبين من الله تقضى لهم حوائجهم لأنه كما في السماء كذلك على الأرض غير أن الوسيط الوحيد هو ابنه الذي أظهر محبته ببدل نفسه فداء عنهم<sup>(2)</sup>، والاعتقاد بشفاعة القديسين يعمل على سلب المسيح وظيفته التي جاء من أجلها وهي خلاص المؤمنين<sup>(3)</sup>.

رابعهما: أنه لا يمكن التحقيق على أن هؤلاء القديسين جميعهم حاصلون على القبول والسعادة لأن الحكم على قداستهم إنما هو بمقتضى ظواهرهم فرما يكون الإنسان قد قدس واحدا ويكون هو في جهنم فتكون عبادتهم حينئذ لرجل هالك لا يقدر على استجابة من يدعو باسمه فقد ورد في سفر الجامعة قوله: "10 وَرَأَيْتُ أَشْرَارًا يُدْفَنُونَ بِكَرَامَةٍ، وَالنَّاسُ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِمْ مِنَ الْمَقْبَرَةِ يَنْسَوْنَ مَا فَعَلُوهُ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الشَّرِّ، هَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ"<sup>(4)</sup>، إضافة إلى ذلك اختلاف المسيحيين فيما بينهم في اعتبار أن فلانا قديسا بل وبين طوائف الكاثوليك أنفسهم، فالشرقيين منهم مثلا يعتقدون بقداسة الملك قسطنطين الكبير ويطلبون شفاعته والرومانيون لا يقبلون به قديسا بل يعتبرونه هرطقيا لأنه كان أريوسيا ولهذا ربما يكون من الهالكين، وكذلك الحال بالنسبة للمارونيين الذين يعتقدون بقداسة بطريكتهم الأول يوحنا مارون ويتخذونه شفيعا خاصا لطائفتهم ويطلبون شفاعته ومعونته، أما الرومانيون مع باقي الطوائف الكاثوليكية فيعتقدون بأنه صاحب بدعة المونثيليين في جبل لبنان ويحكمون عليه بالهرطقة وبالتالي فهو أيضا هالك في جهنم فبأي قديس يتشفع الكاثوليك يا ترى، هذا شأن الطائفة الواحدة فما بالك بعامية المسيحيين من كاثوليك وأرثوذكس، وفي ظل هذه الاختلافات المتباينة يعتقد البروتستانت أنه لا شفاعاة إلا للمسيح فهو الشفييع الكفاري والشفييع التوسلي سواء كانت هذه التشفعات لغفران الخطايا أو

(1) - حين عبد المسيح: عبادة الأصنام، ص 10-11.

(2) - ميخائيل مشاقة: الرسالة الوسومة بالدليل الى طاعة الانجيل، ص 150.

(3) - المصدر نفسه، ص 31.

(4) - سفر الجامعة، إصحاح 8: 10.

لتسديد احتياجات الآخرين، كما جاء على لسان المسيح<sup>(1)</sup>: "وَمَا طَلَبْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي حَتَّى الْآنَ. أَطْلُبُوا تَنَالُوا، فَيَكْتَمِلَ فَرَحُكُمْ."<sup>(2)</sup>.

هذه مجملًا أهم الانتقادات التي وجهتها الكنيسة البروتستانتية إلى عقيدة الشفاعة بالقدسين التي لم تعرفها الكنيسة الأولى بل هي من العقائد الدخيلة عليها.

بناء على ما سبق يتبين لنا بأن شفاعاة القديسين من الشفاعات التوسلية المختلف في أمرها بين البروتستانت الذين يرفضونها، والكاثوليك والأرثوذكس الذين يؤمنون بها ويطبّقونها في حياتهم اليومية، وتأتي شفاعاة القديسين على أساس الدعاء والتوسلات سواء شفاعاة الأحياء للأحياء أو شفاعاة الأحياء للأموات أو الأموات للأحياء، وقد ارتبطت هذه الشفاعاة بالكنيسة في صلوات التسبيح وليتورجيا القداس وفي الأعياد المخصصة لهم، وكذلك بأيقوناتهم التي تعد جزءًا من التقليد الكنسي.

بعدما تعرفنا على الشفاعاة في المسيحية وعلى اختلاف أنواعها؛ سواء ما تعلق منها بالمسيح أو الروح القدس أو القديسين، وما تمثله هذه العقيدة في فكر المسيحي ووجدانه، وما عرفته من انتشار واسع في أوساط المجتمعات المسيحية، نأتي في العنصر الموالي لاستكمال الموضوع من كل جوانبه لنبحث فيه الآثار المترتبة عن هذه العقيدة، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

(1) - جون يونان: من هو شفيعك المسيح أم القديسين؟، ص 52-53.

(2) - إنجيل يوحنا، إصحاح 16: 24.

### المبحث الرابع: الآثار الدنيوية والأخروية للشفاعة

بعدما عرفنا مضامين الشفاعة المسيحية نأتي في هذا المبحث لدراسة الآثار المترتبة عن الشفاعة سواء ما تعلق منها بالحياة الدنيا أو الآخرة.

#### المطلب الأول: الآثار الدنيوية لعقيدة الشفاعة عند المسيحيين

تتمثل الآثار الدنيوية لعقيدة الشفاعة على الإنسان عند المسيحيين في بعث الطمأنينة والسكينة في قلبه وذلك بعد التخلص من عبء الذنوب والمعاصي لأن الخطيئة تجعل الإنسان يفقد السلام ويرث بدله القلق والحزن وهكذا يكون القلق قرين الخطيئة ويأتي في ركابها ويستقر معها وعلى هذا النحو يفقد الإنسان الراحة القلبية الهادئة وسلامه الداخلي الذي هو من أعظم عطايا الله للإنسان: "20 وَأَمَّا الْأَشْرَارُ فَيَبْقَوْنَ كَالْبَحْرِ الْمُمْضَرَبِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَهْدَأَ، مِيَاهُهُ تَقْذِفُ الْوَسْخَ وَالْوَحْلَ. 21 فَلَا سَلَامَ لِلْأَشْرَارِ. هَكَذَا قَالَ إِلَهِي"<sup>(1)</sup>، فالإنسان في نظرهم حتى لو أراد الهدوء فهو لا يستطيع، لأن السلام ثمرة من ثمار شفاعة الروح القدس والقلق ثمرة من ثمار الخطيئة<sup>(2)</sup>.

إن فعل الخطيئة في الإنسان تبعث على الحزن والكآبة هذه الأخيرة التي قد تؤدي بصاحبها إلى حد القنوط وقطع الرجاء، بل وحتى الانتحار عند البعض ولهذا فالتخلص من الذنوب والرجوع إلى الله أحد الوسائل التي تعيد للإنسان استقراره الداخلي النفسي الذي يعود بآثاره الإيجابية على حياة الإنسان اليومية<sup>(3)</sup>، خاصة وأن ممارسة المسيح الشفاعة للإنسان عند المسيحيين عندما يخطئ لنوال المغفرة لا عندما يتأسف عن الخطأ لأن توبة الإنسان المؤمن هي من نتائج شفاعة المسيح وليست سبباً لها<sup>(4)</sup>.

وهكذا يعتقد المسيحيون أن شفاعة المسيح تعمل على حفظ المؤمنين في حياتهم إذا ما وقعوا في أخطاء أو زلة ما في حالة القبول أمام الله على أساس كفاية كفارته عنهم<sup>(5)</sup>، وبهذا وضع المسيح المؤمنين الخطاة في الحالة السليمة مع الله؛ لأنه حي ومعهم دائماً، يملأ قلوبهم بالقوة للتغلب على تجارب الحياة، فهو غير وضعهم أمام الله كما غير حياتهم، حيث أعطى الخطاة العلاقة السليمة مع الله، رغم خطاياهم

(1) - سفر إشعيا، إصحاح 57: 20-21.

(2) - يؤانس: بستان الروح، ط1، (القاهرة: دار الكتاب القومية، رقم الإيداع 5417 لسنة 1971)، ج1، ص18-19.

(3) - المصدر نفسه، ص20.

(4) - جورج كنتنج: غفران الخطايا من ثلاث أوجه، ط2، (دم: در، 1992)، ص8، 10.

(5) - عوض سمعان: الكهنوت، ص114.

ثم يستمر بنعمته ليمكنهم من ترك الخطية والسير في الحياة الصالحة<sup>(1)</sup>.

كما يرى المسيحيون أن آثار شفاعة الروح القدس في حياة الإنسان اليومية تكون من خلال تحريكه للمشاعر الروحية والعمل على إلهاب قلوب المسيحيين بالحببة الإلهية ويثير فيهم الحاجة إلى الصلاة<sup>(2)</sup>، وإذا ما ثابر الإنسان واستمر في حياة الشركة مع الله أعطاه الروح القدس العزم والقوة وبذلك يستطيع أن يعبر بحر تجارب الحياة، فالروح القدس يقدم للمؤمنين دفاع المعلم المرشد وهكذا يحفظ النفس الإنسانية في المسيح ويشبثها حسب وصايا الله حتى لا تستهين بموت الخطية التي تكون سببا في حرمان الإنسان من الحياة السليمة في الدنيا والحياة الأبدية في الآخرة<sup>(3)</sup>.

أما بالنسبة لشفاعة القديسين فهي أيضا لها آثارها الإيجابية على المجتمع المسيحي حسب ما بينه غريغوريوس في موسوعته حيث تعمل على بعث فضيلة الحب بين الناس لأن الشفاعة دليل الحب فمن يشفع في غيره لا بد أن يحب هذا الغير ويتمنى له الخير ولأن الله نفسه يريدنا أن يحب الناس بعضهم بعضا والصلاة من أجل الآخرين دليل الحب والاهتمام والسعي لخير الناس والمجتمع<sup>(4)</sup>، ذلك لأن شفاعة القديسين في حد ذاتها كانت بدافع الحب الذي يربط أعضاء جسد المسيح المؤمنين في السماء وعلى الأرض يطلب الواحد منهم للآخر حتى لا يذهبوا إلى الجحيم بل يكون لهم نصيب في النعيم وكل هذه التوسلات والصلوات هي من منطلق المحبة<sup>(5)</sup>.

إن الشفاعة لا تستقيم إلا إذا كانت القلوب صافية ولا تحمل حقدا ولا كراهية وإلا فكيف يكون الإنسان حاقدا على شخص ويصلي من أجله طالبا له الخير، إنه لا يستطيع ذلك إلا إذا صفح عنه، فالله يسر بالشفاعة لأنها حسب ما يعتقد المسيحيون برهان رضى القديسين عن الذين يشفعون فيهم وعن حبهم لهم والله يسر بسيادة المحبة بين جميع الناس<sup>(6)</sup>.

فالشفاعة التوسلية هي من أكثر الأشياء التي تفرح قلب الله، لأن الإنسان حينما يمارسها يشعر

(1) - وليم باركلي: تفسير العهد الجديد- رسالة رومية-، ترجمة: القس منيس عبد النور، (القاهرة: دار الثقافة، 1982)، ص 91-92.

(2) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4272.

(3) - صفرونيوس: من رسائل الأب صفرونيوس إلى تلميذه ثيودوروس، المتوية الأولى للتوبة وعمل الروح القدس في القلب، ص 10-11.

(4) - غريغوريوس: المصدر السابق، ص 4268.

(5) - زكريا بطرس: الشفاعة، مقال منشور بموقع [www.alkalema.net/article/shaafaa](http://www.alkalema.net/article/shaafaa)

(6) - غريغوريوس: المصدر السابق، ص 4269.

الله بالمحبة التي تكون بين بعضهم البعض، ومن ثم فالشفاعة هي أكبر دليل على الصلة والمحبة والتسامح المستمر بين الشافع والمشفوع فيه، وبالتالي بين الناس بعضهم ببعض<sup>(1)</sup>، وهذه هي العلامة الخاصة للشفاعة؛ إذ يأخذ الإنسان على عاتقه أعباء الذين يصلي لأجلهم، فالشفاعة عند المسيحيين واجب كل مسيحي؛ لأنها استودعت له كجزء من مخطط الرب للخلاص، فالصلاة تكون لحزن وكآبة الشعوب، كما تكون للسعادة والأمل، وهذا ما يؤسس جوهر الشفاعة التي يكون منطلقها الحب، فالشفاعة هي فعل الحب<sup>(2)</sup>.

كما أن الاستشفاع بالقدسين حسب وجهة النظر المسيحية، يبعث أيضا على فضيلة التواضع لأنها تنطوي على الاتضاع، ومعناه أن ينزل الإنسان إلى مستواه أو بالأحرى يعرف قدر نفسه وقدر غيره، لأن من يستشفع بغيره يرى نفسه خاطئا أمام الله، وأنه قد أغضبه بسلوكه جراء المعاصي التي ارتكبها مما أفقده استحقاق الرضى الإلهي أو الاقتراب منه، ولذلك فإنه يستغيث بغيره لإعانتته في طلب رحمة الله وأكثر صلاحا وهذا هو الاتضاع بعينه<sup>(3)</sup>.

لقد ذكر غريغوريوس أن هناك فرق شاسع بين الذي يتأمل ذاته في نور الفضيلة، فينسحق قلبه بالألم على أخطائه ويصلي إلى الله يطلب غفرانه لأجله ولأجل غيره، ومن أجل القديسين الذين أرضوه بأعمالهم الصالحة وبين إنسان آخر لا يرى في نفسه حاجة إلى صلوات غيره، وقد يرى نفسه أفضل من غيره فقد يؤدي به الغرور والتكبر بل وحتى احتقار أعمال القديسين الكبار ومكانتهم<sup>(4)</sup>.

فإذا كانت الكبرياء تعبر عن أشر الخطايا، والأم التي تلد وتحتضن خطايا كثيرة فبلا شك يكون الاتضاع من أولى الفضائل الأم التي تلد فضائل كثيرة، وتخلص من خطايا عديدة لذلك فمن يتقن التواضع يضع لنفسه أساسا صالحا متينا لبنيان حياته الروحية بل لقد شبهه أحد الآباء "بشجرة الحياة التي لا يموت أكلوها"<sup>(5)</sup>.

(1) - يوحنا جون: شفاعة القديسين من منظور كتابي، مقال منشور بدراسات يوحناوية، 2013/10/11،

www.allahm3.blogspot.com، تم التصفح يوم: 2016/8/26.

(2) - Cyril John: **La force de la prière d'intercession**, (France: édition des Béatitudes), p16.

(3) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4269.

(4) - المصدر نفسه، ص 4269.

(5) - يؤانس: بستان الروح، ج 1، ص 111.

كما يرى المسيحيون أنه مما يزيد الاتضاع شرفاً، أن المسيح نفسه هو الذي علم فضيلة الاتضاع في مقدمة ما علم به سواء بمثال حياته أو أعماله أو تعاليمه الإلهية فهو لم يقل: "تعلموا مني العجائب، وبل قال تعلموا مني لأنني وديع ومتواضع القلب" وفي ترجمات أخرى: "29 احْمَلُوا نِيرِي وَتَعَلَّمُوا مِنِّي تَجِدُوا الرَّاحَةَ لِنَفُوسِكُمْ، فَأَنَا وَدِيعٌ مُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ،"<sup>(1)</sup>، وذلك لأن الاتضاع الحقيقي هو أقوى من الارتفاع، والتعبد لله بالتواضع خير من عمل العجائب والآيات<sup>(2)</sup>.

إن فضيلة الاتضاع عند المسيحيين تقتضي أن الإنسان يشعر أنه أقل من غيره، وأن غيره أفضل منه، فالكنيسة الأرثوذكسية تعلم أتباعها بأن الصلاة من أجل الغير لا يجب أن تكون بأدنى شعور من الغرور بل بالعكس تعلم بأن الإنسان دائماً في حاجة إلى صلاة الغير، وعقيدة الشفاعة تعلم كل هذا لأن الشفاعة في الكنيسة الأرثوذكسية تنطوي على فضيلة الاتضاع فضلاً على أنها تنطوي على الإيمان بالله وبقداسة الله التي تقتضي الشعور بالنقصان وعليه فالشفاعة تنطوي على إحساس عميق بقداسة الله الكاملة كما تنطوي أيضاً على مبدأ الحب والتعاون والتكافل الاجتماعي<sup>(3)</sup>.

### المطلب الثاني: الآثار الأخروية للشفاعة

إن الشفاعة عند المسيحيين وإن كانت في الحياة الدنيا إلا أن لها آثاراً على الجانب الأخروي وإن كان بصفة غير مباشرة ويتمثل هذا الأثر في تخليص المسيحي من الذنوب والمعاصي التي ارتكبها في حياته وهذا ما ينعكس إيجابياً على حياته الآخرة.

فعلى أساس اعتقاد المسيحيين بأن شفيعهم الكفاري الوحيد هو المسيح لأنه يعمل على مغفرة خطاياهم على أساس الكفارة التي ناب فيها عن البشرية في دفع ثمن الخطيئة: "1 يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ لِنَلَّا نُخْطِئُوا. وَإِنْ خَطِيئَةٌ أَحَدٌ مِنَّا، فَلَنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا، لَا لِخَطَايَانَا وَحْدَهَا، بَلْ لِخَطَايَا الْعَالَمِ كُلِّهِ."<sup>(4)</sup>.

فالمسيح يمثل لأتباعه المعزي الأول، والحامي الذي يدافع عنهم، ويطلب من أجل غفران خطاياهم على أساس عمله الكفاري الكامل على الصليب، ما أعطاه القدرة على الشفاعة وبكل استحقاق، مما

(1) - إنجيل متى، إصحاح 11: 29.

(2) - يوانس: بستان الروح، ج 1، ص 111-112.

(3) - غريغوريوس: الموسوعة، ص 4365، 4382.

(4) - رسالة يوحنا الرسول الأولى، إصحاح 2: 1-2.



أعطى شفاعته كامل الفعالية والقبول<sup>(1)</sup>.

إن المسيح بحسب الاعتقاد المسيحي لم يكفر فقط عن الخطية الأصلية بل كفر أيضا عن الخطايا الشخصية لما جاء في سفر إشعيا: "12... وَهُوَ الَّذِي شَفَعَ فِيهِمْ وَحَمَلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ."<sup>(2)</sup>، وما جاء أيضا: "... أَنْ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا..."<sup>(3)</sup>، ولذلك كان هناك مجال لغفران الخطايا الشخصية ويكون هذا الغفران بذات الكفارة التي قدمها المسيح على الصليب<sup>(4)</sup>. وفيما يتعلق بشفاعة المسيح في التكفير المنجز عن خطايا أتباعه التي يظهر أثرها في تضحية المخلص ينظر إليها على أنها تستمر في السماء وهو على كرسي الرب يقدم باستمرار ذكريات الخلاص الذي قام به حيث يستعطف الرب ليغفر للمذنبين ويجلب لهم الرحمة والغفران وهي تطبيق فعال لقضية الخلاص<sup>(5)</sup>.

فشفاعة المسيح في اللاهوت المسيحي تضمن التقديس والمثابرة والخلاص النهائي للمفديين، لقد قدم المسيح التضحية اللازمة ليكون شعبه شعبا مقدسا من الرب ودم الفداء الذي قدمه يمثل النافورة التي تظهر أتباعه من الذنوب والخطايا التي تفيدهم في الخلاص من الدينونة والفوز بالسعادة الأبدية<sup>(6)</sup>.

كما أن شفاعة المسيح عند أتباعه ليست للخلاص من الخطية ودينونتها فحسب بل تمتد إلى كل أمور الحياة واحتياجاتها وهذا ما دونته الأناجيل في بعض الإشارات إلى شفاعة المسيح في أثناء وجوده على الأرض ومثال ذلك صلواته في إنجيل يوحنا التي كانت من أجل تلاميذه التي كانت ليس من أجل تخليصهم من الخطية، بل كانت كذلك من أجل أن يحفظهم من الشيطان أيضا وأن يقدسهم ويكونوا معه في المجد وأن يكون فيهم الحب الذي أحب به الآن ابنه الوحيد<sup>(7)</sup>، جاء في إنجيل يوحنا: "9 أَنَا أُصَلِّي لِأَجْلِهِمْ، وَلَا أُصَلِّي لِأَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ لِأَجْلِ مَنْ وَهَبْتَهُمْ لِي لِأَنَّهُمْ لَكَ... 15 لَا أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشَّرِّيرِ... 24 أَنْتَ وَهَبْتَهُمْ لِي، أَيُّهَا الْآبُ وَأُرِيدُهُمْ أَنْ يَكُونُوا حَيْثُ أَكُونُ لِيَرَوْا مَا أُعْطَيْتَنِي مِنَ الْمَجْدِ لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ

(1) - جبرائيل نداف: الشفاعة في الأرثوذكسية، مقال منشور بموقع كلام، 2016/01/26، www.kalam1.org/a/1111، تم التصفح يوم: 2016/11/3.

(2) - سفر إشعيا، إصحاح 53: 12.

(3) - رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، إصحاح 15: 3.

(4) - عوض سمعان: الكهنوت، ص 21.

(5) - Thomas Houston: **Intercession of Christ**, p44,48.

(6) - **Ibid, op. cit**, p55.

(7) - صفاء داود فهمي: الشفاعة، ص 10.

... 26 أَظْهَرْتَ لَهُمْ اسْمَكَ، وَسَأُظْهِرُهُ لَهُمْ لِتَكُونَ فِيهِمْ مَحَبَّتَكَ لِي وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (1).

فبالإضافة إلى أن شفاعة المسيح تؤثر بشكل مباشر في التخلص من الذنوب والخطايا فهي أيضا تؤثر بشكلها الإيجابي في حفظ المؤمنين من الشيطان في حياتهم اليومية التي يتعرضون فيها للخطأ لما في الجسد من ضعف لذلك فهم يحتاجون دائما إلى شفاعة المسيح وتعزيده وهذا ما يؤدي بهم إلى عدم الهلاك والنجاة من الدينونة الأبدية (2).

ونظرا لخشية الناس بصفة عامة من يوم الحساب فإن المسيحيين يعتقدون أنه بفضل كفارة المسيح بدمه المسفوك الذي يعد شفاعة قائمة متصلة أصبح المؤمنون لا يخشون هذا اليوم (3)، فقد قال المسيح: "«الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يَسْمَعُ لِي وَيُؤْمِنُ بِي مَنْ أَرْسَلْتَنِي فَلَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ، وَلَا يَحْضُرُ الدَّيْنُونَةَ، لِأَنَّهُ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (4).

إن المتأمل في هذا النص لا يجد ما يدل على أن المسيح قال لهم بأنه على أساس كفارته سيمنحهم الحياة الأبدية من غير حساب بل إن عدم خضوعهم للحساب وفوزهم بالحياة الأبدية يكون بإيمانهم به وسماعهم لما جاء به.

غير أن القول بوجود المسيح الشفيع لا يجب أن يفتح المجال للتهاون في أمر الخطية أو الاستخفاف بخطورتها لأنه من المفروض في المؤمنين أن يتحولوا عن ارتكاب الخطايا بكل قلوبهم بمجرد التعرض لها وأن يحفظوا أنفسهم في كل حين في حال الشركة الصافية مع الله، بل إن الشفاعة تحول بين المخطئين ودخولهم في حالة اليأس لأن السقوط في الخطية يؤدي إلى الحزن لأنها أكبر إساءة إلى الله كما أنها أكبر عدو إذ تحرمهم من الشركة مع الله (5).

كذلك الحال بالنسبة لشفاعة القديسين والتي يعتقد فيها الكثير من المسيحيين بأنها لغفران خطاياهم وإنقاذ المتعثرين منهم وفي هذا الصدد يقول الأنبا يوانس: "إن الاتصال بالسماء ومن فيها سهل وميسور، وما عليك إلا أن تنادي القديس: يا ست يا عذراء، يا أم النور يا ملاك ميخائيل، يا مارجرجس، يا

(1) - إنجيل يوحنا، إصحاح 17: 9، 15، 24، 26.

(2) - عوض سمعان: الكهنوت، ص 26.

(3) - المصدر نفسه، ص 26، أنظر أيضا، عوض سمعان: غفران الذنوب، (مصر: دار الأخوة للنشر، دت)، ص 152.

(4) - إنجيل يوحنا إصحاح 5: 24.

(5) - شفاعة المسيح، مقال منشور بموقع كلمة الحياة، -priesthood-of-97www.kalimatalhayaat.com/doctrine/

christ/1653-page7، تم التصفح يوم: 13 / 8 / 2016.

مارميناً... إلخ وفي التو واللحظة يصل نداؤنا إلى أسماعهم ويهبون لنجدتنا"<sup>(1)</sup>، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا إذا كانت شفاعة المسيح كافية لغفران الخطايا فما حاجة المسيحيين التشفع بالقدسين وطلب المغفرة منهم والاستغاثة بهم؟

في الأخير نقول، بأن الشفاعة في المسيحية لها آثارا على مستويين، الأول يتمثل في الحياة الدنيوية، وذلك لأن الشفاعة تبعث على الراحة والطمأنينة كما تبعث على المحبة بين الناس والتكافل بين أفراد المجتمع، والثاني الجانب الأخروي؛ وذلك بتخليص الإنسان من ذنوبه، فشفاعة المسيح أو القديسين وغيرهما وإن كانت دنيوية، إلا أن لها آثارا على اليوم الآخر، لأن الإنسان الذي يتخلص من ذنوبه الدنيوية تكون له الحياة الأبدية، والسعادة الأخروية.

---

(1) - يؤانس: السماء لمثلث الرحمت، ص22.

وفي ختام هذا الفصل نستنتج أن الشفاعة في المسيحية:

- دنيوية من حيث تحديد إطارها الزمني، لأن الشفاعة التي يعتقدونها المسيحيون بالمسيح وأمه والملائكة والقديسين تكون في الحياة الدنيا لا الآخرة.
- شفاعة المسيح شفاعة كفارية، على أساس عمله التكفيري على الصليب، وهو ما أهله للخدمة الشفاعية في السماء، وهذا التكفير هو أيضا ما أعطى صفة الفعالية والقبول، فصارت بذلك علة سعادة الذين يأتون بها إلى الله.
- شفاعة المسيح أمام الله تكون بوصفه محاميا ومدافعا ينوب عن أتباعه من أجل الكلام في قضيتهم، وشفاعته تنطلق من كونه قاضيا وحكما وملكا، له كامل السلطة في الإنقاذ والإدانة، وهذا ما أعطى شفاعته صفة الإلزامية والإطلاق.
- شفاعة الروح القدس شفاعة نيايية، ناب فيها الروح القدس عن المسيح بعد صعوده إلى السماء لمساعدة المؤمنين في صلواتهم في حياتهم الدنيوية، وإرشادهم وإنارة طريقهم.
- شفاعة الملائكة من الشفاعات التوسلية، وتكون بإعانة المؤمنين، وذلك بحمل صلواتهم وطلباتهم إلى السماء.
- شفاعة المسيح والروح القدس من الشفاعات المتفق عليها بين المسيحيين بمختلف طوائفهم، بخلاف شفاعة الملائكة والقديسين التي عرفت اختلافا كبيرا في شأنها من حيث الاعتراف والاعتقاد بها، فاعترف بها كل من الكاثوليك والأرثوذكس، وأسموها بالتوسلية، أما شفاعة المسيح فاعتبروها كفارية، وأنكرها البروتستانت لكفاية شفاعة المسيح في نظرهم.
- تقوم شفاعة مريم العذراء على أساس أنها والدة الإله التي تجلس عن يمينه في السماوات و ما دامت على يمينه فهي تشفع للمؤمنين، وترفع صلواتهم إليه لينالوا الرحمة والغفران وهذا ما أعطها مكانة عظيمة في اللاهوت المسيحي.
- أساس شفاعة القديسين مكانتهم ودالتهم العظيمة عند الله، ولهذا يلجأ إليهم المسيحيون للتشفع بهم وجعلهم وسطاء لطلب المغفرة، ورفع احتياجاتهم وطلباتهم اليومية من الله.
- شفاعة القديسين وعلى رأسهم مريم العذراء من الشفاعات الواسعة الانتشار في المجتمعات المسيحية عند أتباع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية على حد سواء، ويتشفعون بهم لنيل

- الغفران، ويعمل القديسون كوسطاء بين الناس وربهم، وقد أدت المبالغة في تكريم هؤلاء الوسطاء إلى التوجه إليهم بالعبادة بدلا من توجيهها إلى الله.
- الآثار العقديّة للشفاعة في المسيحية تكمن في تخليص المؤمنين من الذنوب، وإن كانت في الحياة الدنيا، إلا أن آثار الانتفاع بها في الآخرة.
  - تكمن الآثار الدنيوية للشفاعة المسيحية في بعث الراحة والطمأنينة والمحبة بين المؤمنين، كما تبعث أيضا على التواضع والمحبة بين الناس والتكافل بين أفراد المجتمع.
- بعدها تناولنا بالبحث الشفاعة في الديانة المسيحية، وعرضنا أهم نتائج الفصل نأتي في الفصل الموالي لنبحث الشفاعة في الدين الإسلامي لنعرف ما إذا كان هناك تشابه بين الديانتين أم هناك اختلاف بينهما من حيث المعطيات الفكرية وتأصيلها ونتائجها.

## الفصل الثالث

### الشفاعة في الإسلام

المبحث الأول: مذاهب المسلمين في الشفاعة

المبحث الثاني: شروط الشفاعة

المبحث الثالث: أنواع الشفاعة

المبحث الرابع: الآثار العقديّة والعملية للشفاعة

## مدخل

تنقسم الشفاعة باعتبار العامل الزمني إلى قسمين؛ شفاعة أخروية وهو أساس هذا البحث من حيث كون الشفاعة في الإسلام أخروية وهو ما سنتطرق له بالتفصيل، وشفاعة دنيوية وتنقسم هذه الأخيرة إلى شفاعة محمودة (شرعية) وشفاعة مذمومة (غير شرعية).

وهو ما تبينه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾<sup>(1)</sup>، نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض، وقد فسرت الشفاعة الحسنة في الآية الكريمة بأنها السعي في أمر يترتب عليه الخير فيكون له نصيب من هذا الخير، والشفاعة السيئة بأن يكون له وزر من جزاء ذلك السعي<sup>(2)</sup>.

### أولاً: الشفاعة المحمودة:

إن الشفاعة المحمودة من الأمور المباحة بل المستحبة خاصة إذا كانت في إرجاع حق لأصحابه أو إبعاد ظلم عن مظلوم، يقول الإمام النووي: "تستحب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما، أم إلى أحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلم أو إسقاط تعزير أو في تخلص عطاء محتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام وكذا الشفاعة في تميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك فهي حرام"<sup>(3)</sup>.

ويتمثل هذا النوع من الشفاعة في:

### 1- قضاء حوائج الناس:

من الأعمال المستحبة التي رغب الله ﷻ فيها قضاء حوائج الناس، وجعل لمن احتسب ذلك عند الله الجنة هذا في الآخرة، كما يجعل الله ثوابه في الدنيا حب الناس له، وأن يوضع له القبول في الأرض

(1) - سورة النساء، الآية 85.

(2) - محمد ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، علق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م)، ج2، ص325.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ط1، (القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، 1349هـ-1930م)، ج16، ص177-178.

فضلا عن قبول أهل السماء، وهذا أثر من آثار محبة الله تعالى له<sup>(1)</sup>.  
 لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فَرَّجَ الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"<sup>(2)</sup>.  
 فقضاء حوائج الناس بعضهم لبعض لها من الأثر الإيجابي في جعل المجتمع فيه نوع من التكافل والتعاون والترابط، خاصة وأن الشفاعة الدنيوية جعلت لها من الشروط التي تساعد في حماية المجتمع من التفكك وفساده، لأنها تكون فيما أحله الله في سبيل الحق ودفع الظلم ولا تكون فيما حرمه الله أو في معصية أو في تضييع حقوق الآخرين فالشفاعة شرعت في حدود مصلحة المشفوع له ومصلحة العامة في المجتمع<sup>(3)</sup>.

## 2- دعاء المؤمن لأخيه من الشفاعة:

من الشفاعات الدنيوية المحمودة دعاء المسلمين بعضهم لبعض بالخير، فقد فسر القرطبي الآية السابقة الذكر في الشفاعة الحسنة والسيئة على أنها الدعاء بالخير للمسلم والدعاء عليه<sup>(4)</sup>.  
 فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون دعاء النبي ﷺ ويستمطرون به في حياته وهذا يعد من قبيل الشفاعة به إلى الله تعالى في الدعاء، ويدخل تحت هذا الشأن طلب الدعاء من الصالحين، وطلب الدعاء من أهل الخير والصلاح يكون حيال حياتهم لا بعد مماتهم لأن ذلك يوقع الإنسان في المحذور<sup>(5)</sup>، وهو ما سنتعرض له في الشفاعة الشركية وهي من الشفاعات المحرمة.  
 فقد روى أنس رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي يوم الجمعة فقال: يا رسول الله هلكت الماشية، وهلكت العيال، وهلك الناس، فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو، ورفع الناس أيديهم معه يدعون، قال: فما خرجنا

(1) - عبد الرحمان بن يوسف بن حسين: الشفاعة - شهب أهل السنة والجماعة على منكري المحمود والشفاعة-، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، (1415هـ-1995م))، ص71.

(2) - رواه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم 2442، ج 2، ص 112.

(3) - عبد الرحمان بن حسين: المرجع السابق، ص74-75.

(4) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط2، (القاهرة: مكتبة دار الكتب المصرية، (1353هـ-1935م))، ج5، ص295.

(5) - عبد الرحمان بن حسين: المرجع السابق، ص78-79.



من المسجد حتى مُطِرنا"<sup>(1)</sup>.

### ثانيا: الشفاعة الدنيوية المذمومة

تنقسم الشفاعة الدنيوية المذمومة أو ما يطلق عليها الشفاعة غير الشرعية أو المحرمة، إلى الشفاعة التي تتعلق بالسلوك والعمل والشفاعة التي تتعلق بالاعتقاد.

#### 1- شفاعة السلوك والعمل.

وتتمثل هذه الشفاعة في السعي في أمور محرمة كالشفاعة في أخذ حقوق الناس وإعطائها لغير مستحقيها أو الشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت<sup>(2)</sup>، ويتبين حرمة ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: "من يُكَلِّمُ رسول الله، ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حبُّ رسول الله فكلمه أسامة فكلَّم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب، قال: يا أيها الناس، إنما ضلَّ من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيمُّ الله لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"<sup>(3)</sup>.

فسعي الإنسان إن كان لأجل المعاونة على الشر وذلك عن طريق الشفاعة لإنسان لينال باطلا، أو يظلم مظلوما، أو ينشر فسادا وحراما، فالشافع والمستشفع شركاء في الوزر<sup>(4)</sup>، لقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾، والكفل في الآية فسر على أنه الوزر والإثم<sup>(5)</sup>، فإذا كان السعي لأجل معاونة الغير على أمر من الشر كان عليه كفل من الإثم، بحسب ما قام به وعاون عليه، وفي هذا ترغيب في الحث على التعاون على البر والتقوى والزجر العظيم على الإثم والعدوان<sup>(6)</sup>، وهو ما أكدته تعالى

(1) - أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب رفع الناس أيديهم مع الإمام في الاستسقاء، رقم 1029، ج 1، ص 248.

(2) - ندا أبو أحمد: الدار الآخرة - الشفاعة -، ص 4، مكتبة شبكة الألوكة، [www.aluka.net](http://www.aluka.net)، تم التصفح يوم:

2015/11/24، أنظر أيضا، عبد الرحمان بن حسين: الشفاعة، ص 7-8.

(3) - أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم 2788، ج 4 ص 278.

(4) - عبد الرحمان بن حسين: المرجع السابق، ص 86

(5) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 295.

(6) - عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمان بن معلا اللويحي، ط 1،

(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1423هـ-2002م)، ص 191.

في قوله: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾<sup>(1)</sup>.

## 2- شفاعة الاعتقاد.

تتمثل هذه الشفاعة في اتخاذ الأصنام والأوثان والشركاء شفعاء إلى الله وكذا الاستشفاع بالأموات إلى الله<sup>(2)</sup>، معللين عبادتهم تلك بأن هذه الأرباب المتعددة تقرهم إلى الله، وأنها تشفع لهم بجلب الخير لهم ودفع الضرر عنهم<sup>(3)</sup>.

فالاعتقاد بأن غير الله يملك الشفاعة بالمعنى المطلق يؤدي إلى أن هذا الشافع ينفع ويضر، فيتوجه إليه بالقرب والعبادة والاسترضاء طمعا في نفعه وخوفا من ضره ومن ثم يصبح الشريك معبود من دون الله<sup>(4)</sup>، والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۖ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۗ﴾<sup>(5)</sup>.

كما أن الاستشفاع بالأموات إلى الله من الأمور المحرمة والتي لا تجوز شرعا، لأنها من الشرك بالله لما فيها من صرف ما يستحقه الله عز وجل وحده لغيره من الأموات من الأنبياء والصالحين والأولياء، وهؤلاء هم الذين يوصفون بالقبوريين، وحقيقة عقيدتهم في الأموات مثل ما كان يعتقد المشركون في آلهتهم سواء بسواء<sup>(6)</sup>.

إن سؤال الحاجة من الميت طلبا لشفاعته وقربه من الله ﷻ هو حقيقة ما كان يعتقد قريش، لا يختلف لا في اللفظ ولا في القصد، لا في الفعل ولا في العقد، وهو المعنى القائم<sup>(7)</sup>، بقولهم: ﴿...مَا

(1) - سورة المائدة، الآية 02.

(2) - عبد الرحمان بن حسين: الشفاعة، ص 82.

(3) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص 29.

(4) - المرجع نفسه، ص 29.

(5) - سورة يونس، الآية 18.

(6) - مجدي بن حمدي بن محمد: الفرقان بين توحيد أهل السنة وتوحيد القبوريين، قدم له: عبد الله بن عبد الرحمان الجبرين، (دم: در، ط 1، 1420هـ، ط 2، 1433هـ، رقم الإيداع 19/4524)، ص 17.

(7) - المرجع نفسه، ص 148.

نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى... ﴿١﴾.

هذا الانحراف العقدي من التوحيد إلى الشرك بالله، أدى بكثير من العلماء للتصريح بأن شرك الأولين من عبادة الأصنام أخف وطأة من شرك القبورين، فمما لا شك فيه بأن الانحراف في الدعاء أثر من آثار الإلحاد في أسماء الله، وكذلك لما له من الآثار الاجتماعية من انتشار الجهل والتخلف من جراء الاعتقاد في الأضرحة والقبور<sup>(2)</sup>.

بعدها تعرفنا على الشفاعة الدنيوية بعدما تطرقنا إلى الشفاعة الدنيوية نأتي الآن لدراسة الشفاعة الأخروية، والتي تشكل أساس موضوع البحث في الإسلام، وهذا ما سنتناوله فيما سيأتي من صفحات البحث.

(1) - سورة الزمر، الآية 03.

(2) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: دمة على التوحيد - حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة-، (الأردن: در، دت)، ص31-

### المبحث الأول: مذاهب المسلمين في الشفاعة

من الأمور التي اتفق عليها علماء الأمة الإسلامية على تباين نحلهم العقديّة ومذاهبهم الفقهيّة، ثبوت الشفاعة وأنها واقعة يوم القيامة لا محالة<sup>(1)</sup>، غير أن الاختلاف هو لمن تكون، وهل هي لرفع العقاب أم لزيادة الدرجات، غير أن الاختلاف هو لمن تكون، وهل هي لرفع العقاب أم لزيادة الدرجات، قال صاحب المواقف: «أجمعت الأمة على أصل الشفاعة...»<sup>(2)</sup>. وقال الإمام الرازي: «أجمعت الأمة على أن لمحمد ﷺ شفاعة في الآخرة... ثم اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون، للمؤمنين المستحقين الثواب أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعقاب؟»<sup>(3)</sup>.

فهذا هو محور الخلاف بين مختلف الفرق الإسلامية، فكان الاختلاف حول نوع الشفاعة ولمن تكون، هل هي لزيادة درجات المؤمنين في الجنة؟ أم هي لعدم دخول العصاة من المؤمنين إلى النار؟ أم هي شفاعة لإخراج الموحدين من النار؟ فهل تكون للمؤمنين جميعاً أم لمرتكبي الصغائر؟ أم لمرتكبي الكبائر؟. لقد لخص ابن حزم الظاهري اختلاف الناس في الشفاعة بقوله: «اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها، وذهب أهل السنة، والأشعرية، والكرامية، وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة»<sup>(4)</sup>.

وعلى هذا يمكننا القول بأن المسلمين في الشفاعة انقسموا إلى ثلاثة أقسام؛ قسم بالغ في إثباتها وتمثل في المرجئة وغلاة الشيعة، وقسم ضيقها إلى حد نفيها عن العاصين وتمثل في المعتزلة والخوارج، وقسم توسط في أمرها وهو مذهب المعتدلين وهم أهل السنة والجماعة، والمعتدلين من الشيعة في الشفاعة، وتفصيل ذلك:

(1) - أحمد عيسى المعصراوي: الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، ص31.

(2) - عبد الرحمان بن أحمد الإيجي: المواقف في علم الكلام، (بيروت: در، دت)، ص380.

(3) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، (دم: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، (1401هـ-1981م)، ج3، ص59.

(4) - علي بن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ط2، (بيروت: دار الجليل، (1416هـ-1996م)، ج4، ص111، أنظر أيضاً، علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، (1411هـ-1990م)، ص230.

### المطلب الأول: المذهب المثبت للشفاعة.

تعود الجذور الفكرية للمذهب المغالي في إثبات الشفاعة إلى أصوله الأولى التي تكونت أفكاره مع المرجئة حيث جعلت من الإيمان فقط شرط لنيل الشفاعة، وقالوا بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما أنهم لم يجعلوا الأعمال جزءاً من مفهوم الإيمان. منهم أيضاً غلاة الشيعة تمثلهم الإسماعيلية وغلاة الصوفية الذين ذهبوا مذهب المرجئة؛ فغالوا في إثباتها وجعلوا نيل الشفاعة فقط لأنهم بالاسم من أمة محمد ﷺ، أو من شيعة الأئمة ولو لم يعملوا خيراً قط ولو ماتوا مصرين على الكبائر<sup>(1)</sup>.

### أولاً: المرجئة والشفاعة:

يتضح موقف المرجئة من الشفاعة من خلال قولهم بأن الكافر هو الذي يخلد في النار وأن المؤمن لا يخلد في النار وإن كان من مرتكبي الكبائر لأن مرتكب الكبيرة لا يخرج عسيانه وفسوقه من دائرة الإيمان، فمفهوم الإيمان عندهم على ثلاثة أقوال: الأول على أنه قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله تعالى، والثاني بأنه عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وإن عبد الأوثان، أو أظهر اليهودية أو النصرانية ومات على ذلك، فهو يعد مؤمناً كامل الإيمان عند الله عز وجل<sup>(2)</sup>، والثالث أنه يشمل الاعتقاد والإقرار معاً، فهم متفقون بأن الإيمان لا يتجاوز القول إلى العمل بالشعائر والعبادات<sup>(3)</sup>. إن رأي المرجئة جاء اعتراضاً على حكم الخوارج في مرتكب الكبيرة، ونظراً لأن الإيمان هو عمود الدين وليس العمل داخل في الإيمان، فإنهم كانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة<sup>(4)</sup>.

وعلى هذا الأساس فمرتكب الكبيرة عند المرجئة مؤمن، مبني إيمانه على أساس الشهادة فقط، فمهما ارتكب من المعاصي وإن ترك الفرائض وكان مقرباً بها، فهذا لا يضره ولا يخرج من دائرة الإيمان

(1) - حيدر علي قلمداران القمي: طريق النجاة من شر الغلاة، ج3، ص3.

(2) - علي بن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص227.

(3) - محمد ابن عبد الرحمان المطي: التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، (1413هـ-1992م))، ص36.

(4) - عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، (1413هـ-1992م))، ج1، ص137.

والذي على أساسه يكون وعد الله له بالجنة<sup>(1)</sup>، ويستدلون على رأيهم بناء على النصوص العامة من القرآن والسنة وهي كالآتي:

### 1- الأدلة من القرآن:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup>. فالمرجئة ترى بأن الله تعالى وعد المؤمن بالجنة وعد حق والله لا يخلف وعده، وأما بالنسبة للوعيد فهو خاص بالكفار والمشركين ومن المرتدين بعد إيمانهم<sup>(3)</sup>.

- وقوله تعالى أيضا: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(4)</sup>.

فهم يفسرون الآية على أن الله تعالى حكم بأنه يغفر كل الذنوب ومن غير توبة ولا غيرها، وهو يفيد القطع بغفران كل الذنوب<sup>(5)</sup>، فمبدؤهم في جواز عفو الله عن العصاة هو الذي أسس عندهم احتمال أن مرتكب الكبيرة يدخل الجنة من غير عقاب، وإن دخل النار فهو لا يخلد فيها، بل إما أن يعفو الله عن ذنوبهم أو يعذبهم عليها ثم يدخلهم الجنة<sup>(6)</sup>.

### 2- الأدلة من السنة:

استدلت المرجئة بمجموعة من النصوص المطلقة في دخول من شهد أنه لا إله إلا الله الجنة، ونذكر منها:

- عن عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(7)</sup>.

(1) - محمد ابن عبد الرحمان الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص 35-36.

(2) - سورة النساء، الآية 48.

(3) - محمد ابن عبد الرحمان الملطي: المرجع السابق، ص 36.

(4) - سورة الزمر، الآية 53.

(5) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: الشفاعة العظمى يوم القيامة، تحقيق: أحمد حجازي أحمد السقا، ط1، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1988م)، ص 80.

(6) - أحمد أمين: ضحى الإسلام، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2009)، ج 3، ص 936.

(7) - رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، رقم 26، ج 1، ص 55.

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»<sup>(1)</sup>.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»<sup>(2)</sup>.

ووجه الدلالة عند هؤلاء من هذه النصوص وغيرها أنه لم يذكر في هذه النصوص أن تارك العمل من المخلدين في النار، وأن بعض هذه الأدلة على الشفاعة بأهل كلمة التوحيد ولم يذكر فيها العمل. لقد رد ابن تيمية بأن هذه الأحاديث فيمن قالها خالصة من قلبه، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله بالتوبة من الذنوب، فإذا مات الإنسان على تلك الحال نال الجنة، وهي كذلك لمن قالها عند التوبة ومات على ذلك، وهو قول البخاري، وقال ابن المسيب كان هذا قبل أن تنزل الفرائض والأمر والنهي<sup>(3)</sup>.

كما رد الشيخ حمد بن علي بن محمد عتيق معلقا على حديث عبادة بن الصامت السابق، بأن شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي الشهادة بأنه لا معبود بحق إلا الله وقام بوظائف هذه الكلمة مخلصا العبادة لله بجميع أنواعها، وليس المراد منها أن الشهادة بغير عمل تقتضي دخوله الجنة، بل المراد به الشهادة لله بالتوحيد والعمل بما تقتضيه هذه الشهادة من الإخلاص<sup>(4)</sup>.

ومنه يتضح بأن من المرجحة من يرى بأن الله تعالى يدخل قوما من المسلمين إلى النار إلا أنهم يخرجون منها بشفاعة رسول الله ﷺ ويدخلون الجنة، وهم بذلك لا يدخلون في النار، فالمؤمن العاصي على هذا الأساس لا يخلد في النار بل يعذب فيها مدة ثم يخرج منها إلى الجنة، وعليه فعقيدة المرجحة في الشفاعة بالنسبة لمرتكب الكبيرة، لا يدخل النار وإن دخل لا يخلد فيها لأنه مؤمن مقر بالتوحيد وإن لم يتعد إيمانه

(1) - رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: «يا أهل الكتاب»، رقم 3435، ج 4، ص 165.

ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، رقم 28، ج 1، ص 57.

(2) - رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم 99، ج 1، ص 31.

(3) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 3، ص 110.

(4) - حمد بن عتيق: إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد مع متن الكتاب ومسائله، تقديم ومراجعة: إسماعيل بن عتيق، ط 6، (باكستان: دار الكتاب والسنة، 1415هـ-1995م)، ص 29-30.

إلى التطبيق وذلك انطلاقاً من مبدأ عفو الله عن الموحدين وإن كانوا عصاة بشفاعة الرسول الكريم أو غيرها.

لقد كان للفكر الإرجائي أثره في الانحرافات التي طالت الكثير من المسلمين وما وقعوا فيه من الشرك وهم يحسبون أنفسهم في ذروة الإيمان، لأن القلب مصدق بالرسول واللسان ناطق بالشهادتين وهو ما يبدو جلياً فيما اعتقده غلاة الشيعة (الإسماعيلية) بأئمتهم وغلاة الصوفية بأوليائهم<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: الشيعة والشفاعة:

كانت عقيدة الشفاعة أحد أهم العقائد التي عرفت غلواً كبيراً في شأنها من طرف الشيعة والصوفيين، ويتضح ذلك من خلال غلوهم في حب رسول الله ﷺ حتى وصل حد غلوهم إلى دعائه والاستغاثة به واتخاذ واسطة بينهم وبين الله ﷻ فيما يطلبونه منه<sup>(2)</sup>.

ذكر ابن قولويه بأن ثواب زيارة قبر رسول الله ﷺ في الدنيا هو نيل شفاعته يوم القيامة وأورد عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»<sup>(3)</sup>.

كذلك عملوا على توسيع الشفاعة التي لم تبق في فكرهم العقدي مرتبطة بشخص الرسول الكريم، بل تعدته إلى أئمتهم بعده ومذهبهم في ذلك أن الشفاعة عندهم لمرتكي الكبائر، ويعتقدون بأن الله ينجي بشفاعة الأئمة كثيراً من المذنبين وهو ما يؤكد الشيخ المفيد بقوله: «واتفقت الإمامية على أن رسول الله ﷺ يوم القيامة يشفع لجماعة من مرتكي الكبائر من أمته، وأن أمير المؤمنين يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته، وأن أئمة آل محمد ﷺ يشفعون كذلك، وينجي الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين»<sup>(4)</sup>. إن عقيدتهم هذه في الشفاعة كان أساسها غلوهم في الأئمة وقولهم بالعصمة وما اتصل بهذه العصمة بأن الأئمة وسطاء بين الله والناس وشفعاء، وأن الاعتقاد فيهم كافٍ لحو السيئات ورفع الدرجات،

(1) - سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بإشراف محمد قطب، ط1، (دم: دار الكلمة للنشر والتوزيع، (1420هـ-1999م))، ص398.

(2) - مقبل بن هادي الوادعي: الشفاعة، ط3، (بيروت: مؤسسة الريان، (1420هـ-1999م))، ص4.

(3) - جعفر بن محمد بن قولويه القمي: كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيومي، ط1، (إيران: مؤسسة النشر الإسلامي، 1417هـ)، ص46.

(4) - محمد بن محمد المفيد: أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الزنجاني، ط2، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر، (1414هـ-1993م))، ص47.



ولهذا ارتبطت الشفاعة عند الشيعة ارتباطا وثيقا بطاعة الأئمة<sup>(1)</sup>، وهو ما جاءت الروايات لتأكيدده عند الشيعة، فعن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يحيا حياة تشبه حياة الأنبياء ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء وليكن الجنان التي عرشها الرحمان فليتول عليا وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعده، فإنهم عترتي خلقتوا من طينتي، اللهم ارزقهم فهمي وعلمي وويل للمخالفين لهم من أمتي اللهم لا تنلهم شفاعتي»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية أخرى: «...والحبة من الله ﷻ لمن تولى عليا، واثم به، وبرئ من عدوه، وسلم لفضله وللأوصياء من بعده، حقا على أن أدخلهم في شفاعتي وحق على ربي تبارك وتعالى أن يستجيب لي فيهم، فإنهم أتباعي ومن تبعني فإنه مني»<sup>(3)</sup>.

انطلاقا من حب آل البيت الشديد الذي جعلته الشيعة من مقتضيات الإيمان بل هو واجب من أوجب الموجبات، دعت هذه العواطف عندهم لتعظيم الأولياء وفكرة الاستشفاع بهم إلى إقامة الأضرحة<sup>(4)</sup>، والعناية بها وزيارتها والاستشفاء بها وكثرة الدعوات عندها وحتى تمني الدفن بجوارها<sup>(5)</sup>.

ومرد كل هذا حسب اعتقادهم إلى وصايا أئمتهم وحثهم على الزيارة وترغيبهم فيها لما لها من الثواب الكبير عند الله تعالى واعتبارها أفضل الطاعات والقربات بعد الطاعات الواجبة واعتبار تلك القبور من خير الأماكن لاستجابة الدعاء، كما أنهم جعلوها أيضا من تمام الوفاء بعهود الأئمة<sup>(6)</sup>، يقول الإمام الرضا: «إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته، وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاء يوم القيامة»<sup>(7)</sup>.

كما فسرت الشفاعة عند غلاة الشيعة على نحو يجعل النبي والأئمة أصحاب حق مطلق في الاستشفاع للخلق بإنقاذ جميع من انتسب إليهم ووالاهم من عذاب يوم القيامة، كما مثلت زيارة قبوره

(1) - أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج3، ص866، أنظر أيضا، محمد عبد الخالق كاظم: الخلود في جهنم، (إيران: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، (1426هـ-2005م))، ص157.

(2) - محمد بن يعقوب الكليني: أصول الكافي، ط1، (بيروت: دار المرتضى، (1426هـ-2005م))، ج1-2، ص150.

(3) - المصدر نفسه، ج1-2، ص151.

(4) - حسن الخرازي: بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ط10، (إيران: مؤسسة النشر الإسلامي، 1423هـ)، ج2، ص83.

(5) - أحمد أمين: المرجع السابق، ص867.

(6) - حسن الخرازي: المرجع السابق، ج2، ص205.

(7) - جعفر بن محمد بن قولويه: كامل الزيارات، ص237.

أحد أهم الأسباب في نيل شفاعتهم في الآخرة وهذا ما تبينه الأدعية التي يذكرونها عند هذه القبور، ومنه دعاءهم عند زيارة قبر أمير المؤمنين عن أبي الحسن أنه كان يقول عند قبر أمير المؤمنين: «السلام عليك يا ولي الله... يا ولي الله إن لي ذنوبا كثيرة فاشفع لي إلى ربك يا مولاي فإن لك عند الله مقاما معلوما وإن لك عند الله وجاها وشفاعة»<sup>(1)</sup>.

كما جعلوا زيارة قبر الحسين فريضة من الله واجبة على كل مسلم حتى أنهم قالوا في بعض رواياتهم بأن الله في كل يوم وليلة مائة ألف لحظة إلى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، كما أنه يغفر لزائري قبر الحسين خاصة ولأهل البيت وإن كان من الذين وجبت لهم النار، بل إن زوار قبر الحسين يغفر ذنوبهم ويصحبون من الشفعاء الذين يشفعون في أهل بيتهم<sup>(2)</sup>.

وانطلاقا من غلو الشيعة في الأئمة فقد جعلوهم وسائط وشفعاء بينهم وبين الله وهو ما أورده المجلسي في بحاره من خلال مجموعة كثيرة من الأدعية التي يذكرها الزائر عند زيارته لقبور الأئمة، ونذكر منها: «السلام عليك يا ولي الله... أتيتك زائرا عارفا بحقك، معاديا لأعدائك، فاشفع لي عند ربك يا مولاي»<sup>(3)</sup>.

لقد دفعت هذه الروايات والأفكار عامة الشيعة إلى التعلق بقبور الأئمة والحج إليها وطلب الحاجات والمغفرة منهم أو من الله عن طريقهم، وهو ما تفسره الزيارات الكثيرة للأولياء والاستشفاع بهم والدعاء عند قبورهم<sup>(4)</sup>.

إن غلاة الشيعة وغلاة الصوفية على حد سواء في تقديسهم للأضرحة والقبور لاعتقادهم بأن أصحابها لهم القدرة على الرفع والوضع في الدنيا والآخرة وتفريج الكربات وقضاء الحاجات ومحو الذنوب وغفرانها<sup>(5)</sup>.

أما العلة في زيارة القبور ليست التي علمها رسول الله ﷺ لأمته، بل هي علة مأخوذة من عقائد

(1) - جعفر بن محمد بن قولويه: كامل الزيارات، ص 95.

(2) - المصدر نفسه، ص 238، 309.

(3) - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1403هـ-1983م)، ج 102، ص 07.

(4) - عبد اللطيف عبد الرحمان الحسن: أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، ط1، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1435هـ-2014م)، ص 158.

(5) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: دمعة على التوحيد، ص 33.

الفلاسفة، وهي الاستشفاع والاستمداد من أرواح الأموات المزورين، لاعتقادهم بأنها تمد من استمد منها<sup>(1)</sup>.

ففكرة التوجه بالطلب والدعاء عند القبور جاءت من عند المتصوفة الذين عملوا على بث فكرة أن الدعاء مستجاب عند قبور الأولياء والصالحين، حيث انتهى الأمر إلى العوام فأخذوا بزيارة هذه القبور والطواف حولها والدعاء عندها معتقدين أن بزارتهم لهذه الأضرحة ستأتيهم البركة ويشفون من مرضهم، وبهذا أصبح أصحاب الأضرحة وسطاء ووسيلة لقضاء حوائجهم والشفاعة لهم عند الله<sup>(2)</sup>.

إن المسألة في حقيقة أمرها هي تقديس للرمز المتمثل في الشيخ أو الولي واتخاذ واسطة لقضاء الحاجات وللشفاعة عند الله، من رسائل إخوان الصفا قولهم: «من الناس من يتقرب إلى الله بأنبيائه ورسله وأئمتهم وأوصيائهم أو بأولياء الله وعباده الصالحين أو بملائكة الله المقربين والتعظيم لهم ومساجدهم... فإن قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق إلا اتباع آثارهم والعمل بوصاياهم والتعلق بسننهم والذهاب إلى مساجدهم ومشاهدتهم والدعاء والصلاة والصيام والاستغفار وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم وعند تماثيلهم المصورة على أشكالهم، لتذكير آياتهم وتعرف أحوالهم من الأصنام والأوثان وما يشاكل ذلك طلبا للقربة إلى الله والزلفى لديه»<sup>(3)</sup>.

وانطلاقاً من تقديس القبوريين لرمز الصلاح والتقوى في شخص الولي، تبدأ علاقتهم بالقبور والضريح ابتداء باستحباب زيارة تلك البقاع، ليس لتذكر الموت والآخرة وإنما لتذكر الرمز والاعتبار به ولأن هذه الأماكن مباركة ببركة الولي المدفون بها، واعتقدوا بأن الملائكة والأرواح تنتشر حولها، ولهذا استحسبوا الدعاء عندها من أي مكان آخر، كما أن البركة تفيض على كل شيء حول القبر، فمن أراد التزود منها فعليه بتقبيل القبر والتمسح به، ومن دعاء الله عنده إلى الدعاء به، والقسم على الله به، وهم بذلك جعلوا الولي واسطة للاستشفاع به عند الله، لما له من قرابة وجاه عند الله في اعتقادهم، بل وصل بهم الأمر إلى

(1) - أحمد بن حسن المعلم: القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها، رسالة ماجستير مقدمة بالجامعة الوطنية بتعز باليمن، قسم العقيدة، ط2، (دم: دار ابن الجوزي، (1426هـ-2005م))، ص439.

(2) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: دمعة على التوحيد، ص33، 39.

(3) - إخوان الصفا وخلان الوفا، (الهند: مطبعة نخبة الأخيار، 1306هـ)، ج4، ص58.

حد اتخاذ قبره وثنا، يعكفون عليه ويبنون عليه المسجد، ويعبدونه بالسجود والتقبيل والحج إليه والذبح عنده<sup>(1)</sup>.

إن الذي حمل عباد القبور على الاستعانة والاستغاثة بأصحاب هذه القبور هو إشباع غريزة التأله لدى قلوبهم المحرومة من التأله للإله الحق<sup>(2)</sup>، وهو ما يقرره ابن تيمية بقوله: «وكمن لم يكن محبا مخلصا لله، عبدا له، قد صار قلبه معبدا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه، فالقلب إن لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه، كان مشركا»<sup>(3)</sup>.

هذا ما تقرره الدراسات الإنسانية الحديثة، فقد أيدت دراسات "علم الإنسان" و"علم الأديان" بأن الإنسان بحاجة إلى دين في كل العصور وعند كل المجتمعات، فمنذ القدم وهو يبحث عن إله يعبده ويتوسل إليه ويدعوه عند حاجته ويتضرع إليه<sup>(4)</sup>، فهذه الغريزة هي التي أثرت في القبوريين وكانت دافعا لهم في اتخاذ قبور الأولياء مكانا يلجئون إليه عند الحاجة، وتحولت قبورهم إلى مزارات مقدسة يحج إليها الملايين، خاصة وأن عادة تقديس الأولياء إنما هي امتداد لعادات وثنية كانت سائدة في أجدادهم قبل الإسلام وهو ما يتضح جليا في المجتمع المصري وغيره من المجتمعات مثلا هاته العادة التي لاقت رواجا كبيرا في نفوس المصريين لارتباطها بطبيعتهم منذ فجر التاريخ، ففكرة تشييد المساجد فوق أجساد الموتى وتقديسهم تتصل بجذور الفكر الديني المصري منذ العصر الفرعوني ولا يوجد لها أي دليل في القرآن والسنة، ويظهر ذلك من خلال الطقوس التي كانت تقام داخل معبد الأقصر للإله آمون في عصر الفراعنة، هي الطقوس ذاتها التي تتبع في مولد أبو الحجاج الأقصري الذي يقع ضريحه داخل معبد الأقصر نفسه<sup>(5)</sup>.

كما قد يكون منشأ ذلك، عائدا إلى التقديس الخاطئ للرموز الإسلامية، قياسا على ما كانوا يعظمونهم في القديم، فعملوا على تقديس الأولياء، لاعتقادهم بأنهم ليسوا بأقل درجة من الذين كانوا

(1) - محمد ابن تيمية: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (بيروت: دار العربية للطباعة والنشر، دت)، ص25، أنظر أيضا، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: علي الحلبي الأثري، (دم: دار ابن الجوزي، دت)، ج1، ص348.

(2) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: دمعة على التوحيد، ص65.

(3) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج10، ص217.

(4) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: المرجع السابق، ص65.

(5) - حسين أحمد أمين: تأملات في حقيقة أولياء الله الصالحين، مقال منشور بمجلة العربي عدد 226، رمضان 1397هـ، ص136-137.

يعظموهم سابقا في جاهليتهم<sup>(1)</sup>.

ومنشأ هذا كله المبالغة في تعظيم الأولياء حتى صارت مكانة الأولياء في قلوب العامة عند نزول المكروه بهم هم أقرب إليهم من الله تعالى، وجعلوهم وسطاء وشفعاء لهم عند الله، بتعليل بعدهم عن الله ومعاصيهم يحجبهم من إجابة الدعاء<sup>(2)</sup>.

كما أن عبدة هذه القبور ولجؤهم إليها جاء من اعتقادهم بأن المدفونين فيها أحياء يقضون حاجات من يدعونهم ويستغيثون بهم لأنهم شفعاؤهم عند الله ليقربوهم إلى الله فيدفع بجاهم عنهم البلاء، ويعطيهم ما يطلبونه من النعم وهذا ما يفسر عبادتهم لهذه القبور بتعظيم أماكن الأضرحة وتطيبها والطواف بها وتقديم النذور والذبائح بأسمائهم<sup>(3)</sup>.

هذا بعينه ما يحدث عند المسيحيين عند احتفالهم بأعياد القديسين التي تجاوزوا معها كل الحدود في إكرامهم إلى حد ليس فقط ممارسة التشفع وإنما بالصلاة والتضرع إليهم وطلب الشفاء منهم من الأمراض والمعونة، بل وحتى الخلاص من الخطيئة والنجاة من الدينونة، ودخول جهنم، كما يرفعون البخور أمام تماثيل القديسين، ويسجدون لهم ويسبحونهم بالتراتيل، بل وينذرون النذور ويذبحون الذبائح لهم وهي عبادة تختص بالله وحده<sup>(4)</sup>، وقد تطرقنا لهذا بالتفصيل عند دراستنا لشفاعة القديسين في المسيحية فيما سبق.

فالممارسات القبورية وكل ما كان يدور حول قبور الأولياء إنما هو تقليد للأعمال والتقاليد التي كانت تمارس في معابد غير المسلمين<sup>(5)</sup>، ولأن المسيحيين يعيشون بين المسلمين أكثر من غيرهم من أهل الديانات الأخرى فقد ظهر الاشتراك جليا منذ القدم سواء من حيث الظهور، خاصة ما تعلق منه بالأضرحة الموهومة (أضرحة الرؤيا)، غير أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الاشتراك العملي في الممارسات والطقوس والعبادات<sup>(6)</sup>.

(1) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: دمعة على التوحيد، ص33، 39.

(2) - الصادق عبد الرحمان الغرياني: الغلو في الدين، ظواهر من غلو التطرف وغلو التصوف، ط2، (القاهرة: دار السلام)، (1424هـ-2004م)، ص46.

(3) - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط2، (القاهرة: دار المنار، (1366هـ-1947م))، ج11، ص324، 326.

(4) - جون يونان: من هو شفيعلك المسيح أم القديسين؟، ص09.

(5) - أبو الحسن الندوي: الشعور والوجدان وشعائر الأمم والأديان، مقال منشور بمجلة المنار، مجلد4، ج17، ص645.

(6) - هيام فتحي دربك: موالد الأولياء في مصر، مقال منشور بالمجلة العربية، عدد131، ذو الحجة 1808هـ.

يشكل الاحتفال بموالد الأولياء والقديسين أحد أهم مظاهر هذا الاشتراك، وسواء كان الاحتفال بالموالك الشعبية أو بزيارة بالضريح أو الكنيسة، وكذلك الاعتقاد في كراماتهم وتقديم النذور والأضاحي والتشفع بهؤلاء في حل المشاكل التي يواجهونها في حياتهم اليومية وتحقيق أمنيتهم بالدعاء عند هذه القبور<sup>(1)</sup>.

بناء على هذا التصور المنحرف في الربوبية نشأ شرك الألوهية وذلك من خلال توجه القبوريون إلى أضرحة الأولياء بالعبادات والقربات التي لا يصح صرفها إلا لله عز وجل، وجعلهم من هؤلاء الأولياء وسطاء يتشفعون بهم لله تعالى، وما يفعله القبوريون هو بعينه ما كانوا يفعلونه في الجاهلية بالأوثان والأصنام<sup>(2)</sup>.

لقد بين الرازي هذا التشابه في تفسيره بقوله: «إن المشركين وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم أكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل تكون لهم شفعاء عند الله تعالى ونظيره في الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عكفوا على قبورهم فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله»<sup>(3)</sup>.

يدخل هذا النوع من الشفاعة ضمن الشفاعة الشركية، لأنهم يعللون عبادتهم لهذه الآلهة المتعددة بأنها تقربهم إلى الله وأنها تشفع لهم بجلب الخير ودفع الضر في الدنيا، وفي الآخرة أيضا يكونون لهم شفعاء لدفع العذاب عنهم وتحقيق سعادتهم المرجوة فيها بعد الموت، وهذا مبني على أساس إيمانهم بأن الله فوضهم عنه في التصرف في الكون وشؤون الخلائق ومن ثم فهي تشفع لهم عنده لمن تريد<sup>(4)</sup>، وهذه الشفاعة الشركية هي ما جاء فيها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ﴿٧٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُؤُلَاءِ شُفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنتَبِشُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا

(1) - وسيم نادي ميخائيل: الأبعاد الاجتماعية لموالد الأولياء والقديسين -دراسة ميدانية-، مقال منشور بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، 2010/1، ص31،

(2) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: دمعة على التوحيد، ص 33، 39.

(3) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج17، ص49.

(4) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص16.

## يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ (١).

كل هذا كان نتاجا للغلو والانحراف عن التوحيد عوامل مشتركة بين مرتادي الأضرحة والمعتقدين فيها وإن تنوعت المظاهر حسب بيئته وعادات مجتمعه، ويعد هذا الانحراف من أهم الانحرافات العقيدية في حياة الشيعة والصوفية على حد سواء.

وكنتيحة لما سبق نقول بأن عقيدة الشفاعة من أهم العقائد التي عرفت غلوا كبيرا في نشأتها وهو ما يمثل في موقف المرجئة التي كانت من أوائل الفرق الإسلامية التي غالت في إثبات الشفاعة انطلاقا من قولها بدخول المؤمن الجنة بمجرد إيمانه وإن دخل النار لا يخلد فيها ويخرج منها بشفاعة رسول الله ﷺ حتى لو كان من عصاة المسلمين ومن مرتكبي الكبائر، وبذلك كان للفكر الإرجائي أثره في كثير من انحرافات الكثير من المسلمين في عقيدة الشفاعة، وهو ما يبدو جليا فيما اعتقده غلاة الشيعة في أئمتهم وغلاة الصوفية في أوليائهم، فكما أثبتوا الشفاعة للرسول ﷺ أثبتوها لأئمتهم وأوليائهم بشكل مغال فيه، حتى أنهم شرعوا الزيارات لقبورهم بقصد نيل شفاعتهم يوم القيامة، ومن شدة مبالغتهم انحرفوا من العقيدة الصحيحة للشفاعة الشرعية إلى الشفاعة الشركية.

هذا عن الاتجاه المغالي في إثبات الشفاعة، فماذا عن الاتجاه الذي نفى الشفاعة؟ هذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي.

### المطلب الثاني: المذهب النافي للشفاعة

يمثل هذا المذهب في الشفاعة كل من الخوارج والمعتزلة ومن الشيعة الزيدية وهم من أتباع المعتزلة في المسائل الكلامية الذين قالوا بنفي الشفاعة عن أهل الكبائر من عصاة المؤمنين، وبالتالي فهم مخلدون في النار بناء على مبدأ الوعيد الذي يقضي بتخليد مرتكب الكبيرة في النار وعدم العفو عنه، وتبعاً لذلك فالشفاعة في حقهم لا تجوز (٢).

لقد أنكر المعتزلة والخوارج والزيدية الشفاعة للفساق الذين ماتوا على فسوقهم ولم يتوبوا، وأثبتوها للتائبين من المؤمنين، فهم بذلك يثبتونها ولكن في إطار ضيق جدا عكس المرجئة (٣).

(١) - سورة يونس، الآية 17-18.

(٢) - ليلي سليمان بكر: الشفاعة بين المثبتين والمنكرين، ط1، (القاهرة: دار الكتب القومية، 1423هـ-2003م)، ص29.

(٣) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص688، أنظر أيضا، علي بن اسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج2، ص166.

وتأثير الشفاعة يوم القيامة عند المعتزلة والخوارج والزيدية ليس لرفع العقاب عن المذنبين وإنما لزيادة درجات المؤمنين في الجنة<sup>(1)</sup>، ووجه استدلالهم في ذلك مبني على فكرة دوام العقوبة للعصاة بالخلود في النار وعدم الخروج منها<sup>(2)</sup>.

إن القول بتخليد صاحب الكبيرة في النار يوم القيامة إذا لم يتب هو من جملة ما أخذته المعتزلة عن الخوارج، أما ما أخذه الخوارج عن المعتزلة هو القول بوجود نفود الوعد والوعيد على الله تعالى<sup>(3)</sup>. وبناء على تطابق الرأي في نفي الشفاعة عن مرتكب الكبيرة من المؤمنين بين الخوارج والمعتزلة والزيدية، فقد جاءت استدلالاتهم النقلية والعقلية متشابهة معتمدين على عموم آيات الوعيد، وأدلتهم النقلية تتمثل في مجموعة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، نذكر منها:

#### أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ

مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

ذكر الرازي عند تفسيره لهذه الآية: «وقالوا بأن هذه الآية تفيد نفي الشفاعة من ثلاثة وجوه:

الأول: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ فلو أثرت الشفاعة في إسقاط العقاب لكان قد أجزت

نفس عن نفس شيئاً.

الثاني: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ وهذه تفيد جميع أنواع الشفاعة.

الثالث: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ فلو كان محمد ﷺ شفيحاً لأحد من العصاة، لكان ناصر له، وهذا

خلاف لما هو في الآية<sup>(5)</sup>.

(1) - محمد السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، (دمشق: مؤسسة الخافقين، (1402هـ - 1982م))، ج2، ص212، أنظر أيضاً، محمد عبد الخالق كاظم: الخلود في جهنم، ص149.

(2) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص689، أنظر أيضاً، محمد عبد الخالق كاظم: المرجع السابق، ص149.

(3) - عبد القادر الحفظي: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، رسالة ماجستير، مقدمة في جامعة محمد بن سعود، قسم العقيدة والمناهج المعاصرة، ط1، (جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر، (1421هـ - 2000م))، ص380-381.

(4) - سورة البقرة، الآية 48.

(5) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ص60. أنظر أيضاً، محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني: شرح مطالع الأنظار على متن طوابع الأنوار، ط1، (القاهرة: دار الكتيبي، (1428هـ - 2008م))، ص226.



هذا ما أكده الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية؛ أنها دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة، كما نفى أن تقضي نفس عن نفس أخرى، ونفى أيضا أن يقبل منها شفاعة شفيح، فانتفت بذلك عن العصاة<sup>(1)</sup>.

لقد رد الرازي على المعتزلة بقوله: «أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إلا أن تخصيص مثل هذا العام بذلك السبب المخصوص يكفي فيه أدنى دليل، فإذا قامت الدلائل على وجود الشفاعة وجب المصير إلى تخصيصها»<sup>(2)</sup>.

كما رد عليهم أيضا صاحب المواقف: «بأنه لا عموم في الأعيان، لأن الضمير لقوم معينين، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم، ولا في الأزمان لأنه لوقت مخصوص فلا يلزم عدم نفعها في غير ذلك الوقت، لأن الضمير لقوم معينين، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم، ولا في الأزمان لأنه لوقت مخصوص فلا يلزم عدم نفعها في غير ذلك الوقت»<sup>(3)</sup>.

هذا وقد كان سبب نزول الآية في بني إسرائيل الذين قالوا بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأبناء أنبيائه وأنه سوف يشفع لهم آباؤهم، فأخبرهم الله بأن يوم القيامة لا تقبل الشفاعات ولا تؤخذ فيه فدية<sup>(4)</sup>، كما أن استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر هو استدلال باطل، لأن ما أجمع عليه العلماء من المفسرين أن النفس المقصودة في الآية هي النفس الكافرة التي ماتت على الكفر، فالخلود في النار للكافر وليس للمؤمن العاصي<sup>(5)</sup>.

2- قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(6)</sup>، الآية تدل على أن الظالم لا

تلحقه شفاعة الرسول ﷺ ولا يمكنه التخلص من النار إذا مات على ظلمه<sup>(7)</sup>.

(1) - محمود الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، (الرياض: مكتبة العبيكان، (1418هـ-1998م))، ج1، ص102.

(2) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج3، ص90.

(3) - عبد الرحمان الإيجي: المواقف في علم الكلام، (بيروت: عالم الكتب، دت)، ص380.

(4) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص421.

(5) - المصدر نفسه، ج1، ص379.

(6) - سورة غافر، الآية 18.

(7) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص689.

وقد نفى الرازي وجه استدلالهم بهذه الآية، لأن الظالم يحمل الكافر وغيره، وأنه تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع يطاع لأن الشفاعة ملك لله وحده ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(1)</sup>، ولكنه لم ينف شفيعا يستجاب له، وعليه فلا يمكن أن يكون في الآخرة شفيع يطاع إذ ليس فوّه تعالى أحد<sup>(2)</sup>.

فهذه الآية وغيرها تتعلق بالكفار لا بالعصاة وهو ما ذكره ابن حزم رحمه الله مبينا بأن الشفاعة التي أبطلها تعالى هي الشفاعة للكفار المخلدين في النار<sup>(3)</sup>، وهو ما ذهب إليه الإمام الباقلاني، حيث فسر الظلم الوارد في الآية بأنه الكفر<sup>(4)</sup>، ويؤكد ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

فهذه الآيات ليست عامة في كل ظالم، والعموم لا صيغة له؛ وبهذا فالآيات لا تعم كل من يعمل السوء أو كل نفس، وإنما المراد بها النفس الكافرة وليست المؤمنة<sup>(6)</sup>.

3- قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾<sup>(7)</sup>.

في هذه الآية نفى الله ﷻ أخبار شفاعة الملائكة لغير المرضيين عنهم، ومرتكب الكبيرة ليس من المرضيين عند الله وبذلك فلن تنفعه هذه الشفاعة، وبانتفاء شفاعة الملائكة تنتفي شفاعة الأنبياء له<sup>(8)</sup>.

وقد ذكر القرطبي عند تفسيره لهذه الآية، بأن الله تعالى قال: ﴿لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، الذين ارتضاهم الله للشفاعة هم الموحدون، لقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفِيعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾<sup>(9)</sup>، وفسر العهد بأنه التوحيد<sup>(10)</sup>.

(1) - سورة الفاتحة، الآية 04.

(2) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج3، ص60.

(3) - علي بن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، ص112.

(4) - أبو بكر الطيب الباقلاني: التمهيد، تصحيح: رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، (بيروت، المكتبة الشرقية، 1957م)، ص371.

(5) - سورة البقرة، الآية 254.

(6) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص379.

(7) - سورة الأنبياء، الآية 28.

(8) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: المصدر السابق، ص64.

(9) - سورة مريم، الآية 87.

(10) - محمد القرطبي: المصدر السابق، ج1، ص379.

هذه مجموعة من الآيات التي استدلت بها المعتزلة والخوارج لإثبات اعتقادهم بأن صاحب الكبيرة يخلد في النار وليس له حظ في نيل شفاعة أي كان، معتمدين على ظاهر هذه الآيات.

### ثانيا: الأدلة من السنة:

استدلت المعتزلة والخوارج على إنكار الشفاعة لأصحاب الكبائر وإثباتها للمؤمنين دون العصاة بمجموعة من الأحاديث نذكر منها:

#### 1- ردّ القاضي عبد الجبار حديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(1)</sup>.

أنه خبر لم تثبت صحته، وإن ثبتت صحته فهو خبر آحاد ولا يمكن الاستدلال به، وإنما المراد بهذا الحديث هو أن الشفاعة تكون لأصحاب الكبائر التائبين<sup>(2)</sup>.

ولرد على هذا، فإن الاستدلال بخبر الآحاد في العقائد من المسائل التي يخالف فيها المعتزلة أهل السنة والجماعة الذين يرون صحة الاحتجاج بها إذا كانت صحيحة، بل إنهم يثبتون العقائد بها من غير تفریق<sup>(3)</sup>، والتوبة التي قيد بها القاضي عبد الجبار أهل الكبائر في نيل الشفاعة لا صحة لها، لأن التائب يغفر الله ذنوبه بتوبته الصادقة ولا يحتاج لشفاعة أحد<sup>(4)</sup>.

2- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، على رقبته فرس لها حممة، يقول: يا رسول الله ﷺ أعطني فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك»<sup>(5)</sup>، وهذا الحديث صريح في نفي الشفاعة لأنه لم يملك له من الله شيئا، فليس له في الشفاعة نصيب<sup>(6)</sup>.

3- ما روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أنه دخل المقبرة فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْ لَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ

(1) - رواه الترمذي في سننه: في كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في الشفاعة، ج4، ص625، وقال حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني صحيح، ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم 4310، ج5، ص363.

(2) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص691.

(3) - عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، ط2، (الأردن: دار النفائس للنشر، (1419هـ-1999م))، ص51.

(4) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوي، ج11، ص184-185.

(5) - رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب الغلول، رقم 3073، ج4، ص74، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول، رقم 1831، ج3، ص1461.

(6) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج3، ص62.

أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيُذَادَنَّ رَجُلٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّلَّ أَنْادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»<sup>(1)</sup>.

ووجه استدلالهم بهذا الخبر على نفي الشفاعة بأنه ﷺ لو كان شفيعا لهم لما قال: «فسحقا فسحقا»، كيف يكون لهم شفيعا في الخلاص من العقاب الدائم وهو يمنعمهم من شربة ماء؟<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: الأدلة العقلية:

استدللت المعتزلة على إنكارها للشفاعة لأهل الكبائر بدلائل عقلية، ومن ذلك:

**الدليل الأول:** ما ورد في قول القاضي عبد الجبار: «لقد دلت الدلائل على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة الرسول ﷺ والحال ما تقدم»<sup>(3)</sup>. وقد ورد له قول آخر، مفاده أن العقوبة لا تستحق على الدوام، كما يقول: «فالعقوبة قد تكون مؤقتة وقد تكون دائمة وهذا شيء لا ينكره العقل، إذا عوقب إنسان ما بالحبس على جريمة فعلها قد يخرج من حبسه إذا قضى المدة المحددة أو ظهرت منه التوبة»<sup>(4)</sup>، وفي هذا تناقض صريح لآرائه حول استحقاق العقوبة بدوامها من عدمه.

كما أن الأدلة على دوام العقوبة عامة وأدلة إثبات الشفاعة خاصة، والخاص يقدم على العام، وبهذا فأدلة الشفاعة تقدم على أدلة دوام العقوبة العامة، وعلى هذا نبطل هذه الشبهة<sup>(5)</sup>.

كما أن الخوارج لما أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين، أنكروا عليهم الصحابة هذا الرأي، وكانوا يحدثونهم بما سمعوا عن رسول الله ﷺ في ذلك<sup>(6)</sup>، ومنه ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي عاصم

(1) - رواه مسلم في صحيحه: في كتاب الطهارة، باب إستحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم 249، ج 1، ص 218.

(2) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 3، ص 62.

(3) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص 686.

(4) - المصدر نفسه، ص 668.

(5) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: الأربعين في أصول الدين، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط 1، (القاهرة: مطبعة دار التضامن،

1986)، ج 2، ص 250.

(6) - ليلي سليمان علي بكر: قضية الشفاعة بين المثبتين والمنكرين، ص 49.

يقصد محمد بن أبي أيوب، قال: حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج قال فخرجنا في عصابة ذوي عدد تريد أن تحج، ثم تخرج إلى الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو ذكر الجهنميين، قال: فقلت له يا صاحب رسول الله! ما هو الذي تحدثون، والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾<sup>(1)</sup>، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾<sup>(2)</sup>، فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت مقام محمد عليه السلام، يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نhra من أثمار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا، وقلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا والله إما خرج منا غير رجل واحد أو كما قال<sup>(3)</sup>.

**الدليل الثاني:** يقول القاضي عبد الجبار: «إن الرسول إذا شفع لصاحب الكبيرة، فلا يخلد، إما أن يشفع، فإن لم يشفع لم يجز لأنه يقدر بإكرامه، وإن يشفع فيه لم يجز أيضا، لأن إنابة من لا يستحق الثواب قبيح والمكلف لا يدخل الجنة تفضيلا»<sup>(4)</sup>.

إن المعتزلة بنت قولها في أن العاصي يخلد في النار ولا يخرج منها بناء على مبدأ الوعد والوعيد عندهم الذي يقتضي عدله سبحانه وتعالى في المكلف بأنه لا يدخل الجنة تفضيلا وإنما يدخلها بعمله، وهم بذلك أوجبوا على الله تعالى تنفيذ وعده ووعيده<sup>(5)</sup>، وقد انتقد أهل السنة ما ذهب إليه، لأنهم اعتبروه تجرؤ على الخالق سبحانه، فالله تعالى لا يجب عليه شيء، ولا يدخل أحد الجنة إلا بفضلته تعالى ورحمته<sup>(6)</sup>، وهو ما ثبت في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(7)</sup>.

(1) - سورة آل عمران، الآية 192.

(2) - سورة السجدة، الآية 20.

(3) - رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ج2، ص26.

(4) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص689.

(5) - المصدر نفسه، ص689.

(6) - ليلى سليمان علي بكر: قضية الشفاعة بين المثبتين والمنكرين، ص46-47.

(7) - سورة فاطر، الآية 35.

ومما يؤكد بأن دخول الجنة هو من فضل الله تعالى ورحمته، قوله ﷺ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ، فَسَدُّوا وَقَارِيئًا وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ.»<sup>(1)</sup>.

وثبت دخول الإنسان الجنة بفضل الله ورحمته لا يعني تعارضه مع قوله تعالى: ﴿...أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ...﴾<sup>(2)</sup>، وغيرها من الآيات التي تدل على الأعمال التي تدخل صاحبها الجنة لأن الأعمال تكون سببا في تفضل الله ورحمته على الإنسان في دخوله الجنة<sup>(3)</sup>.

**الدليل الثالث:** يتضح من خلال قول القاضي عبد الجبار: «أليس أن الأمة اتفقت على قولهم: اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة، فلو كان الأمر على ما ذكرتموه لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق وذلك خلف»<sup>(4)</sup>.

هذا ما ذكره الرازي أيضا مبينا استدلالات المعتزلة في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر بقوله: «واستدللت المعتزلة على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر بوجه... إلى أن قال: وسابعا: أن الأمة مجتمعة على أنه ينبغي أن نرغب إلى الله تعالى في أن يجعلنا من أهل شفاعته عليه السلام، ويقولون في جملة أدعيتهم واجعلنا من أهل شفاعته، فلو كان المستحق للشفاعة هو الذي خرج من الدنيا مصرا على الكبائر لكانوا قد رغبوا إلى الله تعالى في أن يختص بهم مصرين على الكبائر»<sup>(5)</sup>.

لقد ذكر القرطبي في معرض الرد على هذه الشبهة؛ بأن الشفاعة لا تنحصر في أهل الكبائر فقط، بل إن كل مسلم يطلب شفاعة الرسول راغبا في الله بأن تناله، لأن الإنسان لا يسلم من الذنوب، فالاعتراف بالنقص هو ما يجعله يخاف من العقاب، ويرجو من ربه النجاة التي تكون برحمة من الله ﷻ<sup>(6)</sup>.

(1) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، رقم 5673، ج 4، ص 11-12.

(2) - سورة النحل، الآية 32.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ص 233.

(4) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص 692.

(5) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: الشفاعة العظمى في يوم القيامة، ص 41.

(6) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 380.

يقول سعد الدين التفتازاني<sup>(1)</sup>، رادا قول القاضي عبد الجبار: «إن المراد اجعلنا من أهل الشفاعة على تقدير المعاصي كما في قولنا اجعلنا من أهل المغفرة وأهل التوبة، وتحقيقه أن المتصف بالصفات إذا اختص بكرامة منشأها بعض تلك الصفات دون البعض، لم يكن استدعاء أهلية تلك الكرامة إلا استدعاء الصفة التي هي منشأ تلك الكرامة... فكذا ههنا الشفاعة وإن اختصت بأهل الكبائر، لكن منشأها الإيمان وبعض الحسنات التي تصير سببا لرضى الشفيع عنه وميله إليه، وبهذا يخرج الجواب كما قالوا أن من حلف بالطلاق أن يعمل ما يجعله أهلا للشفاعة أنه يؤمر بالطاعات لا المعاصي»<sup>(2)</sup>.

**الدليل الرابع:** قول القاضي عبد الجبار: «ما قولكم فيمن حلف ليفعل ما يستحق به الشفاعة؟ أليس يلزمه أن يرتكب الكبيرة، ويصير من أهل الفسوق والعصيان»<sup>(3)</sup>.

لرد على هذه الشبهة نورد قول الباقلاني: «أن تأمره بالتمسك بالتوحيد بالإيمان دون فعل الذنوب، لأن الشفاعة لا تنال بالذنوب، وإنما تنال بالإيمان وهذا مثل أن يشفع زيدا في ذنب صديقة في دار الدنيا إلى من ملك إسقاط ذلك لا يقال: إنه نال ذلك بالذنب الذي أذنب، وإنما ناله بالصدقة المتقدمة لا نفس الذنب وتأمره بالطاعة حتى ينال بذلك شفاعة الرسول ﷺ في الزيادة له من البر والنعيم ونحو ذلك»<sup>(4)</sup>.

كما ردّ على هذه الشبهة أبو المنصور البغدادي بقوله: «وجوابنا في هذا السؤال: إن الحالف إن حلف على أن يعمل عملا يستحق به الشفاعة حانث في يمينه، لأن من نال الشفاعة في الآخرة فإنما ينالها بفضل من الله تعالى بلا استحقاق، وإن حلف أن يعمل عملا يصير به من أهل الشفاعة أمرناه بأن يعتقد أصولنا في التوحيد والنبوات وأن يجتنب البدع الضالة»<sup>(5)</sup>.

(1) - سعد الدين التفتازاني (1312-1390م): مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين، من أئمة العربية والمنطق بتفتازان بحرسان، توفي بسمرقند، أنظر، خير الدين الزركلي: الأعلام - قاموس تراجم -، ط15، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، ج7، ص219.

(2) - مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، ط2، (بيروت: دار عالم الكتب، 1419هـ-1998م)، ج5، ص161.

(3) - عبد الجبار القاضي: شرح الأصول الخمسة، ص693.

(4) - أبو بكر الطيب الباقلاني: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1421هـ-2000م)، ص169.

(5) - عبد القاهر بن طاهر البغدادي: أصول الدين، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1400هـ-1980م)، ص245.

وقد رد يحيى بن أبي الخير اليماني<sup>(1)</sup>، أيضا على المعتزلة قائلا: «إنا لا نأمره بعمل المعصية، وإنما نأمره بالإيزاء بهذا السائل، لأنه أورد سؤاله هذا على سبيل الشفاعة لجهله بالأخبار الواردة في الشفاعة، ونأمره بأن يتعلم الرد على القدرية والاستقامة على الإيمان، لأن ذلك طاعة لله، والشفاعة إنما هي للمؤمنين على ما ابتلوا به من المعاصي ولا يخلوا أحد من المعاصي»<sup>(2)</sup>.

بناء على ما سبق، يتضح بأن المذهب النافي للشفاعة والذي يمثله كل من الخوارج والمعتزلة لم يكن نفيًا كليًا وإنما ضيقوها في حدود زيادة الثواب للمؤمن لا لرفع العقاب عنه، وهم بذلك نفوا الشفاعة نفيًا تامًا على المؤمن العاصي بناء على مبدئهم في الوعد والوعيد الذي يقتضي العدل الإلهي يوم القيامة. وهو ما ذهب إليه في عصرنا الحاضر بعض المفكرين<sup>(3)</sup>، الذين أنكروا بدورهم الشفاعة عن عصاة المسلمين بطريقة استدلال المعتزلة؛ حيث أورد مجموعة من الآيات القرآنية التي تنفي الشفاعة، وقال مصطفى محمود بأن القرآن ينفي إمكانية خروج من يدخل النار في الكثير والعديد من آياته، سواء أكانوا كفارًا أم مسلمين<sup>(4)</sup>، وأورد قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾<sup>(5)</sup>، وقوله تعالى أيضا: ﴿أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾<sup>(6)</sup>، وقال مصطفى محمود معقبا على هذه الآية: «بأن الله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام عن أهل النار ممن حقت عليهم كلمة العذاب من كفار أو مسلمين، كما ينكر الخروج من النار على من كتب عليهم بدخولها»<sup>(7)</sup>، وغيرها من الآيات التي ذكرها مستدلا بما على رأيه على في إنكار الشفاعة، غير أن هذه

(1) - يحيى بن أبي الخير اليماني (1096-1163م): يحيى بن سالم (أبي الخير) بن أسعد ابن يحيى أبو الحسن العمراني اليماني، كان فقيها، وكان شيخ الشافعية في بلاد اليمن، له مصنفات في الفقه، وله أيضا في علم الكلام. أنظر، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج8، ص146.

(2) - يحيى بن أبي الخير اليماني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الحلف، ط1، (الرياض: أضواء السلف للنشر، (1419هـ- 1999م))، ج3، ص705-706.

(3) - الكاتب والمفكر المعروف مصطفى محمود، في كتابه الشفاعة والمقام المحمود، وكذلك حسين يوسف الأطير في كتابه الشفاعة وأصول الوثنية العربية، وكذا صبحي منصور وغيرهم.

(4) - مصطفى محمود: الشفاعة، (القاهرة: طبع قطاع الثقافة، عدد يوليو 1999م)، ص31.

(5) - سورة المائدة، الآية 37.

(6) - سورة الزمر، الآية 19.

(7) - مصطفى محمود: الشفاعة، ص33.



الآيات التي استدلت بها إذا وضعت في سياقها تؤكد أنها خاصة بالكافرين ولا ينطبق حكمها بالضرورة على عصاة المسلمين، فالخلود في جهنم للكافرين والمشركين الذين ماتوا على كفرهم وشركهم<sup>(1)</sup>.

كما أنه ذكر بأن الأحاديث التي رويت عن الرسول ﷺ التي تفيد خروج المسلمين من النار فلا يبقى فيها أحد مجرد أنه قال لا إله إلا الله هي أحاديث مخالفة لصريح القرآن<sup>(2)</sup>، غير أن هذا الرأي مخالف لكثير من نصوص الأحاديث النبوية الصحيحة التي تثبت الشفاعة للمؤمنين بشرط الإذن والرضا من قبل الله تعالى، فقد جاءت هذه الأحاديث متفقة مع آيات الله تعالى<sup>(3)</sup>، منها ما روى أنس عن النبي ﷺ قال: «كل نبي سأل سؤالاً أو قال لكل نبي دعوة دعا بها فاستجيبت، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

كما ثبت في الأحاديث الصحيحة أيضاً، أن الله ﷻ قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله خالصاً لوجهه الكريم، وهو ما رواه الإمام مسلم من حديث عتبان بن مالك ﷺ: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»<sup>(5)</sup>.

فمبدأ الذين ينفون الشفاعة عن أهل الكبائر هو مساواتهم بالكفار وهذا يتنافى مع العدل الإلهي الذي تفسره الآيات القرآنية<sup>(6)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(7)</sup>، وقوله تعالى أيضاً: ﴿مَا يُدَلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾<sup>(8)</sup>.

وقوله أيضاً: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(9)</sup>، فالتخليد في النار للمؤمن العاصي، أما ادعاء الكاتب

(1) - محمد أحمد محمود: الشفاعة في ضوء القرآن الكريم، (القاهرة: دار الكتب القومية، 2005)، ص 139، أنظر أيضاً: ليلي سليمان بكر: قضية الشفاعة بين المثبتين والمنكرين، ص 56.

(2) - مصطفى محمود: الشفاعة، ص 17.

(3) - ليلي سليمان بكر: المرجع السابق، ص 52.

(4) - رواه البخاري في كتاب الدعوات، رقم 6305، ج 4، ص 98، وقال حديث حسن صحيح.

(5) - رواه مسلم في كتاب المساجد، مواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ج 3، ص 172.

(6) - محمد أحمد محمود: المرجع السابق، ص 143.

(7) - سورة الزلزلة، الآية 7-8.

(8) - سورة ق، الآية 29.

(9) - سورة الزمر، الآية 53.

على أن المقام المحمود هو مقام البشارة العظمى وليس الشفاعة العظمى كما يذكر المفسرون، لأنه لا أحد يعلم موجبات هذا المقام المحمود ولا حدوده إلا الله تعالى وهو سر من أسراره والتفويض فيه أسلم<sup>(1)</sup>. والجواب على هذا الرأي، أن المفسرين الذين فسروا المقام المحمود على أنه الشفاعة العظمى كانوا هم أكثر الناس معاشة للقرآن الكريم وأكثرهم معرفة بمعاني الآيات، أما البشارة التي ذكرها، فقد أعطاها الله تعالى نبيه الكريم منذ بداية بعثته ﷺ، وإذا كان تعالى قد أعطاه هذا المنصب فلماذا يسأل النبي هذا المقام ويأمر أصحابه أن يسألوه سبحانه<sup>(2)</sup>، وسوف نتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل عند تناولنا لشفاعة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم وتفسير آية المقام المحمود.

هذا مجمل ما ذكره مصطفى محمود من الاستدلالات على نفيه للشفاعة وليست كلها واقتصرنا على أهمها كنموذج.

بعدما عرفنا الاتجاهين الأولين في الشفاعة، إذ عمل الاتجاه الأول على المغالاة في إثباتها وتوسيع حدودها لأبعد الحدود متكلين على الشفاعة لدخول جنات النعيم لمجرد الاسم على أنهم من أمة محمد ﷺ، أما الاتجاه الثاني فقد عمل على تضيقها إلى حد نقيها على العصاة المذنبين وجعلها للمؤمنين الصالحين لزيادة درجاتهم في الجنة، فماذا عن الاتجاه الثالث؟، هذا ما سنتطرق له في العنصر الموالي.

### المطلب الثالث: المذهب المتوسط بين النفي والإثبات.

هذا الاتجاه هو من توسط في الأمر بين المغالين في الإثبات والمضيقين للشفاعة فأثبتوها للمذنبين والتائبين وحتى لمرتكب الكبيرة ممن يشاء الله أن يغفر له مع قولهم بأن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر وبهذا جعلوا الشفاعة والغفران موكولا إلى الله، وهو مذهب أهل السنة والمعتدلين من الشيعة (الإمامية) في أمر الشفاعة<sup>(3)</sup>.

ولقد ذهب أهل السنة والجماعة والشيعة الإمامية إلى جواز الشفاعة في حق المؤمنين جميعا سواء

(1) - مصطفى محمود: الشفاعة، ص 39-40.

(2) - عبد العزيز غنيم: الشفاعة، مقال منشور بمجلة الأزهر، ربيع الأول 1420هـ، صدر هذا العدد بعنوان، لا بل الشفاعة ثابتة -

ردود العلماء على منكري السنة والشفاعة- ، ص 54

(3) - حيدر علي قلمداران القمي: طريق النجاة من شر الغلاة، ج 3، ص 05.

كانوا من أهل الكبائر أو الصغائر، ويقوم مذهبيهم في ذلك على جواز غفران الله تعالى للذنوب<sup>(1)</sup>، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(3)</sup>، وغيرها من النصوص الدالة على جواز العفو في حق العصاة، وهو ما ذكره الباقلاني بأن المؤمن لا يخلد في النار بذنوب ارتكبه، فالموحد لا تضره سيئة مع إثبات التوحيد، ولا يخلد في النار، كما أنه لا ينفع إحسان مع كفره وهم المخلدون في النار<sup>(4)</sup>.

فإذا ثبت عقلا جواز غفران الذنوب للمؤمنين العصاة سواء أكانت الذنوب صغائر أو كبائر فإنه تبعا لذلك فالشفاعة تجوز في حق المؤمنين جميعا لأن الشفاعة ما هي إلا العفو والمغفرة من الله تعالى التي تتناول جميع الممكنات<sup>(5)</sup>.

وانطلاقا من جواز غفران الذنوب صغائر أم كبائر للمؤمنين العصاة فإنه بالتالي يجوز تشفيع الشفعاء لحظ أوزار المذنبين بشفاعتهم لأن الشفاعة هي طلب العفو والمغفرة، وهو ما عبر عنه البيجوري<sup>(6)</sup> بقوله: «إنه يجوز عقلا وسمعا غفران غير الكفر من الذنوب بلا توبة ولا شفاعاة، فبالشفاعة أولى لأنها ليست مستحيلة بل هي من مجوزات العقول، وكل ما هو كذلك فهو واجب القبول»<sup>(7)</sup>، فأهل السنة والجماعة يعتقدون بأن عصاة الموحدون الذين استحقوا دخول النار جزاء بعض المعاصي التي ارتكبوها أنهم لا يخلدون

(1) - منال سمير الرفاعي: الشفاعة في الفكر الإسلامي - بحوث ودراسات-، [www.islamtoday.net/bohooth/artshow\\_86\\_168740](http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow_86_168740)، أبريل 2013، تم التصفح يوم: 2010/12/29، أنظر أيضا، جعفر السبحاني: الشفاعة في الكتاب والسنة، ط2، (بيروت: دار الأضواء)، (1427هـ-2006م))، ص61، أنظر أيضا، محمد عبد الخالق كاظم: الخلود في جهنم، ص142.

(2) - سورة النساء، الآية 48.

(3) - سورة الشورى، الآية 25.

(4) - أبو بكر الطيب الباقلاني: الإنصاف، ص51.

(5) - منال سمير الرفاعي: الشفاعة في الفكر الإسلامي، المرجع السابق.

(6) - البيجوري (1784-1860م): إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، ولد بياحور، شيخ جامع الأزهر، من فقهاء الشافعية، كتب حواشي كثيرة في التصوف وعلم الكلام... إلخ. أنظر، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج1، ص71.

(7) - إبراهيم البيجوري: تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ص171، أنظر أيضا، مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط1، (القاهرة: مكتبة الكتاب، (1408هـ-1988م))، ص85.

فيها ويخرجون منها بشفاعة نبينا محمد ﷺ<sup>(1)</sup>، يقول القرطبي: «مذهب أهل الحق أن الشفاعة حق، وأنكرها المعتزلة وخذلوا المؤمنين من المذنبين الذين دخلوا النار في العذاب، والأخبار متظاهرة بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين»<sup>(2)</sup>، وهو ما ذهب إليه الشيعة الإمامية باتفاق على أن المؤمن العاصي لا يخلد في النار ويخرج منها إلى الجنة بالشفاعة، وهو ما يوضحه قول الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الشفاعة أنها لمن ارتضى الله دينه من أهل الكبائر والصغائر، أما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة»<sup>(3)</sup>.

فمذهب هذا الرأي في الشفاعة على أنها ثابتة في حق المذنبين من المؤمنين سواء أكانت ذنوبهم من الصغائر أو الكبائر، فقالوا بثبوت الشفاعة لأهل الكبائر وهي عندهم لإسقاط العقاب لا لزيادة الثواب، وقد استدلل كل من أهل السنة والجماعة، والشيعة الإمامية على ما ذهبوا إليه بمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، نذكر منها:

#### أولاً: ثبوت أدلة الشفاعة لأهل الكبائر من القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(4)</sup>، وقد ذكر الرازي عند تفسيره لهذه الآية بأنها من أقوال الدلائل على إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، لأنه من قال لا إله إلا الله فقد ارتضاه تعالى في ذلك، وصاحب الكبيرة مرتضى بحسب إيمانه وتوحيده<sup>(5)</sup>. كما ذكر القرطبي بأن من ارتضاه الله للشفاعة هم الموحدون لقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾<sup>(6)</sup>.

وقد فسر العهد المذكور في الآية على رواية للنبي ﷺ بأنه الإيمان وعدم الإشراك به<sup>(7)</sup>.

(1) - أبو القاسم ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط4، (السعودية: دار طيبة للنشر، (1416هـ-1995م))، ج3، ص1160.

(2) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص378.

(3) - محمد بن علي الصدوق: الاعتقادات، تحقيق: عصام عبد السيد، (إيران: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة مهر-قم، 1371هـ)، ص66، أنظر أيضاً، محمد بن محمد المفيد: أوائل المقالات، ص47.

(4) - سورة الأنبياء، الآية 28.

(5) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج22، ص60.

(6) - سورة مريم، الآية 87.

(7) - محمد القرطبي: المصدر السابق، ج1، ص379.

كما أوضح الباقلاني أن الله تعالى أخبر بأن ثم شفاعة ولكن بعد إذنه، ولمن أراد ورضي سائر عمله<sup>(1)</sup>.

2- قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(2)</sup>، فقد فسر الإمام الرازي هذه الآية على أنها من الأدلة على ثبوت الشفاعة للفساق، إذ أن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم هذه الشفاعة<sup>(3)</sup>.

كما ذكر التفتازاني، بأن أسلوب الكلام في هذه الآية يدل على ثبوت الشفاعة جملة، وإلا لما كان هناك نفي نفع الشفاعة عن الكافرين عن القصد، لأن المقام يقتضي أن يوصفوا بما يخصهم لا بما يعمهم، كما أن تعليق الحكم بالكافر يدل على نفيه عما سواه<sup>(4)</sup>.

3- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾<sup>(5)</sup>، فقد ذكر الرازي أن هذه الآية تدل على حصول الشفاعة لأهل الكبائر، فالجرمون لا يستحقون الشفاعة لهم من غيرهم إلا إذا كانوا قد اتخذوا عهداً عند الله، وكل من اتخذ عند الرحمان عهداً وجب دخوله فيه، وصاحب الكبيرة ممن اتخذ عند الله عهداً وهو التوحيد والإسلام<sup>(6)</sup>، والذين لا يملكون الشفاعة لأحدهم الكفار، كما فسر القرطبي العهد في الآية على أنه الإذن من الله تعالى بالشفاعة لأنها ملك له وحده ولفظ العهد جامع للإيمان وجميع أنواع الصالحات التي توصل صاحبها إلى مرتبة من يشفع، وذكرت أن العهد أيضاً هو التوحيد<sup>(7)</sup>.

وقال ابن تيمية: «سبب الشفاعة توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل ما كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق سائر أنواع الرحمة، فإن الشفاعة مبدؤها من الله وعلى الله تمامها فلا يشفع أحد إلا بإذنه... وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم بها الله من يرحم

(1) - أبو بكر الباقلاني: الإنصاف، ص50.

(2) - سورة المدثر، الآية 48.

(3) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج30، ص211.

(4) - مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص85.

(5) - سورة مريم، الآية 85-87.

(6) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: الشفاعة العظمى في يوم القيامة، ص46.

(7) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص154.

من عباده، وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله» علما وعقيدة وعملا وبراءة ومولاة ومعاداة كان أحق بالرحمة»<sup>(1)</sup>.

### ثانيا: ثبوت أدلة الشفاعة لأهل الكبائر من الأحاديث النبوية الشريفة:

لقد تكرر ورود الشفاعة في الأحاديث النبوية الشريفة وهي صحيحة وصریحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة وهي كثيرة جدا بحيث يغلب حد التواتر<sup>(2)</sup>، وهو ما أكده ابن تيمية بقوله: «أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة وفي السنن والمسند مما يكثر عدده»<sup>(3)</sup>.

وقد استدلل القائلون بثبوت الشفاعة لمرتكي الكبائر بأحاديث نذكر منها:

- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(4)</sup>.

وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التي: «أطبق سلف الأمة على تسليم الرواية وصحتها مع ظهورها وانتشارها والعلم بأنها مروية في الصحابة والتابعين، ولو كانت مما لم تقم الحجة بها لطعن طاعن فيها بدفع العقل والسمع لها على ما يقوله المعتزلة، وكان الصحابة أعلم بذلك وأشد تسرعا إلى إنكارها، ولو كانوا افتعلوا ذلك - أو بعضهم - لظهر ذلك وانتشر، ولتوفرت دواعي على إذاعته وإبدائه حتى ينقل لأن هذه العادة ثابتة في الأخبار، وفي العلم بفساد ذلك دليل على ثبوت خبر الشفاعة»<sup>(5)</sup>.

فقوله ﷺ: "شفاعتي" أي الشفاعة التي وعدني الله بها ادخرتها "لأهل الكبائر من أمتي" لوضع السيئات والعفو عن الكبائر<sup>(6)</sup>، وبناء على ذلك يكون هذا الحديث دليلا على إثبات الشفاعة لعصاة

(1) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج14، ص414.

(2) - ناصر الجديع: الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، ط2، (السعودية: دار الأطلس، (1422هـ-2001م))، ص25.

(3) - محمد ابن تيمية: المرجع السابق، ج1، ص314، أنظر أيضا، محمد السفاريني: لوايح الأنوار البهية، ج2، ص208.

(4) - أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم2435، وأبو داود، ج8، ص129، وابن ماجه، ج2، ص1441.

• هذا الحديث من الأحاديث التي ردها النافون للشفاعة لمرتكب الكبيرة كونه من خبر الآحاد الذي لا يمكن الاستدلال به، ومسألة الاحتجاج بخبر الآحاد أمر خلافي بين العلماء وكل له أدلته والحديث وإن كان آحادا في روايته إلا أنه في حكم المتواتر من حيث كثرة الأحاديث التي تناولت هذا النوع من الشفاعة، وللتفصيل أنظر، عبد القادر مصطفى محمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، رسالة ماجستير مقدمة بالجامعة الإسلامية ببغداد، عام1998م، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، (1426هـ-2005م))، ص35.

(5) - أبو بكر الباقلاني: التمهيد، ص367-368.

(6) - محمد عبد الرحمن المباركفوري: تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي، ط2، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، دت)، ج7، ص127.

المؤمنين، وقد جاء ذكر هذا الحديث في معظم كتب العقيدة مستدلين به على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر، فقد جاء في كتاب المواقف: «الشفاعة وهي عندنا لأهل الكبائر من الأمة لقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»»<sup>(1)</sup>.

كما جاء في العقائد النسفية: «الشفاعة ثابتة للرسول بالأخبار في حق أهل الكبائر»<sup>(2)</sup>.

وكما ذكر الأشعري بأنه: «عند أهل السنة والاستقامة شفاعاة الرسول لأهل الكبائر من أمته»<sup>(3)</sup>.

- جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»<sup>(5)</sup>.

فالنبي الكريم ﷺ أحر دعوته لأجل أمته إلى يوم القيامة، شفقة ورحمة منه، وفي هذا الصدد يقول الامام ابن خزيمة<sup>(6)</sup>: «أحر نبينا محمد ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته، لفضل شفقتة ورحمته، وأرأفته بأمته، فجزى الله نبينا ﷺ أفضل ما جزى رسولا عمن أرسل إليهم، وبعثه المقام المحمود الذي وعده ليشفع لأمته، فإن ربنا عز وجل غير مخلف وعده، ومنجز نبيه ﷺ ما أحر من مسألة في الدنيا وقت شفاعته لأمته يوم القيامة»<sup>(7)</sup>.

(1) - عبد الرحمان الإيجي: المواقف، ص380.

(2) - مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص122.

(3) - علي بن اسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج2، ص147.

(4) - رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، رقم6305، ج8، ص67.

(5) - رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، رقم199، ج1، ص189.

(6) - أبو بكر بن خزيمة (838-1924م): محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر، إمام نيسبور، كان فقيها مجتهدا، عالما بالحديث، مولده ووفاته بنيسبور. أنظر، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، ص29.

(7) - محمد بن إسحاق أبو بكر بن خزيمة: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، ط1، (الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع، (1408هـ-1988م))، ج2، ص622.

قال القاضي عياض في معنى الحديث: «معناه دعوة أُعْلِمَ أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم، وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا ﷺ منها ما لا يعدُّ، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة»<sup>(1)</sup>.

- جاء في الصحيحين أيضا، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي وذكر منها «وأعطيت الشفاعة»»<sup>(2)</sup>.

- وجاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأما تم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر<sup>(3)</sup>، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل»<sup>(4)</sup>.

لقد شرح الإمام النووي الحديث بأن الظاهر من معنى الحديث، أن الكفار هم أهل النار المستحقون للخلود حيث لا يموتون فيها ولا يحيون حياة فيها منفعة أو راحة، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾، وكذا الأمر بالنسبة لخلود أهل الجنة الدائم، فكذلك أن عذاب أهل النار دائم.

وأما قوله ﷺ: «ولكن ناس أصابتهم النار...»، فمعناه: أن مرتكبي الذنوب من المؤمنين يميتهم الله إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي حددها الله تعالى ويكون العذاب فيها على قدر الذنوب، ثم يحبسون فيها من غير إحساس المدة التي قدرها الله ثم يخرجون منها وقد صاروا فحما، ثم يحملون إلى أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة وينبتون بصورة سريعة كما تنبت الحبة في حميل السيل فتخرج لضعفها صفراء ثم تشتد قوتهم وبعدها يصيرون إلى منازلهم وتكتمل أحوالهم، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث<sup>(5)</sup>.

(1) - محمد بن عياض القاضي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تهذيب وترتيب: جمال الدين السيروان، نور الدين قره علي، (السعودية: مطابع سحر، ((1403هـ- 1983م))، ج3، ص69.

(2) - رواه البخاري في كتاب التيمم، الباب الأول، رقم 335، ج1، ص86.

ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، الحديث الثالث، ج1، ص371.

(3) - ضبائر: هم الجماعات في تفرقة، واحدها ضبارة، أنظر، علي بن محمد ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص538.

(4) - رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، ج1، ص172.

(5) - يحي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج3، ص38.



فمعنى الحديث يدل على ثبوت الشفاعة وخروج الموحدين من النار بعد شفاعة الرسول الكريم، وهو ما يؤكد الباقلاني في التمهيد بقوله: «الأخبار في الشفاعة أكثر من يؤتى عليها وهي كلها متواترة، متوافية على خروج الموحدين من النار بشفاعة الرسول وإن اختلفت ألفاظها، ففي بعضها أنهم يخرجون بعدما امتحنوا فيها وصاروا فحما، وفي خبر أنهم يخرجون منها ضبائر ضبائر فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»<sup>(1)</sup>.

هذه نماذج من أحاديث الشفاعة التي استدل بها المثبتون للشفاعة لأهل الكبائر وليست جميعها منعا للإطالة والتكرار وسيأتي بيان ذلك بنوع من التفصيل في شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة. فالمسلمون وإن دخلوا الجنة بالإيمان فهذا لا يعني أنهم يدخلونها بلا عذاب، فأهل الوعيد يدخلون النار ويمكثون فيها مدة ثم يخرجون منها إما بشفاعة نبينا الكريم ﷺ، وإما بغير ذلك، فوعيد مرتكبي الكبائر وإن لم يكونوا كفارا إلا أنهم ليسوا من المستحقين للجنة بلا عقاب وهو مذهب أهل السنة والجماعة، كما قال ابن تيمية: «أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والطاعة، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب»<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: الأدلة العقلية على ثبوت الشفاعة:

إن العقل السليم لا يرفض فكرة الشفاعة يوم الآخر، فغفران الذنوب مظهرا من مظاهر الرحمة الإلهية، فالشفاعة للمذنبين إنما هي من رحمته تعالى الواسعة وغفرانه لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>، فالآية الكريمة تتضمن نفيا وإثباتا وعدا بالمغفرة لمن يشرك بالله، كما أنها تتضمن وعيدا ورفضاً للمشركين بالله، فالوعد يعطي الأمل في رحمة الله للعصاة الذين أسرفوا في الذنوب مع حرصهم على التوحيد والابتعاد عن الشرك والوعيد الحق في حق المشركين بالعذاب والخلود في النار الذين لا تنفعهم شفاعة ولا غيرها<sup>(4)</sup>.

(1) - أبو بكر الباقلاني: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص 415-419.

(2) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 7، ص 678.

(3) - سورة النساء، الآية 48.

(4) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص 62.

إن الشفاعة لا تعني إهمال الجانب العملي العبادي، والاتكال على الشفاعة يوم القيامة في دخول الجنة، لأن الأعمال الصالحة هي السبب في شمول رحمة الله للإنسان<sup>(1)</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَتُؤَدُّوهُمُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>، يقول ابن كثير -رحمه الله-: «أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم»<sup>(3)</sup>. فالأعمال الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحد عمله الجنة ولكن برحمة الله وفضله، وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات.

كما أنه ما دام أن الله أجاز الشفاعة في الحياة الدنيا الفانية لقضاء حوائج الناس الزائلة، فكيف بها في الآخرة في الخلود التام؟ فقد كان ﷺ يشفع لأمته بالدعاء والاستغفار والاستسقاء، فكذلك الأمر بالنسبة ليوم القيامة يفتح الله عليه في الدعاء والتوسل فيشفع ويشفع<sup>(4)</sup>، كما جاء في الأحاديث الصحيحة<sup>(5)</sup>.

بناء على ما سبق، يتبين بأن القسم الثالث أثبت الشفاعة يوم القيامة للمذنب والتائب وحتى لمرتكب الكبيرة وإن مات مصرا على ذلك، بناءً على توكيل أمره لله ﷻ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، مع قولهم باستحقاقه العذاب في الأصل، ومتعرض للوعيد بحسب نصوص القرآن والسنة. بهذا جعلوا أمر الشفاعة والغفران موكولا إلى الله تعالى، فلم يبأسوا الناس من رحمته الواسعة القريبة من المحسنين، كما أنهم لم يطمعوهم بغفرانه الحتمي الذي يجز العبد إلى الاسترسال في المعاصي وارتكاب الكبائر، من غير توبة تعويلا على الشفاعة، ويبقى العبد بين الخوف والرجاء، وهو مذهب المعتدلين. وفي الأخير نقول بأن:

الشفاعة في الإسلام بين إثباتها ونفيها تتوخى الوسطية في ذلك، فلا يوجد إثبات مطلق لها، لأن ذلك يعد شركا أكبر، كما أنه لا يوجد نفي مطلق لها لأن النفي المطلق يعد إلحادا في أسماء الله ﷻ.

(1) - عبد القادر مصطفى الحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص 30.

(2) - سورة الأعراف، الآية 43.

(3) - محمد ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 374.

(4) - عبد القادر مصطفى الحمدي: المرجع السابق، ص 31.

(5) - أنظر شفاعات الرسول ﷺ، ص 187 وما بعدها.

فالشفاعة الإسلامية هي التي تكون لله جميعا يملك عناصرها، فلا يتم عنصر إلا بإذنه ورضاه لأن الإثبات المطلق للشفاعة سواء بإثبات شافع أو شفعاء بغير إذنه بأن تنسب إليه قبول الشفاعة بشكل إلزامي وهذا ما يسمى بالشفاعة الشركية، وهذا الاعتقاد ناقض لعقيدة التوحيد التي تعد أساس الدين الإسلامي<sup>(1)</sup>.

كما أن النفي المطلق للشفاعة هو إلحاد في أسمائه تعالى، لأن من صفاته تعالى الرحمة والرأفة والكرم، ومن أسمائه الحسنى الرحمان، الرحيم، الرؤوف والودود... فمن كان موصوفا بهذه الصفات، والذي تكون له هذه الأسماء، فإن من شأنه أن يقبل الشفاعة من الشافع حبا وودا وكرما للشافع، وعفوا ومغفرة وكرما وعطاء للمشفع فيه<sup>(2)</sup>.

فلكي تكون عقيدة الشفاعة الإسلامية عقيدة صحيحة، لا نعالي في إثباتها إلى حد الإشراف، ولا نقوم بنفيها إلى حد التشكيك في رحمته تعالى الواسعة، وحتى نتعرف أكثر على الشفاعة الإسلامية لا بد من معرفة شروطها، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي من هذا الفصل.

(1) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص26.

(2) - المرجع نفسه، ص20.

### المبحث الثاني: شروط الشفاعة.

بعدها عرفنا اتجاهات المسلمين في الشفاعة نأتي في هذا المبحث لنعرف ما إذا كانت الشفاعة في الإسلام جاءت مطلقة أم قيدت بشروط. بناء على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتضح بأن الشفاعة في الإسلام لم تترك بصورة مطلقة، بل جعلت لها حدودا وشروطا لنعرف من خلالها القابلية أو المقدار اللازم منها للشفاعة، حيث سنبين الشروط اللازمة لينال بها الإنسان الشفاعة والغفران الإلهي، وما هي العوامل أو الشروط التي يجب توفرها لشمول الشفاعة؟

عند تأمل النصوص الشرعية يتبين بأنه لا بد من تحقق ثلاثة شروط لأجل الانتفاع بالشفاعة يوم القيامة، وقد سمي ابن القيم هذه الشروط بالأصول الثلاثة؛ إذ لا شفاعة إلا بإذنه تعالى ولا يأذن إلا لمن كان مرضيا عنه سواء في أقواله أو أعماله، كما أنه تعالى لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ﷺ قولا وعملا<sup>(1)</sup>، وبيان هذه الشروط هو كالتالي:

#### المطلب الأول: إذن الله تعالى بالشفاعة.

ويتعلق هذا الشرط بالله تعالى حيث يسمح في مباشرة الشفاعة ولا يمكن لأي مخلوق مهما كانت منزلته أن يشفع لأحد إلا من بعد إذنه<sup>(2)</sup>، وهو ما دلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(3)</sup>، فصيغة التحدي التي وردت في الآية "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" تنفي معها الندية لله تعالى والشريك في الملك لأن كل من في السموات والأرض ملك لله، فكيف يشفع المخلوق المملوك لدى المالك بغير إذنه؟ فهذا نفي مطلق للشفاعة بغير إذنه وليس نفيا للشفاعة بوجه عام<sup>(4)</sup>.

(1) - محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: ناصر السعوي وآخرون، ط1، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، (1432هـ-2011م))، ص918-919.

(2) - عبد القادر مصطفى المحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص46.

(3) - سورة البقرة، الآية 255.

(4) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص30.

فيوم الحساب ملك لله وحده ولا يستطيع أحد التكلم إلا بإذنه تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾<sup>(1)</sup>، ومما لا يجوز التكلم فيه إلا بإذنه مسألة الشفاعة، التي يكون الأمر صادرا فيها من قبل صاحب الملك والملكوت في الدنيا والآخرة<sup>(2)</sup>.  
 إن الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله ﷻ سواء تعلق هذا الإذن بالشافع أو المشفوع فيه أو بوقت الشفاعة<sup>(3)</sup>.

فالشفاعة الجائزة في حق الله تعالى، هي المرتبطة بشرط الإذن للشافع قبل أن يتشفع، لأن شرط الإذن لازم من لوازم العبودية والخضوع للمشفع عنده، إذ يعتبر تقديم الشافع الاستئذان المسبق، إقرار بالخضوع للمشفع عنده وسيادته عليه، فلا نبي ولا رسول ولا ملك أو مؤمن أو شهيد يشفع إلا أن يقال له اشفع<sup>(4)</sup>، وهو ما جاء موضحاً في الحديث بقول الرسول ﷺ: «...فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيلهمني ربي محامداً لم يلهمها لأحد من قبلي، ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطى، فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يُعلمني، ثم أشفع»<sup>(5)</sup>.

كما أن الاعتقاد بوجود شفعاء بغير إذن الله تعالى وأنهم يملكون الشفاعة لمن أرادوا يعد أمر مستقل عن مشيئته وهذا إشراك بالله تعالى لأنهم جعلوا له ندا وشريكا في ملكه<sup>(6)</sup>، وهو ما اعتقده العرب في الجاهلية، وقد رد الله ﷻ على عقيدة المشركين العرب بما كانوا يعتقدونه في معبوداتهم من أنهم شفعاء بغير إذنه، بقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٦٦﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ

(1) - سورة النبأ، الآية 38.

(2) - محمد ماهر البحيري: الردود القاطعة على من أنكر الشفاعة الساطعة، تقديم: محمود المصري، ط1، (القاهرة: دار صلاح الدين للتراث، (1421هـ-2000م))، ص46.

(3) - حافظ الحكمي: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ضبط تعليق: عمر أبو عمر، ط2، (الدمام: دار ابن القيم، (1415هـ-1995م))، مج2، ص887-888.

(4) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص23.

(5) - رواه البخاري في صحيحه، باب وجوه يومئذ ناظرة إلى رها ناظرة، رقم7440، ج9، ص131.

(6) - فاروق الدسوقي: المرجع السابق، ص41.

أُذِنَ لَهُ<sup>(1)</sup>، فدلّت الآية على قطع كل الأسباب التي تعلق بها المشركون في اتخاذ الشفعاء من دون الله للاعتقاد فيهم النفع والضرر، والنفع لا يكون إلا ممن فيه صفة من هذه الأربع، فإما مالكا لما يريد عابده منه، أو شريكا للمالك، أو معيناً له وظهيراً أو شفيعاً عنده، فالله عز وجل نفى هذه المراتب الأربع نفياً مترتباً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك ثم الإشراك فالمظاهرة، وأخيراً فوّضها عنه لتصريف شؤون الكون والخلائق ومن ثم يثبتون لها فعاليات مستقلة في الأمر والفعل عن الإله، وهي بذلك تشفع لمن تريد بغير إذنٍ منه بناءً على التفويض السابق والاستقلال في الفعلية، وهذه هي عقيدة الشفاعة الشركية لأنها قائمة على جعل الشفيع شفيعاً من غير إذنه تعالى ومن ثم معبوداً، ويتضح ذلك من خلال دعائه طلباً للنفع ودفع الضرر<sup>(2)</sup>.

ومن الذين يقولون أيضاً بالشفاعة الشركية المسيحيين الذين يثبتون قدرة المسيح عليه السلام على الشفاعة لهم من غير إذن من الله تعالى بما أنه الابن، كما أنهم يؤمنون بقدرة البابا أيضاً على الشفاعة، وكانوا يضعون صكوك الغفران، وأن رجال الدين يغفرون الذنوب بتفويض من الله<sup>(3)</sup>، فهذا هو عين الشرك، وهو اختلاف الناس إلى أديان بعد أن كانوا على ملة واحدة، فصاروا أمماً لكثرة معبوداتهم التي يتعللون فيها بشفاعة هذه المعبودات عنده سبحانه بلا إذن وبلا علم<sup>(4)</sup>، ولهذه الأسباب جعل الله عز وجل شروطاً مرهونة بإذنه تعالى في الشفاعة والشافع والمشفوع له الذي لا يأذن له إلا بشرط الإيمان الذي يستحق به الرحمة الإلهية، وعليه يتحدد الشرط الثاني من شروط الشفاعة وهو الإيمان.

### المطلب الثاني: شرط الإيمان.

ليست الشفاعة يوم القيامة عامة لكل أحد وإنما هي -على اختلاف أنواعها- خاصة بالمؤمنين الذين ماتوا على التوحيد، فالله عز وجل لا يرضى لعباده الكفر بل توعد الكفار بالخلود في النار يوم القيامة<sup>(5)</sup>.

فالإيمان أحد الشروط الهامة للشفاعة، لذا فإن الكفر يعد من أهم موانع الحصول على الشفاعة،

(1) - سورة سبأ، الآية 22- 23.

(2) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص 16.

(3) - المرجع نفسه، ص 26.

(4) - المرجع نفسه، ص 17.

(5) - ناصر الجديع: الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، ص 77.

فكل ما يؤدي إلى الكفر يوجب سلب الانتفاع من الشفاعة، لأن مغفرة الله لا تشمل الكافرين والمشركين<sup>(1)</sup>، لقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾<sup>(2)</sup>، وقد فُسر العهد على قول ابن عباس بأنه لا إله إلا الله، وهذا العهد هو لفظ جامع للإيمان وجميع الأعمال الصالحات التي توصل صاحبها إلى درجة وحيز من يشفع<sup>(3)</sup>، وقيل للنبي ﷺ ما عهد الله مع خلقه؟ قال: «أن يؤمنوا ولا يشركوا به شيئاً» وقال المفسرون: إلا من قال لا إله إلا الله<sup>(4)</sup>. كما فُسر سيد قطب في ظلاله، بأن كلمة العهد في الآية تشمل جميع أنواع الطاعات التي بها يكون له الجزاء الأوفى من الله عز وجل الذي لا يخلف عهده<sup>(5)</sup>.

من الأدلة على أن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد وأنه ليس للكفار نصيب فيها، ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»<sup>(6)</sup> ما ورد أيضاً في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته وإني احتبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»<sup>(7)</sup>.

لقد جاءت الآثار كثيرة تفيد إثبات الشفاعة بشرط العهد وما حرص النبي ﷺ لعمه على التلطف بلا إله إلا الله حتى يستطيع أن يشفع له يوم القيامة خير دليل على ذلك، ولو كان العهد يقصد به العمل

(1) - حسن طاهري: الشفاعة حقيقة أم خيال، ترجمة: رعد الحجاج، ط1، (إيران: مطبعة نكار، (1429هـ-2008م))، ص35-36.

(2) - سورة مريم، الآية 87.

(3) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص154، أنظر أيضاً، محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج22، ص160.

(4) - المصدر نفسه، ج1، ص379.

(5) - سيد قطب: في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط1، 1972، ط32، (1423هـ-2003م))، مج4، ص2320.

(6) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم99، ج1، ص31.

(7) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب احتباء النبي دعوة الشفاعة لأمته، رقم199، ج1، ص189.

الصالح لما تمكن النبي ﷺ من التشفع لعمه لعدم استطاعته العمل لأنه كان في سكرات الموت، فعلق النبي ﷺ بذلك الشفاعة على شرط الشهادتين، فلا شفاعة لمن لم يكن من أهل العهد أو التوحيد<sup>(1)</sup>. فمن وافقت شهادته وحدانية الله شهد الله له بالمغفرة والعفو<sup>(2)</sup>، واستدل الرازي على صحة القول بأن العهد معناه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» من عدة وجوه منها:

1- أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، نكرة في ظرف الثبوت وذلك يفيد إلا عهدا واحدا... فوجب أن يكون ذلك العهد الواحد، الذي يفيد تلك الشفاعة هو الإيمان وقول لا إله إلا الله.

2- أن جماعة من المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾<sup>(3)</sup>، هو عهد الإيمان بدليل أن لفظ العهد مجمل، فلما أعقبه بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾<sup>(4)</sup>، علمنا أن المراد من ذلك العهد هو الإيمان وهو قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله<sup>(5)</sup>.

3- أن أول ما وقع من العهد، قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾<sup>ط</sup> قَالُوا بَلَىٰ<sup>(6)</sup>، وذلك في الحقيقة هو قول لا إله إلا الله فكان لفظ العهد محمولا عليه<sup>(7)</sup>.

فشفاعة كلمة التوحيد في الآخرة إن قالها خالصا من قلبه، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة على أنه من شهد بالتوحيد ومات على ذلك حرم على النار لما رواه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار»<sup>(8)</sup>، ومما رواه الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه، يقول رضي الله عنه: «أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة»

(1) - عبد القادر مصطفى المحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص 50.

(2) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 3، ص 41.

(3) - سورة البقرة، الآية 40.

(4) - سورة البقرة، الآية 41.

(5) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: المصدر السابق، ج 21، ص 254.

(6) - سورة الأعراف، الآية 172.

(7) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: عجائب القرآن، ط 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، (1404هـ-1984م))، ص 66.

(8) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، رقم 29، ج 1، ص 57.



الجنة، فقلت وإن زنى وسرق؟ فقال: «إن زنى وسرق»<sup>(1)</sup>، وما أخرجاه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»<sup>(2)</sup>.

فمن أسباب حصول الشفاعة توحيد الله وإخلاص العبادة له بجميع أنواعها فكلما كانت الأعمال أعظم إخلاصا كان أحق بسائر أنواع الرحمة الإلهية والشفاعة أحد الأسباب التي يرحم الله بها عباده وأهل التوحيد والإخلاص هم أحق الناس برحمته تعالى وكل من حقق الكمال في قول «لا إله إلا الله» علما واعتقادا وعملا كان أحق بالرحمة<sup>(3)</sup>.

أما المذنبون من أهل التوحيد، رجحت سيئاتهم على حسناتهم فاستحقوا بذلك دخولهم النار، فإن الله يميتهم فيها فتحرقهم النار إلا موضع السجود، ثم يخرجهم الله من النار بالشفاعة، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة<sup>(4)</sup>.

فكلمة التوحيد لا يمكن التلفظ بها فقط دون الالتزام بمقتضياتها من الاعتقاد والعمل لأجل نيل الشفاعة، ومجموع الأحاديث التي رويت في أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو في بعضها «حرم على النار»؛ أن ذلك كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، وهو ما ذكره الحافظ بن حجر، ثم تعقبه فقال: «ووجه التعقب ذكر الزنا والسرقة فيه»<sup>(5)</sup>.

لقد ذهب الإمام البخاري إلى أن معنى «وإن زنى وإن سرق»، أي من أعلن توبته عند الموت وهذا ما فهمه أبو ذر رضي الله عنه، كما أن دخول الموحدين الجنة قد يكون ابتداء، وقد يكون بعد المجازاة على المعصية، وهو ما بينه الحافظ ابن حجر بقوله: «والأول هو وفق ما أفهمه أبو ذر والثاني أولى للجمع بين

(1) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، رقم 1237، ج 2، ص 71، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا، رقم 94، ج 1، ص 94.

(2) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: "يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم"، رقم 3435، ج 4، ص 165، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، رقم 28، ج 1، ص 57.

(3) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 14، ص 414.

(4) - المرجع نفسه، ص 415.

(5) - أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ-1959م)، ج 3، ص 110-111.

الأدلة»<sup>(1)</sup>.

قال الإمام النووي بعدما أورد هذه الأخبار: «ومذهب أهل السنة بأجمعهم أن أهل الذنوب في مشيئة الله وإن مات موقنا بالشهادتين يدخل الجنة كأن كان تائباً أو سليماً من المعاصي دخل الجنة برحمة الله وحرّم على النار وإن كان من المخلطين تبضيع ما أوجب الله تعالى عليه أو بعضها أو بفعل المحرمات أو بعضها ومات من غير توبة فهو في خطر المشيئة وهو بصدد أن يمضي عليه الوعيد إلا أن يشاء أن يعفو عنه فإن شاء أن يعذبه فمصيره إلى الجنة بالشفاعة»<sup>(2)</sup>.

ولما كان التوحيد أحد أهم أسباب نيل الشفاعة فإن الكفر أو الشرك أحد موانع حصولها فعدم انتفاع الكفار بالشفاعة الحاصلة يوم القيامة هو ما أكدته تعالى بقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ۚ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۚ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيَّوْمِ الدِّينِ ۚ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ۚ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشُّفَعَاءِ ۚ﴾<sup>(3)</sup>، فالشفاعة لا تنفع الكافر مهما كانت درجة الشفيع، ومن صور الشفاعات التي لم يأذن فيها الله عز وجل بسبب الكفر، شفاعة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۚ﴾<sup>(4)</sup>، فهذا أبو الأنبياء ولم يقبل الله عز وجل شفاعته لأبيه لكفره الذي كان سبباً في منع الشفاعة عنه، إذ لا يجوز لمؤمن أن يشفع لكافر أو مشرك مهما كانت منزلته ولو كان أباً أو أخاً أو ابناً.

كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول له إبراهيم: يا رب أنت وعدتني أن لا تخزني يوم يعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين»<sup>(5)</sup>.

(1) - أحمد بن حنبل، العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج3، ص111.

(2) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج1، ص220.

(3) - سورة المدثر، الآية 42-48.

(4) - سورة التوبة، الآية 114.

(5) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، رقم 3350، ج4، ص139.

كذلك نوح عليه السلام لما حاول أن يستأذن ربه ليشفع لابنه على أمل أن يكون قد مات موحداً، فنادى ربه مستفسراً: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾<sup>(1)</sup>.

فمن الواضح من الآية أن نوحاً عليه السلام لم يتشفع لابنه طالبا له النجاة من عذاب المالكين في الآخرة وإلا صار بهذه الشفاعة من المالكين، بل طلب الإذن من الله تعالى للشفع فيه سائلا إياه إن كان يرضى تعالى عن الشفاعة له أم لا؟ فكانت إجابته تعالى أن حذره من أن يشفع له، لأنه من الكافرين وهناك دعا نوح عليه السلام ربه مستعيذا به من أن يسأله ما ليس له به علم نادما مستغفرا تائبا عن قوله، وهكذا لم يشفع نوح عليه السلام لابنه منزها الله تعالى من أن يفضي بما يخالف وعده ووعيده لأن وعد الله الحق ونوح عليه السلام لم يقل "وأنت أرحم الراحمين" لأنه بقوله هذا يكون قد طلب الرحمة له ولكنه قال "وأنت أحكم الحاكمين" إقرارا من نوح عليه السلام بتفرد الله تعالى بالحكم في عباده من غير شراكة أحد من عباده<sup>(2)</sup>.

كذلك الأمر بالنسبة لخاتم الأنبياء لما أراد أن يستغفر لعمه أبي طالب لما قال ﷺ بعد موت عمه: «لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٣٨﴾﴾<sup>(3)</sup>.

وكذلك لما استغفر النبي ﷺ لأمه نهاه الله عن ذلك لأنها ماتت مشركة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»<sup>(4)</sup>، فاستغفار النبي ﷺ لأمه وإن كان من أعظم أسباب المغفرة لأنه نبي إلا أنه لم يُقبل منه لأن المانع كان أقوى وهو الشرك بالله<sup>(5)</sup>.

(1) - سورة هود، الآية 45-47.

(2) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص39.

(3) - سورة التوبة: الآية 113.

(4) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب إستئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، رقم 976، ج2، ص671.

(5) - ماجد سليمان الرسي: البضاعة لمبتغي الشفاعة، (دم: در، 1433هـ)، ص29.

والشفاعة للكفار هي التي تسمى بالشفاعة المنفية، وهي التي قصدها الله ﷻ في قوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك وقد أنكر الله ذلك في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه يأذن سبحانه يأذن لمن شاء في الشفاعة لهم لمن شاء، حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له: صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله ربه ومولاه»<sup>(2)</sup>، فمولاة الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين، والتوجه بالدعاء إليهم، والقصد بالزيارة والحج إلى قبورهم، وتقريب القرابين ليشفعوا لهم؛ فهذه الأعمال كلها من الشرك، وهو ما أدى إلى حرمانهم من الشفاعة، فعوقبوا بنقيض قصدهم، لأنهم جعلوا الله الشريك، وهناك الكثير ممن يظن بأن الشفاعة تُنال بهذه الأمور الشركية، كما اعتقد المشركون الأولون في الملائكة، وكذلك النصارى بما اعتقدوه في المسيح ﷺ، وكذا الحال بالنسبة للضالين من المسلمين الذين يقصدون زيارة قبور الأولياء الصالحين، بقصد الدعاء والذبح والتشفع عندهم، وهذا كله من الشرك، وهو ما حرّمهم من الانتفاع بالشفاعة التي كانوا يرجونها فيهم<sup>(3)</sup>. وعلى هذا الأساس نقول؛ بأنه لا بد من التوحيد لشمول الشفاعة، وهو أحد أهم الشروط التي بها نال الشفاعة، وبانتفائه تنتفي معه الشفاعة وتكون من الشفاعة المنفية الخاصة بالكفار والمشركين.

### المطلب الثالث: شرط الرضا.

من شروط الشفاعة بعد الإذن والإيمان، الرضا فلا بد من رضا الله تعالى عن الشافع والمشفوع له؛ لأن القرآن الكريم جعل الرضا الإلهي لكليهما، يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(4)</sup>.

(1) - سورة المدثر، الآية 48.

(2) - محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ص915-916.

(3) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج14، ص412-413.

(4) - سورة طه، الآية 109.

هناك اتجاهان في تفسير الرضا، اتجاه فسره على أنه خاص بالشافع، بدليل الآية السابقة؛ فالرضا في هذه الآية فُسر على أنه خاص بالشافع خاصة وأن درجة الشافع درجة عظيمة فهي تحصل إلا لمن أذن الله له فيها وكان مرضيا عند الله<sup>(1)</sup>.

فقد ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾<sup>(2)</sup>، بأن شفاعة الملائكة لا تنفع لمن شفَعوا إلا من بعد إذنه تعالى لهم بالشفاعة وبعد رضاه عن الملائكة حينئذ تنفع شفاعتهم<sup>(3)</sup>.

أما الاتجاه الثاني فقد فسر الرضا على أنه شرط خاص بالمشفوع له لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(4)</sup>، فالله عز وجل لا يأذن في الشفاعة إلا لمن كان راضيا عنه بإيمانه وعمله الصالح<sup>(5)</sup>.

غير أن هذه الآيات وإن لم تحدد بشكل دقيق معالم من يستحق الشفاعة ويحظى بالرضا الإلهي، إلا أن المسلم به بأن رضا الله تعالى لا يكون اعتباطيا وإنما مبني على أساس الاعتقاد والأعمال والسلوك التي يأتي بها الإنسان يوم القيامة إذ يجب أن تكون عقيدته صحيحة بالدرجة الأولى، فالعقيدة المرضية تدفع إلى رضا الله تعالى عن الإنسان<sup>(6)</sup>، لقوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾<sup>(7)</sup>، فالدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده هو الإسلام، لقوله تعالى:

(1) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج22، ص118، أنظر أيضا، محمود الزمخشري: الكشاف، ج4، ص110، أنظر أيضا، محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص247، أنظر أيضا، محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج11، ص296.

(2) - سورة النجم، الآية 26.

(3) - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، 1422هـ-2001م)، ج13، ص62، أنظر أيضا، محمد القرطبي: المصدر السابق، ص247.

(4) - سورة الأنبياء، الآية 28.

(5) - محمد رشيد رضا: المصدر السابق، ج11، ص296، أنظر أيضا، سيد قطب: في ظلال القرآن، مج4، ص2375، أنظر أيضا، محمود الزمخشري: المصدر السابق، ص110.

(6) - حسن ظاهري: الشفاعة حقيقة أم خيال، ص51.

(7) - سورة النور، الآية 55.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(1)</sup>، فالاعتقاد بهذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده ينال به الإنسان رضا الله عز وجل في الدنيا والآخرة، وإن كان مدار الشفاعة هو الرضا الإلهي، فإن مدار الرضا هو الاعتقاد بالإسلام لأنه الدين المرضي عند الله تعالى<sup>(2)</sup>، ومن خلال ذلك نقول هل يشترط في المرضي عنه أن يكون اعتقادا وسلوكا أو يكفي أن يكون مرضيا عنه اعتقادا فقط؟ وإن كان من حيث السلوك والعمل قد خلط عملا صالحا وآخر سيئا؟

إن المرضي عنه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى﴾<sup>(3)</sup> فُسر على أساس ارتضاءهم<sup>(3)</sup>، فلا يمكن أن يكون المرضي عنه اعتقادا وعملا وإلا لكان الإنسان من المحسنين فلا يكون بذلك محتاجا إلى الشفاعة، أما إذا كان من المرضي عند الله اعتقادا فإن سلوكه يكون صالحا وسيئا وهذا هو الذي يكون محتاجا للشفاعة<sup>(4)</sup>، بشهادة لا إله إلا الله على قول ابن عباس، فالذين ارتضاهم الله للشفاعة هم الموحدون، كما أن الآية تؤكد الشفاعة لأهل الكبائر لأنه مرضي الاعتقاد يختص بها رسول الله ﷺ دون الملائكة التي تكون شفاعتهم في رفع الدرجات، كما يكون القصد بأن يكون المشفوع له مرتضى بإيمانه وإن كانت له كبائر الذنوب دون الشرك فلا أحد من الملائكة أو الأنبياء يستطيع الشفاعة لأحد من الكافرين لأنه لا يرضى اعتقاده<sup>(5)</sup>.

غير أن حصر الشفاعة في العصاة من المذنبين بصفة خاصة فهذا غير صحيح لأن كل مسلم يطلب الشفاعة ويرغب إلى الله في أن تشمله للاعتقاد بعدم سلامته من الذنوب، والاعتراف بالنقص هو الذي يجعل الإنسان يخاف العقاب ويرجو النجاة برحمة الله ﷻ<sup>(6)</sup>، فالشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله بها عباده، وأحق الناس بالرحمة هم أهل التوحيد والإخلاص، فكلما كان العبد كاملا في تحقيق الإخلاص

(1) - سورة المائدة، الآية 3.

(2) - كمال الحيدري: الشفاعة، بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها، ط1، (دم: دار فراق للنشر، (1428هـ-2004م))، ص240.

(3) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص281، وج1، ص379، أنظر أيضا، محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج22، ص160.

(4) - كمال الحيدري: المرجع السابق، ص241.

(5) - أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي: البعث والنشور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط1، (بيروت: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، (1406هـ-1986م))، ص55.

(6) - محمد القرطبي: المصدر السابق، ج1، ص380.

لشهادة أن لا إله إلا الله من حيث الاعتقاد والعمل كان أحق بالرحمة الإلهية يوم القيامة<sup>(1)</sup>.  
 أما عن كيفية الشفاعة للمرضيين عنهم يوم القيامة فتكون بزيادة درجاتهم في الجنة لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، وقال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه»<sup>(2)</sup>، كما أن الله عز وجل يرفع درجة الآباء ببركة دعاء الأبناء لما روى في ذلك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أتى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك»<sup>(3)</sup>.

فالشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة الذين ارتضاهم الله بالشهادة والعمل فأدخلهم جناته كما وعدهم من الأمور التي لا خلاف عليها بين المسلمين، غير أن هذا لا يعني تأويل جميع نصوص الشفاعة في زيادة الدرجات فقط، إنما هي للمذنبين من المسلمين أيضا<sup>(4)</sup>.

وعليه يتبين بأن الشفاعة في الإسلام لم تأت مطلقة بلا قيود بل ثبتت بشروط فحددت بالإذن حتى تكون الشفاعة لله جميعا وبالإيمان لتنتفي بذلك عن الكافر وبالرضا حتى تكون صلة الشافع بالله عز وجل مبنية على القرب والرضا الذي يؤهله إلى مرتبة الشفاعة، بخلاف المشفوع له الذي تكون صلته بالله إما مذنباً يرجى رحمة ربه وإما من المرضيين يتمنى رفع درجاته في الجنة، فالشفاعة الإسلامية هي التي تكون ملكاً لله تعالى يملك جميع عناصرها، ولا تتم إلا بإذنه ورضاه.

(1) - محمد ابن تيمية: الحسنة والسيئة، ضبط وتخرىج: حنان بن حافظ، (مصر: دار الريان للتراث، (1408هـ - 1988م))، ص 219-220.

(2) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، رقم 920، ج 2، ص 634.

(3) - رواه الإمام أحمد في مسنده: مسند الكثيرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم 10611، ج 16، ص 357.

(4) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 35.

### المبحث الثاني: أنواع الشفاعة.

تعددت أنواع الشفاعات يوم القيامة بتعدد الشافع وإن كانت تدور حول محورين أساسيين، فمنها ما تعلق بالأشخاص كشفاعة الأنبياء عليهم السلام والملائكة والشهداء والعلماء وغيرهم، ومنها ما تعلق بالعبادات كشفاعة القرآن الكريم والصيام والصبر على الشدائد وغيرها وهو ما سنتناوله بشيء من التفصيل في هذا المبحث.

#### المطلب الأول: الشفاعة المتعلقة بالأشخاص.

اختلف العلماء في عدد أنواع الشفاعات يوم القيامة، بسبب اختلافهم في عدم وجود الدليل القطعي في كل نوع من الشفاعة، وغالبيتهم حصرها في شفاعات النبي محمد ﷺ والنبين والملائكة والمؤمنين<sup>(1)</sup>. لقد عدّد العلماء أنواع الشفاعة؛ فجعلها ابن تيمية ثلاث شفاعات؛ الأولى الشفاعة لأهل الموقف حتى يُقضى بينهم، والثانية شفاعته ﷺ لأهل الجنة بالدخول إلى الجنة، والثالثة الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها وهذه الشفاعة له ولسائر النبين والصدّيقين وغيرهم<sup>(2)</sup>.

وقد عدّها القاضي عياض والإمام النووي وأكثر العلماء بخمسة أنواع:

الأولى: شفاعة الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

والثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى.

والرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين.

والخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها<sup>(3)</sup>.

وقد ذكر ابن حجر شفاعة أخرى، وهي فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، وكذلك

(1) - عبد القادر مصطفى المحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص 59.

(2) - محمد ابن تيمية: العقيدة الواسطية، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، ط 1، (السعودية: مؤسسة الدرر السنية، 1433هـ)، ص 119-120.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 35-36، أنظر أيضا، أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 428.



شفاعته ﷺ فيمن قال لا إله إلا الله (1).

هذا واستدرك القاضي عياض نوعاً آخر من الشفاعات الخاصة بنبينا ﷺ، وهو التخفيف عن عمه أبي طالب في العذاب (2).  
وقد ذكر شارح العقيدة الطحاوية بأنها ثمان شفاعات (3)، وهو ما سنتناوله بشيء من التفصيل في شفاعات نبينا ﷺ.

### أولاً: شفاعة الأنبياء ﷺ.

لا خلاف بين الأمة في ثبوت شفاعة الأنبياء عموماً وإن كانوا لا يملكون بعض أنواع الشفاعة التي حُصِّ بها نبينا الكريم ﷺ (4).  
ودليل شفاعة الأنبياء ما ورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: «...شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين...» (5).

وما جاء عن أبي حذيفة عن النبي ﷺ: «يقول إبراهيم يوم القيامة: يا رباه فيقول الرب جل وعلا: يا لبيكاه، فيقول إبراهيم: يا رب حرقت بني، فيقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة أو شعيرة من إيمان» (6)، وما أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي بكر الصديق ﷺ مرفوعاً: «... ثم يقال: ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النبي ومعه أحد العصاة والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد، ثم يقال:...» (7).  
أما عن مواضع شفاعة الأنبياء عليهم السلام فهي عند الصراط، لما روى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم، اللهم سلم، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ فقال ﷺ: لحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها

(1) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11 ص 429.

(2) - المصدر نفسه، ص 429.

(3) - علي بن علي ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، ط 2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1411هـ-1990م)، ج 1، ص 282-290.

(4) - سلطان الحراصي: الشفاعة الأخروية، (دم: در، 2002)، ص 38.

(5) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم 183، ج 1، ص 167.

(6) - رواه ابن حبان في صحيحه: - بهذا الإسناد- كتاب ذكر الأخبار عن شفاعة إبراهيم، باب إخباره عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم، رقم 7378، ج 16، ص 283-382. قال الألباني صحيح.

(7) - رواه أحمد في مسنده: مسند الخلفاء الراشدين، مسند أبي بكر الصديق ﷺ، رقم 15، ج 1، ص 193.

شريكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلم ومخدوش ومرسل، مكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله تعالى في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون ربنا كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار بعضهم إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه»<sup>(1)</sup>.

ذكر الإمام النووي عند تفسيره لهذا الحديث بأن الناس على الصراط ثلاثة أقسام؛ قسم يسلم فلا يصيبه شيء، وهم المؤمنون الصادقون يضيء لهم طريق الصراط نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وقسم يخذل ثم يرسل فيخلص، وقسم أخير وهو الذي يكرس ويلقى به في جهنم<sup>(2)</sup>.

فأحوال المؤمنين في عبورهم الصراط تختلف باختلاف درجات الإيمان والأعمال والذنوب والمعاصي، فمنهم السالم الذي يمر من الريح ومنهم من يخذل ثم ينجو ومنهم الهالك الذي تتخطفه الكلاب ثم يهوي في جهنم<sup>(3)</sup>، وهو العاصي الذي يصيبه العذاب بقدر ذنوبه ثم يخرج منها إما بشفاعة أو بانتهاء عقوبته، وإما بفضل الله ورحمته<sup>(4)</sup>.

ففي هذا الموقف واشتداد الكرب بالناس تكون شفاعاة الأنبياء عليهم السلام بعد إذنه تعالى لهم فتكون لمن استحق النار بعمله ولكن تدركه الشفاعاة، فينقذه الله منها<sup>(5)</sup>.

أما الموضع الآخر فيكون فيمن استحق النار ودخلها ويخرج منها بشفاعة الأنبياء عليهم السلام لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق: «...حتى إذا خلص المؤمنون من النار فالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منّا شدة الله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد مما أمرتنا، فيقول

(1) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم 183، ج 1، ص 167.

(2) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 29.

(3) - ماهر أحمد الصوفي: موسوعة الآخرة - الميزان الصحف الصراط أنواع الشفاعات-، (بيروت: المكتبة العصرية)، 1431هـ-2010م)، ص 112.

(4) - محمد بن العثيمين: شرح العقيدة السفارينية، ط 1، (دم: مكتبة الصفا، دت)، ص 355.

(5) - سعيد حوى: الأساس في السنة وفقهها، -قسم العقائد-، ط 3، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، (1417هـ-1996م))، مج 3، ص 1330.

ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها مما أمرتنا أحدا، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا، وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما، فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين...»<sup>(1)</sup>، وفي رواية أخرى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا فيخرجونهم، ثم يتحين الله برحمته فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا أخرجه»<sup>(2)</sup>.

فوجه الدلالة لهذا الحديث أن الأنبياء عليهم السلام يشفعون فيمن دخل النار للخروج منها ولو بأدنى الأعمال، سواء عملا صالحا أو ذكرا خفيا أو عملا من أعمال القلب، فمن كان عنده شيء من الأعمال الزائدة عن مجرد الإيمان نال شفاعَةَ الأنبياء، ولقد ضرب الله عز وجل بمثقال الذرة لأقل الخير دليلا على رحمته تعالى الواسعة التي يخص بها المؤمنين من عباده<sup>(3)</sup>.

### 1- شفاعَةَ النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

لقد فضل الله صلى الله عليه وسلم أنبياءه بعضهم على بعض، ومن بين ما خص به نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أنه أرسله رحمة للعالمين؛ في الدنيا بالرسالة التي بعثه الله بها لإنقاذ عباده من الضلال، وفي الآخرة بالشفاعة التي ينقذ بها المؤمنين من العذاب، وهذا من تمام رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته بأمته، وتأخير دعوته المستجابة إلى يوم القيامة من الدلائل على ذلك، فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «أن لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته وإني احتبأت دعوتي شفاعَةً لأمتي يوم القيامة»<sup>(4)</sup>، وجاء في الصحيحين أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي»، وذكر منها: «أعطيت

(1) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم 183، ج 1، ص 167.

(2) - رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: كتاب الأحوال، رقم 8738، ج 4، ص 628، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 32.

(4) - سبق تخريجه، ص 162.

الشفاعة»<sup>(1)</sup>.

وشفاعات النبي ﷺ عدة أنواع؛ منها ما هو خاص به لا يشاركه فيها أحد كالشفاعة العظمى، وشفاعته في إدخال سبعين ألفاً من أمته بغير حساب، وشفاعته في التخفيف عن بعض أهل النار، ومنها ما هو عام يشاركه فيها النبيون والملائكة وغيرهم من المؤمنين كالشفاعة في زيادة درجات المؤمنين في الجنة والشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وإن دخلها أن يخرج منها، والشفاعة فيمن تساوت حسناته وسيئاته، وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل في هذا العنصر.

وقبل أن نتطرق لأنواع هذه الشفاعات يجب أن نعرض على نقطة مهمة تتمحور حول المقام المحمود وتفسيرات العلماء لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾<sup>(2)</sup>.  
اختُلف في المقام المحمود على أربعة أقوال:

### القول الأول:

أن المقام المحمود هو الشفاعة للناس يوم القيامة وهو أصحها<sup>(3)</sup>، ودليله ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا (أي جماعات) كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان اشفع، حتى تنتهي إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يعثه الله المقام المحمود»<sup>(4)</sup>، وما روي عن أنس بن مالك قال حدثنا محمد رضي الله عنه قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله، فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد رضي الله عنه فأوتي فأقول أنا لها»<sup>(5)</sup>، وروي

(1) - سبق تخريجه، ص 163.

(2) - سورة الإسراء: آية 79.

(3) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 309، والتذكرة بأحوال الموتى، ص 775، أنظر أيضاً، محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 15، ص 43، أنظر أيضاً، أبو القاسم الطبري اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مج 1، ص 1184، أنظر أيضاً، محمد ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 57، أنظر أيضاً، محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 21، ص 32، أنظر أيضاً، أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 427

(4) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب قوله "عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا"، رقم 4718، ج 6، ص 86.

(5) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم 193، ج 1، ص 182.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، سئل عنها قال: «هي الشفاعة»<sup>(1)</sup>

### القول الثاني:

أن المقام المحمود هو إعطاؤه ﷺ لواء الحمد يوم القيامة، وهذا لا يتناقض مع القول الأول، فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع للناس يوم القيامة<sup>(2)</sup>، لما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي»<sup>(3)</sup>.

### القول الثالث:

ما نقله الطبري عن فرقة منها مجاهد قالت بأن المقام المحمود هو أن يجلس الله تعالى محمداً ﷺ معه على عرشه، لما روي عن عباد بن يعقوب الأسدي قال: ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: يجلسه معه على عرشه، ثم ذكر بأن هذا القول ليس بمردود سواء من جهة العقل أو النقل، لأنه على مذهب القائلين بأن المقام المحمود هو الجلوس على عرش الرحمن، فيقاعده محمد ﷺ لا يوجب له صفة الربوبية (وهذا لا يخرج من صفة العبودية)، كما أن جلوس الرب ﷻ على عرشه ليس بجلوس يشغل جميع العرش، وعليه فليس من المحال ما قاله مجاهد من أن الله تعالى يجلس محمداً ﷺ على عرشه، والإقعاد يكون بين يدي الرب وليس معه<sup>(4)</sup>.

غير أن الطبري رجح القول الذي يؤول المقام المحمود على أنه الشفاعة يوم القيامة لورود الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في ذلك كما مرّ معنا سابقاً<sup>(5)</sup>، وممن ذهب من المفسرين هذا المذهب الألوسي في تفسيره، ويتضح ذلك جلياً من خلال رده على الواحدي الذي رد هذا التفسير ومناقشة أدلته واحداً تلو الآخر ثم قال: «والصوفية يقولون إن الله عز وجل الظهور فيما يشاء على ما يشاء وهو سبحانه في

(1) - رواه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن، باب من سور بني إسرائيل، رقم 3137، ج 5، ص 303، هذا حديث حسن، وقال الألباني حديث صحيح.

(2) - محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 311.

(3) - رواه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن، باب من سور بني إسرائيل، رقم 3148، ج 5، ص 308، قال الألباني صحيح.

(4) - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان، ج 15، ص 48، 53.

(5) - المصدر نفسه، ج 15، ص 43.

حال ظهوره على إطلاقه حتى عن قيد الإطلاق فإنه العزيز الحكيم ومتى ظهر جل وعلا في صورته أجريت عليه سبحانه أحكامها من حيث الظهور، فيوصف عن مجده عندهم بالجلوس ونحوه من تلك الحيثية وينحل بذلك أمور كثيرة إلا أنه مبني على ما دون إثباته خرط القتاد»<sup>(1)</sup>.

غير أنه من العلماء من أنكر تفسير المقام المحمود على أنه الجلوس على عرش الرحمان، يقول الرازي: «أن هذا القول كلام رذل ساقط لا يميل إليه إنسان قليل العقل عديم الدين»<sup>(2)</sup>.

وكذلك ابن عبد البر<sup>(3)</sup> بقوله: «ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ وأقويل الصحابة وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ومجاهد وإن كان أحد المتقدمين في العلم بتأويل القرآن فإن له قولين في تأويل اثنين هما مهجوران عند العلماء، مرغوب عنهما أحدهما هذا، والآخر قوله في قول الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾... قال يوسع له على العرش فيجلسه معه وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة»<sup>(4)</sup>.

كما أبطل الواحدي هذا الرأي من وجوه عدة نجلها فيما يلي:

- أن البعث ضد الإجماع تفسير للضد بالضد وهو فاسد.
- أنه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا محمودا، والمقام موضع القيام لا موضع القعود.
- أنه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد ﷺ لكان محمودا متناهايا ومن كان كذلك فهو محدث.
- أنه جلوسه مع الله ليس فيه إعزاز؛ لأن هؤلاء الجهال يقولون بأن أهل الجنة جميعهم يزورون الله تعالى ويجلسون معه، وإن كانت هذه الحالة حاصلة معهم فليس هناك تخصيص لمحمد ﷺ عن غيره من أهل الجنة.

(1) - محمود الألوسي: روح المعاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت)، ج 15، ص 142-143.

(2) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 11، ص 33.

(3) - يوسف بن عبد البر (978-1071م): يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث ومؤرخ وأديب، أنظر، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 240.

(4) - يوسف بن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: عبد الله بن الصديق، (دم: در)، (1399هـ-1979م)، ج 7، ص 157-158.

- أنه إذا قيل أن السلطان يبعث فلانا؛ فهم من ذلك أنه أرسله، ولا يفهم منه أنه أجلسه معه<sup>(1)</sup>. وعلى هذا الأساس نستنتج بطلان القول بأن المقام المحمود هو إجلاله ﷺ على عرش الرحمان، والقول بأنه الشفاعة أولى لورود الأحاديث الصحيحة في ذلك، أما القول بأنه إعطاؤه لواء الحمد فهذا لا ينفي القول الأول.

#### القول الرابع:

إخراجه من النار بشفاعته من يخرج، ودليل ذلك ما أخرجه مسلم في رواية عن يزيد الفقير الذي كان قد شغفه رأي عن الخوارج، فخرج إلى الحج مع عصابة فمرّ على المدينة فإذا بجابر بن عبد الله يحدث القوم جالسا إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال فإذا هو ذكر الجهيمين قال فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون والله يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾<sup>(2)</sup>، و﴿كَلَّمَآ أَرَادُوا أَن سَخَّرُجُوا مِنهَا أَعِيدُوا فِيهَا﴾<sup>(3)</sup>، فما هذا الذي تقولون، قال فقال أقرأ القرآن قلت نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج...»<sup>(4)</sup>.

وما أخرجه البخاري من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: وقد سمعته يقول: فأخرج فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال هو المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ<sup>(5)</sup>.

وبعدما أوردنا أهم التفسيرات التي ذكرها المفسرون في المقام المحمود وإن كان الراجح من الأقوال بأنه الشفاعة كما سبق، فالشفاعة كلها مقام محمود وهي من أقربها إلى الصواب وأصحها من حيث ورود الأدلة على ذلك بقول ابن حجر: «ويمكن رد الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة فإن إعطاء لواء الحمد وثناؤه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه وأقرب من جبريل، كل ذلك صفات المقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق»<sup>(6)</sup>.

(1) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج21، ص33.

(2) - سورة آل عمران، الآية 192.

(3) - سورة السجدة، الآية 20.

(4) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم191، ج1، ص179.

(5) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، رقم7440، ج9، ص129.

(6) - سعيد حوى: الأساس في السنة وفقهها، مج3، ص1262.

وإن كان بعض العلماء حدد المقام المحمود على أنه شفاعاة الموقف، وشفاعة المرور على الصراط، وشفاعة الدخول إلى الجنة، وهو ما ذهب إليه سعيد حوى، وجعل هذه الشفاعات مقابل الفرعات الثلاث؛ يقول سعيد حوى: «المقام المحمود هو الذي يشفع فيه رسول الله ﷺ لأهل الموقف بعد طول الوقوف ليفصل الله عز وجل في شأنهم، وهذه الشفاعاة هي التي تسمى شفاعاة فصل الخطاب، ورسول الله ﷺ شفاعتان بعدها تكونان بعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء فيحال الأمر عليه، وهي الشفاعاة لجواز الصراط والشفاعة لدخول الجنة...والشفاعات الثلاثة الأولى كلها تدخل تحت ما يسمى المقام المحمود»<sup>(1)</sup>.  
بناء على ما سبق، وبعدها تبين لنا بأن المقام المحمود هو الشفاعاة، وبما أن شفاعات المقام المحمود هي أحد أهم شفاعات الرسول ﷺ يوم القيامة، فسوف نتناولها ضمن شفاعات الرسول الكريم محمد ﷺ وهي كالآتي:

#### النوع الأول: الشفاعاة العظمى (الشفاعة لأهل الموقف):

وهذه الشفاعاة الأولى التي خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ﷺ من أجل الشفاعاة عند الله ليقضي بين خلقه ويعجل حسابهم ويريحهم من هول وكرب الموقف الذي هم فيه وهذه الشفاعاة من أعظم الشفاعات يوم القيامة، ولهذا تسمى بالشفاعة العظمى إذ أنها شفاعاة عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم<sup>(2)</sup>.

لقد استند العلماء في تحديد الكيفية التي تتحقق بها هذه الشفاعاة إلى مجموعة من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الشأن ومفادها أن الله تعالى يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين من المسلمين والكافرين حفاة عراة كما خلقهم أول مرة، وفي هذا اليوم تتداخل الخلائق بعضها ببعض وأن الشمس تدنو من الرؤوس فيشتد عليهم حرّها، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، حينئذ يمشي بعضهم إلى بعض يقولون ألا ترون ما نحن فيه، ألا تنظرون من يشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من هذا المقام بتعجيل الحساب<sup>(3)</sup>؛ ودليل ذلك ما أورده البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن الشمس تدنو يوم القيامة حتى

(1) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 427.

(2) - ناصر الجديع: الشفاعاة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، ص 38، أنظر أيضا، محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: الصادق بن محمد بن ابراهيم، (الرياض: مكتبة المنهاج للنشر، 1425هـ)، ج 1، ص 599.

(3) - محمد أحمد محمود: الشفاعاة في ضوء القرآن الكريم، ص 67-69.



يبلغ العرق نصف الأذن فيينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم»<sup>(1)</sup>.

من الأحاديث أيضا التي يستدل بها على الشفاعة العظمى ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه -فنهش منها نهشة- ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك؟ يجمع الله الناس يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهدي وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله -ولم يذكر ذنبا- نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله ما تقد من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنتطلق فآتي تحت

(1)- رواه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكفرا، رقم 1474، ج 2، ص 123.

العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سل تعط، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمي أمي، فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»<sup>(1)</sup>.

فوجه الدلالة من هذا الحديث وقوع هذا النوع من الشفاعة، فلما أذن له ﷺ في إدخال من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة هو في الحقيقة فتح لباب القضاء بين العباد، وهو ما يقره القرطبي عند شرحه لهذا الحديث بقوله: «فأقول يا رب أمي أمي، يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه»، فهذه العبارة: «تدل على أنه شفع فيما طلبه من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم، وكان طلب هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه محمد ﷺ الذي وعده»<sup>(2)</sup>.

قال القاضي عياض بأنه «في رواية أخرى عن حذيفة بعد قوله ﷺ: أمي أمي، في هذا الحديث نفسه، قال فيأتون محمد ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق وساق الحديث، وبهذا يتصل الحديث لأن هذه الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها وهي الإراحة من الموقف والفصل بين العباد ثم حلت الشفاعة في أمته ﷺ وفي المذنبين وحلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم»<sup>(3)</sup>.

إن الشفاعة بتعجيل الحساب والخلاص من هول الموقف من الشفاعات المتفق عليها بين علماء المسلمين وفرقهم، فلم ينكرها أحد لا من المعتزلة ولا من أهل السنة ولا من الخوارج لكثرة الأحاديث الواردة في ثبوت هذا النوع من الشفاعة، واتفاق هذه الأحاديث مع ما جاء في القرآن الكريم، كما أنها تبين المكانة الرفيعة التي يحظى بها النبي ﷺ في ذلك الموقف الرهيب<sup>(4)</sup>.

(1) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح، رقم 4712، ج 6، ص 84.

ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، رقم 194، ج 1، ص 184.

(2) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص 600.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 57-58.

(4) - سلطان الحراصي: الشفاعة الأخروية، ص 98، 101.

بناء على ما تقدم، يتضح بأن الشفاعة العظمى هي إحدى الشفاعات الخاصة بالرسول الكريم يوم القيامة للإراحة من هول الموقف، وهو أول المقام المحمود كما دلت الأحاديث على ذلك، وتليها شفاعة إدخال من لا حساب عليه من أمته ﷺ الجنة من الباب الأيمن.

### النوع الثاني: الشفاعة بفتح أبواب الجنة ودخولها

ذكر هذا النوع من الشفاعة عدد من العلماء، منهم الإمام النووي<sup>(1)</sup> في شرحه على صحيح مسلم، وابن حجر العسقلاني<sup>(2)</sup> في الفتح، والقرطبي<sup>(3)</sup> في التذكرة، فقد جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة، ولم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»<sup>(4)</sup>، فبعد أن يأذن الله تعالى لنبه محمد ﷺ في الشفاعة لفصل القضاء يقول عز وجل لنبه: «أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»<sup>(5)</sup>.

يستدل القائلون بوقوع هذا النوع من الشفاعة بما ورد عن أبي يعلى في الحديث الطويل السابق الذكر: «فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة، فيقول الله: وقد شفعتك فيهم وأذنت لهم في دخول الجنة»، ووجه دلالة الحديث أن هذه الشفاعة من الشفاعات التي وعد بها نبيه الكريم محمد ﷺ وهو ما ثبت أيضا عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم تسعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، وقال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع ثمرة عليه، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة»<sup>(6)</sup>.

(1) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج3، ص35-36.

(2) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج11، ص428.

(3) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص607، أنظر أيضا، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص310.

(4) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ "أنا أول الناس يشفع في الجنة"، رقم196، ج1، ص188.

(5) - سبق تخريجه، ص189

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا، رقم6542، ج8، ص113، ورواه مسلم في صحيحه:

كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول الطوائف، رقم216، ج1، ص197.

وفي رواية أخرى، عن عمران قال: قال نبي الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا بغير حساب، قالوا: ومن هم يا رسول الله، قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى رهم يتوكلون، فقام عكاشة...»<sup>(1)</sup>.

فهذه الأحاديث ذكرت الصفات التي يتميز بها السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى رهم يتوكلون، فهؤلاء الذين يدخلون الجنة زمرة واحدة متماسكين آخذا بعضهم بعضا، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ووجوههم مضيئة إضاءة القمر ليلة البدر، وفي هذا تصريح بعظم باب الجنة وسعته<sup>(2)</sup>.

إن تحديد هؤلاء بالسبعين ألفا مسألة مختلف في تفسيرها، فهناك من فسرها بمعنى الكثير لا خصوص العدد، وهو ما ذهب إليه الكرماني، وهناك من قال المراد منها دخولهم الجنة بغير حساب وهو ما مال إليه ابن حجر<sup>(3)</sup>.

أما وصفهم بهذه الصفات بقوله: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى رهم يتوكلون» فقد نقل ابن حجر عن الكرماني معنى "لا يكتوون" المراد منه الذين يعتمدون على الله في دفع الداء والرضى، وليس المقصود ترك التداوي والرقى واللجوء إلى ذلك يكون عند الحاجة والضرورة، مع الاعتقاد بأن الشفاء من عند الله، "ولا يسترقون" معناه بالرقى التي ليست في القرآن كرقى الجاهلية، "ولا يتطيرون" أي أنهم لا يتشاءمون؛ فالمراد من ذلك أنهم الذين يتركون أعمال الجاهلية في عقائدهم<sup>(4)</sup>.

هذا وذهب ابن حجر إلى أن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم من أهل المدينة، لحديث أم قيس بنت نحصن أخت عكاشة أنها خرجت مع النبي ﷺ إلى البقيع فقال: «يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب كأن وجوههم القمر ليلة البدر، فقام رجل فقال: يا رسول الله وأنا؟ قال: وأنت، فقام رجل آخر فقال: وأنا؟ قال: سبقك بما عكاشة...»<sup>(5)</sup>.

إن هذا النوع من الشفاعة رغم أنه من الأمور المجمع عليها بين مذاهب المسلمين سنة ومعتزلة وغيرهم، إلا أن المعتزلة قيدت هذا النوع بمن لا تبعة عليه، أما أهل السنة فذهبوا إلى إطلاقه وهو ما بينه

(1) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول الطوائف، رقم 218، ج 1، ص 198.

(2) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 92.

(3) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 412-413.

(4) - المصدر نفسه، ج 11، ص 409-410.

(5) - المصدر نفسه، ج 11، ص 413.

ابن حجر بقوله: «ومنها الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وخص هذه المعتزلة بمن لا تبعه عليه»<sup>(1)</sup>.

غير أنه اختلف حول المراد من هذه الشفاعة من حيث كونها تدخل الجنة من لا حساب عليهم لاتصافهم بهذه الصفات التي ذكرتها الأحاديث السابقة الذكر، أم هي لرفع الحساب على هؤلاء لاتصافهم بهذه الصفات، فعلى القول الأول يكون المستفاد لهم بالشفاعة الإذن في إدخالهم الجنة فقط، أما رفع الحساب عنهم فقد استوجبه لهم اتصافهم بالصفات المذكورة، وعلى الرأي الثاني يكون المستفاد لهم بالشفاعة في رفع الحساب عنهم وقد استوجب الشفاعة لهم اتصافهم بما ذكر من الصفات<sup>(2)</sup>.

والقول الأول هو الذي عليه المحققون، والمستفاد من ظاهر الأحاديث الواردة في هذا النوع من الشفاعة<sup>(3)</sup>، ما ورد في قوله ﷺ: «أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة»<sup>(4)</sup>.

على هذا فقد ثبت بأن هذه الشفاعة، هي في إدخال الجنة من لا حساب عليه لا في رفع الحساب، هذا ما ذهب إليه الإمام تقي الدين السبكي في كتابه شفاء السقام: «لا شك أن زمرة تدخل الجنة بغير حساب وهم بالصفة المذكورة في الحديث وقد دخل فيهم عكاشة ؓ بدعوة النبي ﷺ، والظاهر أن كل من حصلت له الصفة المذكورة في الحديث يستحق هذا الجزاء، لكن دخولهم من الباب الأيمن كما هو ظاهر الحديث فإنه جعل كونهم لا حساب عليهم وصفا ثابتا لهم»<sup>(5)</sup>.

أما القول الثاني القائل بالشفاعة في رفع الحساب عنهم فلا يوجد ما يؤيده في هذا الحديث، وممن صرح بذلك السبكي بقوله: «ويحتمل أن هذا الجزاء يعني رفع الحساب إنما يستحقونه بشرط الشفاعة وإن اشتملوا على الصفات المذكورة، لكن لم يرد دليل في هذا الحديث بذلك»<sup>(6)</sup>.

(1) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 13، ص 459.

(2) - محمد أحمد محمود: الشفاعة في ضوء القرآن الكريم، ص 79.

(3) - المرجع نفسه، ص 79.

(4) - سبق ترجمته، ص 189.

(5) - علي بن عبد الكافي السبكي: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تحقيق: حسين محمد علي شكري، ط 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008)، ص 446.

(6) - المصدر نفسه، ص 446.

وأخيراً نقول، إذا كان رفع الحساب عن هؤلاء أمر قد ثبت لهم من قبل الشفاعة ودخولهم الجنة، فما فائدة الشفاعة إذن؟؛ نقول إن فائدة الشفاعة لهم تكون في التعجيل بإدخالهم الجنة من لا حساب عليه<sup>(1)</sup>.

### النوع الثالث: الشفاعة فيمن تساوت حسناته وسيئاته

إن هذا النوع من الشفاعة مختلف في أمره بين أهل العلم، من حيث أنه يعدونه من أنواع شفاعات الرسول ﷺ أم لا؟ فمن العلماء الذين لا يعدونه من أنواع الشفاعة؛ القرطبي<sup>(2)</sup>، والنووي<sup>(3)</sup>، وابن تيمية<sup>(4)</sup>، وغيرهم، وذكر البعض الآخر من العلماء أن من أنواع شفاعات الرسول ﷺ شفاعته فيمن استوت حسناته سيئاته أن يدخل الجنة، ومن أثبت هذا النوع من الشفاعة الإمام ابن كثير<sup>(5)</sup>، وإن لم يورد دليلاً على ذلك، وابن العز<sup>(6)</sup>، وابن حجر في فتح الباري وغيرهم، حيث قال: «وظهر لي بالتتابع شفاعة أخرى وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة»<sup>(7)</sup>، وقد استدل على إثبات هذا النوع من الشفاعة بما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد»<sup>(8)</sup>.

إن الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم هم أصحاب الأعراف على ما ذهب إليه جمهور المفسرين، قال ابن كثير في تفسيره بعدما أورد معنى الأعراف عن ابن عباس بأن الأعراف تلة بين الجنة والنار حُبس عليها ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار، وفي رواية بأنه سور، وبهذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير، ثم قال ابن كثير: «واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود

(1) - محمد أحمد محمود: الشفاعة في ضوء القرآن الكريم، ص 80.

(2) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، ص 607.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ص 35-36.

(4) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 3، ص 147.

(5) - محمد ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 226.

(6) - علي ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، ج 1، ص 288.

(7) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 428.

(8) - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم 11454، ج 11، ص 189.

وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله»<sup>(1)</sup>.

كما استدلو على ذلك أيضا بما روى الطبراني أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد»<sup>(2)</sup>.

بعد ما تبين القول بأن أصحاب الأعراف هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم هو الراجح، كما ذكر ابن حجر<sup>(3)</sup>، وهو ما ذهب إليه القرطبي أيضا في التذكرة، غير أنه لم يعد هذه الشفاعة من أنواع الشفاعات؛ وأورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «توضع الموازين القسط يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار، قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾»<sup>(4)</sup><sup>(5)</sup>.

وبما أن هذا النوع من الشفاعة مختلف في أمره بين أهل العلم من حيث أن أصحاب الأعراف يدخلون الجنة بالشفاعة وبالتالي يعدونها أحد أنواع الشفاعة كما سبق، وأن بيننا وبين من لا يعدونها من أنواع الشفاعات ولم يذكرونها في تعداد أنواع الشفاعات خاصة وأنها لم تثبت بدليل قطعي، غير أن المنطق لا ينفي ذلك، فكيف يدخل أصحاب الكبائر ومن لم يعمل خيرا قط الجنة بالشفاعة ابتداء أو ختاماً وهؤلاء لا يدخلون وهم أقل جرماً وذنبا كما سيأتي ذكره<sup>(6)</sup>.

#### النوع الرابع: الشفاعة في قوم استوجبوا النار ألا يدخلوها

لقد ذكر هذا النوع من شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم طائفة من العلماء منهم القرطبي<sup>(7)</sup>، وابن كثير<sup>(8)</sup>، والحافظ

(1) - محمد ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص226.

(2) - سبق تخرجه، ص193.

(3) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج11، ص197.

(4) - سورة الأعراف: الآية 46.

(5) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى، ص733.

(6) - عبد القادر مصطفى الحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص89.

(7) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى، ص607.

(8) - محمد ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط2، (دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر، (1430هـ-2010م))، ج17، ص389.

ابن حجر<sup>(1)</sup>، والسبكي<sup>(2)</sup>، والقاضي عياض والنووي<sup>(3)</sup> وغيرهم، حيث نقل قول القاضي عياض في تعداد أنواع الشفاعة: «الثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله تعالى»<sup>(4)</sup>.

اعتمد هؤلاء المثبتون لهذا النوع من الشفاعة يوم القيامة بما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «...ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم»<sup>(5)</sup>، وما أورده مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «...ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم»<sup>(6)</sup>.

وتكون هذه الشفاعة بعد وضع الصراط وإجازته، وهو ما بينه السبكي بقوله: «وظاهر هذا أنها شفاعة تحل بعد وضع الصراط بعد الشفاعتين الأولتين، وأنها في إجازة الصراط ويلزم من ذلك النجاة من النار، ولم يرد تصريح بذلك»<sup>(7)</sup>.

ووجه الدلالة مما سبق؛ أن الرسل يطلبون من ربهم السلامة للمؤمنين من الوقوع في النار عندما يعبرون الصراط وطلبهم هذا لا شك أنه شفاعة منهم، كما صرح بذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «وتحلّ الشفاعة»، وهؤلاء المشفوع لهم فلا بد أنهم ممن استحقوا الوقوع في النار وإلا لما أغنت عنهم شفاعة الأنبياء شيئا، فالشفاعة أفادتهم في النجاة من الوقوع في النار بعد أن استحقوا بذنوبهم<sup>(8)</sup>.

هذا وقد استدلل الإمام ابن كثير على ثبوت هذا النوع من الشفاعة بحديثين، نذكر منهما، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينصب الأنبياء يوم القيامة منابر من ذهب، فيجلسون عليها قال: ويقي منبري لا أجلس عليه، قائما بين يدي الله عز وجل منتصبا بأمتي، مخافة أن يبعث بي إلى الجنة ويقي أمتي بعدي، فأقول: ويا رب عجل حسابهم، فيدعو بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله تعالى، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، وما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث

(1) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج11، ص428.

(2) - علي بن عبد الكافي السبكي: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص449.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج3، ص35.

(4) - المصدر نفسه، ص35.

(5) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة"، رقم7437، ج9، ص128.

(6) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم183، ج1، ص167.

(7) - علي بن عبد الكافي السبكي: المصدر السابق، ص450.

(8) - محمد أحمد محمود: الشفاعة في ضوء القرآن الكريم، ص82.



الله بهم إلى النار، حتى أن حالكا خازن جهنم ليقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك على أمتك من نقمة»<sup>(1)</sup>.

أما من توقف في هذا النوع من الشفاعة ابن القيم، حيث قال: «هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه»<sup>(2)</sup>.

ولعل التوقف في مسألة شمول الشفاعة من استحق النار ألا يدخلها وعدم الجزم بوقوع ذلك هو الأولى، وذلك لعدم ثبوت الأحاديث الصريحة فيها، إذ لا بد من دليل صحيح لإثبات هذا النوع من أنواع الشفاعة، أما الأحاديث التي استدلت بها من أثبتها فهي عامة<sup>(3)</sup>.

### النوع الخامس: الشفاعة في إخراج المذنبين من النار بعد أن دخلوها

يعد هذا النوع من أشهر أنواع الشفاعات بعد الشفاعة العظمى، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإخراج من دخل النار من المذنبين، بشفاعة نبينا ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة والمؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله ولا يبقى في النار إلا الكافرون<sup>(4)</sup>، وقد أجمع أهل السنة من السلف والخلف على إثبات هذا النوع من الشفاعة، وهو ما نقله الإمام النووي عن القاضي عياض أنه قال: «وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنب المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم أهل السنة عليها»<sup>(5)</sup>.

كما نقل الباقلاني إجماع أهل السنة والجماعة على صحة شفاعته ﷺ لأهل الكبائر فقال: «إعلم أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة الشفاعة منه ﷺ لأهل الكبائر من هذه الأمة»<sup>(6)</sup>.

كما نقل الرازي إجماع الأمة في شفاعته النبي ﷺ لأهل الكبائر من الذنوب بقوله: «أجمعت الأمة على أن لمحمد ﷺ شفاعة الآخرة، وحمل ذلك قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾»<sup>(7)</sup>.

(1) - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج10، ص385.

(2) - محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: تهذيب السنن، تحقيق اسماعيل بن غازي مرجبا، ط1، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر، 1428هـ-2007م)، ص2269-2270.

(3) - ناصر الجديع: الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، ص59.

(4) - علي بن عبد الكافي السبكي: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص450.

(5) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج3، ص35.

(6) - أبو بكر الباقلاني: الإنصاف، ص162.

(7) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج3، ص59.

كما دلت الأحاديث على وقوع هذا النوع من الشفاعة منها ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم - فأما تم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في جميل السيل، فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية»<sup>(1)</sup>.

وما أخرجه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة يُسمون الجهنميين»<sup>(2)</sup>، والأحاديث الواردة في هذا الشأن كثيرة، تفيد بأن الكفار هم المستحقون للخلود في النار، أما المذنبين من المؤمنين فيدخلون النار ويكون عذابهم فيها على قدر ذنوبهم، ثم يخرجون من النار إلى الجنة<sup>(3)</sup>.

أما إخراجهم من النار فيكون بحسب أعمالهم في كل مرحلة من مراحل الشفاعة، وهذا فيه دلالة على تفضل درجات المخرجين في الأعمال الصالحة<sup>(4)</sup>، كما هو من حديث أنس: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة خير»<sup>(5)</sup>.

فالإخراج يكون إذن بعد أن يُعذبوا في النار المدة التي يحددها الله ﻋﻠﻴﻬﻰ، فكيف يُعرفون إذن إن احترقوا في النار بعد إخراجهم منها، هذا ما وضعه ابن حجر فيما قاله القاضي عياض: «أن عذاب المؤمنين مخالف لعذاب الكفار، وأن النار لا تأتي على جميع أعضائهم، إما إكراماً لموضع السجود وعظم مكائبتهم من الخضوع لله تعالى، أو إكرام تلك الصورة التي خلق آدم والبشر عليها وفضلوا بها على سائر الخلق»<sup>(6)</sup>. فالمراد من أن الوجه كله لا تؤثر فيه النار إكراماً لمحل السجود ولكي تعرفهم الملائكة والشفعاء عن غيرهم<sup>(7)</sup>، لما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «إذهبوا فأخرجوا من عرفتم»<sup>(8)</sup>.

(1) - سبق تخريجه، ص 163

(2) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم 6566، ج 3، ص 224.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 38.

(4) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 437.

(5) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم 44، ج 1، ص 17.

(6) - أحمد ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج 11، ص 456.

(7) - عبد القادر مصطفى الحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص 97.

(8) - رواه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، حديث رقم 4951، ج 2، ص 271.

ورغم ثبوت هذه الشفاعة بأحاديث كثيرة إلا أنها عرفت اختلافات كبيرة في شأنها من حيث إخراج المذنبين المستحقين للنار بعد دخولها، فما أثبتته أهل السنة والجماعة قد أنكرته المعتزلة والخوارج، وقد تطرقنا لهذا بالتفصيل فيما سبق.

هؤلاء الذين يخرجهم الله من النار هم عتقاء الرحمان الذين أدخلهم إلى جناته بغير عمل عملوه، ويخرج هؤلاء «كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم...»<sup>(1)</sup>، ويُسمون أيضا بالجهنميين لما ورد من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد، فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين»<sup>(2)</sup>.

### النوع السادس: الشفاعة في رفع الدرجات لأهل الجنة:

هذا النوع من الشفاعة موضع اتفاق بين أهل السنة والمعتزلة، قال الإمام تقي الدين السبكي: «الشفاعة الخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ذكرها القاضي عياض وغيره، ولا ينكرها المعتزلة أيضا»<sup>(3)</sup>، وقال الإمام ابن تيمية: «وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين»<sup>(4)</sup>.

لقد ذكر هذا النوع من الشفاعة كل من النووي<sup>(5)</sup>، وابن حجر<sup>(6)</sup>، والقرطبي<sup>(7)</sup>، وغيرهم، ويستدل على حصول هذا النوع من الشفاعة بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تتبعا»<sup>(8)</sup>.

فذكر ابن حجر وجه الدلالة من هذا الحديث أنه جعل الجنة ظرفا لشفاعته، غير أنه لم يذهب إلى القول به، بل قال بعد ذلك: «فيه نظر لأنها ظرف في شفاعته الأولى المختصة به، والذي يطلب هنا أن

(1) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم 306، ج 1، ص 22.

(2) - سبق تخريجه، ص 197.

(3) - علي بن عبد الكافي السبكي: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص 452.

(4) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 1، ص 148-149.

(5) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 36.

(6) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 428.

(7) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى، ص 608.

(8) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع في الجنة، رقم 196، ج 1، ص 188.

يشفع لمن لم يبلغ عمله درجة عالية أن يبلغها بشفاعته»<sup>(1)</sup>.

كما استدل ابن كثير<sup>(2)</sup> على هذا النوع من الشفاعة، بما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري<sup>(3)</sup>، وفيه أن رسول الله ﷺ بعث عمه أبا عامر<sup>(4)</sup> على جيش إلى أوطاس، فزمي أبو عامر بسهم في ركبته فقال لأبي موسى: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال: استعلمني أبو عامر على الناس، ومكث يسيرا ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال قل له: يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر»، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس»، فقلت ولي يا رسول الله، فاستغفر، فقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما»<sup>(3)</sup>، وما جاء في صحيح مسلم من حديث أم سلمة<sup>(5)</sup> أن النبي دعا لأبي سلمة لما توفي فقال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»<sup>(4)</sup>.

ومما يدل على هذا النوع من الشفاعة، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا آَلَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(5)</sup>، فالله عز وجل يخبر في هذه الآية عن فضله وكرمه بخلقه؛ بأن المؤمنين الذين اتبعتهم ذريتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة وإن لم يبلغهم عملهم تلك المنزلة فيرفع بذلك درجتهم حتى يلتحقوا بمنزلة آبائهم في الجنة لتقر عين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم<sup>(6)</sup>. فيرفع الله درجة الآباء ببركة الأبناء، كما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة<sup>(7)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أتى لي هذا؟ فيقول: باستغفار

(1) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 11، ص 428.

(2) - محمد ابن كثير: البداية والنهاية، ج 17، ص 391-392.

(3) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، رقم 4323، ج 5، ص 155. ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل الصحابة، باب فضائل أبي موسى وأبي عامر، رقم 2498، ج 4، ص 1943.

(4) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له، رقم 920، ج 1، ص 178.

(5) - سورة الطور، الآية 21.

(6) - محمد ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 246.

ولذلك لك»<sup>(1)</sup>، فهذا الاستغفار أو الدعاء هو من الأعمال التي تنفع المؤمن بعد موته ويرفع به درجاته في الجنة يوم القيامة؛ لما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به وولد صالح يدعو له»<sup>(2)</sup>.

### النوع السابع: شفاععة النبي ﷺ في التخفيف لبعض الكفار

هذه الشفاععة خاصة لعن النبي ﷺ أبي طالب وهي ليست في إخراجهم من النار بل هي في تخفيف العذاب عنه؛ ودليل ذلك ما جاء عن ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه يحوطك ويغضب لك؟، قال: «نعم هو في ضحضاح»<sup>(3)</sup> من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»<sup>(4)</sup>.

وما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله

تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»<sup>(5)</sup>.

وهناك من خالف في ثبوت هذه الشفاععة، مستدلين بأن هذه الأحاديث التي وردت تنافي ما جاء في القرآن من الآيات النافية للشفاعة عن الكافر<sup>(6)</sup>، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(7)</sup>، فقد رد الإمام القرطبي على ذلك بأن الشفاععة لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع المذنبين من عصاة الموحدين، الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة<sup>(8)</sup>.

فالشفاعة تنفع في تخفيف العذاب لا في رفعه، كما ذكر الإمام ابن تيمية، بأن الكفار يتفاضلون في الكفر كما يتفاضل أهل الإيمان، فإذا كان من الكفار من خف كفره بسبب نصرتهم، فإنه تنفعه

(1) - سبق تخريجه، ص 178.

(2) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم 1631، ج 3، ص 125.

(3) - ضحضاح: أصله ماء رق، من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير هنا للنار، أنظر، محمد يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص 230.

(4) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، رقم 6208، ج 8، ص 46، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاععة النبي ﷺ، رقم 209، ج 1، ص 194.

(5) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم 3885، ج 5، ص 52. ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب شفاععة النبي ﷺ لأبي طالب واللفظ لمسلم، رقم 210، ج 1، ص 195.

(6) - سلطان الحراصي: الشفاععة الأخروية، ص 106.

(7) - سورة المدثر، الآية 48.

(8) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى، ص 608.

شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب عنه بالكلية كما هو الشأن في شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب<sup>(1)</sup>.

هذا وذكر الإمام البيهقي بأن عدم انتفاع الكفار بالشفاعة عام في حق كل كافر، غير أنه خص منه أبو طالب، ولهذا تعد هذه الشفاعة من الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ<sup>(2)</sup>.

وبصفة عامة فإن أبا طالب من الكافرين الذين حكم عليهم الله تعالى بالنار في الآخرة وحتى الاستغفار لهم في الدنيا لا ينفعهم حيث قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا جَحِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>، وتخفيف العذاب عن أبي طالب ببركة النبي ﷺ وهي خصوصية لا ترقى إلى مرتبة الشفاعة، خاصة وأن النار دركات كما أن الجنة درجات، وهو مع ذلك لا يرى أحداً أشد عذاباً منه لأن اشتغاله بما هو فيه لا يحس بالتخفيف إذ أن عذاب جهنم قليله وكثيره لا يحتمل<sup>(4)</sup>.

مما تقدم نخلص إلى أن شفاعة الرسول ﷺ أساس الشفاعة في الإسلام؛ وقد تعددت بتعدد المشفوع لهم، حيث خص بالشفاعة العظمى لأهل الموقف دون غيره من الأنبياء لتعجيل الحساب وإراحتهم من هول الموقف، وكذلك الشفاعة بفتح أبواب الجنة ودخول من لا حساب عليهم، والشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم أصحاب الأعراف، والشفاعة أيضاً فيمن استوجبوا النار بأن لا يدخلوها، غير أنها من الشفاعات التي لا يمكن الجزم بها، لأنه لم يرد دليل على إثباتها، والشفاعة في إخراج المذنبين من النار وهم أهل الكبائر لأنهم من الموحدين، غير أن هذا الإخراج يكون بعد تعذيبهم المدة التي يحددها الله، وهؤلاء من يسمون بعقلاء الرحمان، والشفاعة أيضاً في رفع درجات أهل الجنة، وأخيراً الشفاعة في تخفيف عذاب عمه أبي طالب في النار لا في إخراجها منها.

إن ثبوت شفاعة نبينا الكريم لا يعني اتصافها بالإلزامية، كما هو الحال عند المسيحيين في شفاعة المسيح، التي اكتسبت هذه الصفة من خلال قيامه بعملية التكفير التي قام بها على الأرض، فشفاعته ﷺ لا تكون إلا بعد إذنه تعالى، لأنها من باب التشريف لا الإلزام، لأن القول بذلك يوقع الإنسان في الشرك،

(1) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوي، ج 1، ص 144.

(2) - أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي: البعث والنشور، ص 61.

(3) - سورة التوبة، الآية 113.

(4) - سلطان الحراصي: الشفاعة الأخروية، ص 108.

كما أن شفاعة الرسول ﷺ تكون يوم الآخرة، أما شفاعة المسيح فتكون في الدنيا وإن كانت آثار الانتفاع بها يوم الآخرة.

بعدها تناولنا شفاعة الأنبياء، نأتي في العنصر الموالي لبحث شفاعة الملائكة كثاني أنواع الشفاعات المتعلقة بالأشخاص.

### ثانيا: شفاعة الملائكة.

الملائكة بِالْحَمْدِ من الشفعاء الذين ثبتت شفاعتهم الملائكة؛ فهذا النوع من الشفاعات ثبت بالأدلة الصحيحة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

يقول تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (1).

وقوله تعالى أيضا: ﴿الَّذِينَ سَحْمُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (2).

فهذه الآيات تثبت شفاعة الملائكة في المذنبين وذلك بعد إذن الله عز وجل ورضاه، كما أخبر تعالى عن استغفارهم ودعائهم واستشفاعهم للمؤمنين وذريتهم من بعدهم، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «ويستغفرون للذين آمنوا»: «من أهل الأرض ممن آمن بالغيب فقبض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب» (3).

إن من رحمة الله تعالى وكمال لطفه بعباده المؤمنين أن قيض لهم من الأسباب الخارجة عن قدرتهم من استغفار الملائكة ودعائهم لهم، إذ خص هذا الاستغفار بالمؤمنين دون غيرهم، لأن المؤمن بإيمانه تسبب في حصوله على هذا الفضل العظيم (4).

(1) - سورة النجم، الآية 26.

(2) - سورة غافر، الآية 07.

(3) - محمد ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 72.

(4) - عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 732.

كذلك الشأن بالنسبة للمسيحية التي يعتقد أتباعها في شفاعة الملائكة لهم بالاستغفار وحمل طلباتهم وصلواتهم إلى المسيح الجالس على العرش يمين الرب، فالملائكة في اعتقادهم أرواح مرسله لخدمتهم لأجل أن يرثوا الخلاص، ويتم ذلك عن طريق إعانتهم وطلب الغفران لهم، وما الشفاعة هنا إلا أنها صورة من صور الدعاء في الحياة الدنيا سواء في المسيحية أو في الإسلام، غير أن الإسلام يزيد على المسيحية في ثبوت شفاعة الملائكة في اليوم الآخر بعد إذنه تعالى.

كما ثبتت شفاعة الملائكة بالأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «...شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون...»<sup>(1)</sup>.

وما جاء أيضاً عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتقاع بهم جنبه الصراط تقاع الفراش في النار، قال: فينجي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء، قال: ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون...»<sup>(2)</sup>.

فهذه النصوص تفيد بأن شفاعة الملائكة، تكون في إخراج عصاة المؤمنين من النار، وهو ما أكده الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الآية السابقة الذكر بقوله: «الاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة لا تذكر إلا في إسقاط العقاب، أما طلب النفع الزائد فإنه لا يسمى استغفاراً، وهذا يدل على أنهم يستغفرون لكل أهل الإيمان، فإذا دللنا على أن صاحب الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة»<sup>(3)</sup>.

مما تقدم يتبين أن شفاعة الملائكة في الإسلام تكون بطلب الاستغفار للمؤمنين يوم القيامة أما في المسيحية فشفاعة الملائكة تكون في الحياة الدنيا لا الآخرة وتكون بخدمة المسيحيين وإعانتهم بإيصال طلباتهم وصلواتهم إلى المسيح.

بعدما عرفنا شفاعة الملائكة نأتي الآن لدراسة شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي من البحث.

(1) - سبق تخريجه، ص 180.

(2) - رواه أحمد في مسنده: مسند البصريين، حديث أبي بكر نفع بن الحارث، رقم 20440، ج 34، ص 90.

(3) - محمد بن عمر فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 27، ص 35.



### ثالثا: شفاعة المؤمنين

هي من الشفاعات الثابتة، حيث يشفع المؤمنون لبعضهم يوم القيامة، ومن الأدلة على ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «...حتى إذا خُصَّ المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدَّ مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار نصف ساقيه، وإلى ركبتيه ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به، ثم يقول: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا، ثم يقول: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا، وكان لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث، فافرقوا إن شئتم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(1)</sup>، فيقول: «شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين»<sup>(2)</sup>.

فالمؤمنون يوم القيامة يشفعون لإخوانهم أصحاب الكبائر الذين دخلوا النار، ويطلبون الشفاعة في إخوانهم الذين كانوا قد عملوا خيرا غير أن معاصيهم أدخلتهم النار فيشققهم الله تعالى فيهم، وقد ذكر القاضي عياض بأن المعنى الصحيح لمعنى الخير في الحديث هو ما زاد عن مجرد الإيمان من الأعمال الصالحة أو حتى الذكر الخفي أو أعمال القلب كالشفقة على المساكين أو الخوف من الله عز وجل وغيرها من الأعمال التي كانت سببا في شفاعة إخوانهم المؤمنين لهم<sup>(3)</sup>.

إن شفاعة المؤمنين لأصحاب الكبائر محددة بمن عرفوا وليس لمن أرادوا، لأن الله عز وجل يوم القيامة يبقى الذين أراد لهم الخروج من النار دارات وجوههم سليمة من التشوه بالنار حتى يتعرف الشافعون

(1) - سورة النساء، الآية 40.

(2) - سبق تخريجه واللفظ لمسلم، ص 180.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 31.

عليها<sup>(1)</sup>، حيث أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً: «أن قوما يخرجون من النار يَحْتَرِقُونَ فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة»<sup>(2)</sup>.

وشفاعة المؤمن قد تكون لواحد كما أنها قد تكون لجماعة، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمتي من يشفع للفئام»<sup>(3)</sup>، ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخل الجنة»<sup>(4)</sup>.

كما يستدل أيضاً على هذه الشفاعة بما روي عن عبد الله بن أبي الجدعاء أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم قالوا: يا رسول الله سواك؟ قال: سواي»<sup>(5)</sup> غير أن مقام الشفاعة ليس للمؤمنين جميعهم بل هو لخاصتهم، وهذه الخاصية لا تتأتى إلا بالإيمان والتقوى فكلما كان المؤمن أكثر تُقَى كان أحرى بالشفاعة لإخوانه المؤمنين.

فالرضا الإلهي عن الشافع أحد الشروط الهامة حتى يشفع لغيره كما سبق أن بيناه في شروط الشفاعة؛ وهذا الرضا لا يتحقق إلا بالطاعات والقرب من الله ﷻ؛ لأن الشفاعة درجات وكل حسب ورعه وتقواه، وهؤلاء الشافعون قد يكونون من الصحابة أو التابعين أو علماء المسلمين أو الصالحين لمقام الشفاعة الرفيع، وهو ما يؤكد قول المناوي<sup>(6)</sup> في فيض القدير: «والشفاعة درجات، فكل صنف من الأنبياء والأولياء وأهل الدين كالعابدين والورعين والزهاد والعلماء يأخذ حظه منها حياله، لكن شفاعة محمد لا تنسيه شفاعة غيره...»<sup>(7)</sup>.

هذا عن شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض يوم القيامة، وهناك وجه آخر لهذه الشفاعة وهي صلاة المؤمنين على الميت، حيث تذكر الأحاديث أنه إذا بلغ المصلون مائة وفي روايات أربعون فإنهم يشفعون

(1) - عبد القادر مصطفى الحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص 107.

(2) - رواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم 191، ج 1، ص 178.

(3) - الفئام: الجماعة الكثيرة، أنظر، علي بن محمد ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص 689.

(4) - رواه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ماجاء في الشفاعة، رقم 2440، ج 4، ص 627، وقال حديث حسن صحيح.

(5) - رواه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة، وقال حديث حسن صحيح غريب، ورواه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم 4316، ج 2، ص 1443. قال الألباني صحيح.

(6) - محمد المناوي (1545-1622م): عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين المناوي، من كبار العلماء بالدين، عاش بالقاهرة وتوفي بها، أنظر خير الدين الزركلي: الأعلام، ج 6، ص 204.

(7) - محمد المناوي: فيض القدير، ط 2، (بيروت: دار المعرفة، 1391هـ-1982م)، ج 4، ص 162.

له<sup>(1)</sup>، لما روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يموت أحد من المسلمين فيصلني عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة مما فوقها فيشفعوا له إلا شفّعوا فيه»<sup>(2)</sup>، وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه»<sup>(3)</sup>.

فهذه الشفاعة وإن كانت من حيث الشفعاء دنيوية إلا أنها من حيث المشفوع لهم فهي أخروية مع شرط أن يكون المصلون من أهل التوحيد<sup>(4)</sup>.

وفي هذا تشابه بين صلاة المسلمين على الميت وصلاة الترحيم عند المسيحيين، التي تعد هي أيضاً من الصلوات الشفعية والتي تكون بالدعاء للميت بالمغفرة، وذلك بالنسبة للخطايا غير المميتة، وبالتالي تكون للنفوس والسهوات باعتبار أن الإنسان حتى وإن كان يسير في طريق الله فهو لا تخلو حياته من الذنوب الصغيرة، فالشفاعة هنا تأتي بمعنى دعاء المؤمن لأخيه المؤمن سواء في المسيحية أو الإسلام. إن شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض في الحياة الدنيا، لا تقتصر على الدعاء للميت، بل تكون أيضاً في دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وهي من باب الشفاعات الحسنة، وقد تطرقنا لهذا عند بيان الشفاعات الدنيوية، وفي هذا تشابه بين الإسلام والمسيحية، إذ تعد من الشفاعات التي يعتقد فيها المسيحيون، وهي ما يعرف عندهم بصلاة الأحياء لأجل الأحياء، والتي تندرج ضمن شفاعات القديسين، وتقوم هذه الشفاعة على أساس الصلاة بعضهم لأجل بعض، وإن كان المسيحيون يعتقدون فيهم القداسة التي تتنافى وأصلهم البشري، كما ينسبون إليهم علم الغيب، وهذا يتنافى مع ما جاء في الإسلام، لأن شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض هي من باب الدعاء بالمغفرة في الحياة الدنيا والآخرة فحسب لا تخرج الإنسان من حدوده البشرية.

على هذا الأساس يتبين لنا بأن شفاعة المؤمنين يوم القيامة من الشفاعات الثابتة في الإسلام ولا يمكن للإنسان بلوغ هذه المرتبة إلا بالأعمال الصالحة والزيادة في الطاعات وفي هذا حث على ربط العبد

(1) - عبد القادر مصطفى الحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص 108.

(2) - رواد مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفّعوا فيه، رقم 947، ج 2، ص 654 ولكن بلفظ آخر "ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين..."، رواد النسائي في السنن الكبرى: كتاب الجنائز، فضل من صلى عليه مائة، رقم 2130، ج 2، ص 450.

(3) - رواد مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون، رقم 948، ج 2، ص 655. بلفظ "ما من رجل مسلم...".

(4) - عبد القادر مصطفى الحمدي: المرجع السابق، ص 108.

بربه والتقرب منه والابتعاد عن المعاصي مما يؤدي إلى صلاح الفرد الذي يترتب عليه صلاح المجتمع. بعدما تناولنا شفاعة المؤمنين كإحدى أنواع الشفاعة المتعلقة بالأشخاص نأتي في العنصر التالي لدراسة شفاعة الشهداء.

#### رابعا: شفاعة الشهداء.

للشهداء مكانة رفيعة يوم القيامة، فقد ذكرهم الله عز وجل في القرآن الكريم مع النبيين بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾<sup>(1)</sup>. ولأجل هذه المكانة جعل الله لهم الشفاعة يوم القيامة، والتي دلت على ثبوتها أحاديث النبي ﷺ نذكر منها:

- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاث: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»<sup>(2)</sup>.

- ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»<sup>(3)</sup>، والمراد بالسبعين في الحديث الكثير، وفيه أن الإحسان إلى الأقارب أفضل من الأجانب. وما يدل أيضا على شفاعة الشهداء، ما روي عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «...ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون...»<sup>(4)</sup>.

وعليه نقول بأن الشهداء أيضا يشفعون لأقاربهم يوم القيامة في الإسلام، وهي من باب الإحسان، وهذا النوع من الشفاعة يشترك فيه كل من المسيحيين والمسلمين، وذلك من حيث التسمية لا أكثر، لأن شفاعتهم في الإسلام تكون يوم القيامة، أما في المسيحية فشفاعتهم تكون في الدنيا لا الآخرة، وذلك بذهابهم إلى قبورهم وطلب الشفاعة منهم، وهي حسب اعتقادهم من باب الإكرام على ما قدموه من تضحيات.

(1) - سورة النساء، الآية 69.

(2) - رواه ابن ماجة في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم 4313، ج2، ص1443. قال عبد الباقي ضعيف، والألباني موضوع.

(3) - رواه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع، رقم 2522، ج4، ص176. قال حديث صحيح لغيره.

(4) - رواه أحمد في مسنده، حديث رقم 20457، ج5، ص43.

بالإضافة إلى شفاعة الشهداء هناك أيضا شفاعة العلماء، وهذا ما سنتطرق له في العنصر التالي من البحث.

#### خامسا: شفاعة العلماء

إن العلماء لهم مكانة عظيمة من بين سائر الناس، فهم ورثة الأنبياء كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ: «.....» وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وأورثوا العلم، فمن أخذه؛ أخذ بحظ وافر»<sup>(1)</sup>.

ونظرا لعظم قدرهم في الدنيا، فقد أكرمهم الله ﷻ بمقام الشفاعة للمؤمنين يوم القيامة، ومن الأدلة على ثبوت شفاعة العلماء؛ ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاث الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»<sup>(2)</sup>.

وما روي أيضا عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بالعالم العابد، فيقال للعابد ادخل الجنة، ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس»<sup>(3)</sup>، وتبقى شفاعة العلماء كغيرها من الشفاعات بعد إذنه تعالى لهم بالشفاعة.

بعد حديثنا عن شفاعة العلماء التي تكون من باب الإكرام، فهي أيضا تدعو المؤمنين وتحثهم على العلم الذي به تتقدم الأمم والحضارات، نأتي في العنصر الموالي لنتناول شفاعة الأولاد كآخر نوع من الشفاعات المتعلقة بالأشخاص.

#### سادسا: شفاعة الأولاد.

تتمثل شفاعة الأولاد يوم القيامة في الشفاعة لإدخال آبائهم إلى الجنة، ودليل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله وإياهم بفضل رحمته الجنة، وقال: يقال لهم ادخلوا الجنة، قال: فيقولون حتى يجيء أبوانا، قال ثلاث

(1) - رواه ابن ماجه في سننه: إفتتاح الكتاب بالإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم 223، ج1، ص81. قال الألباني صحيح.

(2) - سبق تخريجه، ص 207

(3) - عبد العظيم المنذري: الترغيب والترهيب، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر، 1424هـ)، كتاب العلم، الترغيب في العلم وطلبه، رقم 133، ج1، ص80.

مرات، فيقولون مثل ذلك، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»<sup>(1)</sup>.  
وما روي أيضا عن أبي حسان قال: قلت يا أبا هريرة: إنه قد مات لي إبنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم «صغارهم دعاميص»<sup>(2)</sup> الجنة يتلقى أحدهم أباه -أو قال أبويه- فيأخذ بثوبه -أو قال بيده- حتى آخذ أنا بصنفة<sup>(3)</sup> ثوبك هذا فلا يتناهى -أو قال فلا ينتهي- حتى يدخله الله وأباه الجنة»<sup>(4)</sup>.

وما روي أيضا عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»<sup>(5)</sup>.

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث أنها تثبت الشفاعة في الصبر على مصيبة موت الولد، وأن هؤلاء الأولاد يوم القيامة يكونون مانعا من دخولهم آبائهم إلى النار ويشفعون لهم حتى يدخلوا الجنة معهم<sup>(6)</sup>.

غير أن هذه الشفاعة كغيرها من الشفاعات الأخرى يشترط فيها الإسلام وكذلك الاحتساب والصبر على موت الولد، فلا بد أن لا يجزع الإنسان ويعترض على قضاء الله وحكمه<sup>(7)</sup>، لقوله ﷺ للمرأة التي وجدها تبكي عند قبر ابنها: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»<sup>(8)</sup>.

لقد خصت هذه الشفاعة بالصغير لعدم حصول الإثم منهم، وعليه تكون الرحمة لهم أكثر من غيرهم<sup>(9)</sup>. فالصبر على موت الولد مع الاحتساب، ثوابه عند الله يوم القيامة الشفاعة للوالدين بدخولهما الجنة، وذلك من فضل الله ورحمته تعالى بعباده.

(1) - رواه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم 10622، ج 16، ص 364، صحيح على شرط الشيخين.

(2) - الدعاميص: جمع ديموص أي صغار أهلها، وأصل الديموص: دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها، أنظر، يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 16، ص 182.

(3) - صنفة ثوبك: أي طرفه، أنظر، يحيى بن شرف النووي: المصدر السابق، ص 182.

(4) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم 2635، ج 4، ص 2029.

(5) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم 1248، ج 2، ص 73.

(6) - يحيى بن شرف النووي: المصدر السابق، ج 16، ص 183.

(7) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 3، ص 119.

(8) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، رقم 1283، ج 2، ص 79، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز،

باب في الصبر على المصيبة، رقم 926، ج 2، ص 637، بلفظ: "إنما الصبر عند أول الصدمة".

(9) - أحمد ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج 3، ص 120.

مما سبق يتبين لنا أن الشفاعة المتعلقة بالأشخاص، تتمثل في شفاعة الأنبياء والملائكة عليهم السلام، وكذلك شفاعة غير الأنبياء، كشفاعة المؤمنين وشفاعة الشهداء والعلماء وأخيراً شفاعة أولاد المؤمنين، وكل هذه الشفاعات يوم القيامة لا يتم حصولها إلا بإذن الله عز وجل ورضاه. بعدما تعرفنا على الأشخاص الذين يشفعون يوم القيامة، نأتي في العنصر الموالي لمعرفة الأعمال التي ينال بها المؤمن شفاعتها في اليوم الآخر.

### المطلب الثاني: الشفاعة المتعلقة بالعبادات.

إن الغاية التي خلق الله عز وجل الإنسان من أجلها هي العبادة لقوله في محكم تنزيله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(1)</sup>، ولقد شرع له من العبادات المتنوعة اليومية منها والسنوية ليصل بها إلى أصفى درجات النقاء الروحي، فهي تطهر نفسه وتنقي قلبه، لتصل به في النهاية إلى التقوى<sup>(2)</sup>، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(3)</sup>. فكلما ارتقى المؤمن في سلم العبادات والطاعات كلما زاد قربيه من الله عز وجل وزادت مكانته عند خالقه، وبهذه العبادات ينال المغفرة والرزق الكريم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(4)</sup> الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥﴾. والفائدة من هذه العبادات لا تعد ولا تحصى في الدنيا والآخرة، ومن هذه الفوائد شفاعة هذه الأعمال لصاحبها يوم القيامة، ومن هذه العبادات:

### أولاً: شفاعة الصيام.

الصيام من العبادات التي شرفها الله، بأن خصّها إليه من دون سائر الأعمال الأخرى، بقوله في

(1) - سورة الذاريات، الآية 56.

(2) - سلطان الحراصي: الشفاعة الأخروية، ص 30.

(3) - سورة البقرة، الآية 21.

(4) - سورة الأنفال، الآية 2-4.

الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»<sup>(1)</sup>.

لقد نالت عبادة الصيام هذه المكانة الرفيعة لأنها من العبادات السرية التي لا يدخلها الرياء، ولا أحد يطلع عليه بمجرد نسبة الفعل إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، كما أن الجزاء يتولاه الله عز وجل، بيان منه لعظم فضله وكثرة ثوابه، لأن الله يجازي عليه بغير تقدير<sup>(2)</sup>.

فالصائم في حال صومه يمتنع عن الشهوات وعن كل المحرمات لأجل الله سبحانه، وهذه العبادة من أهم العبادات التي تعلم الإنسان الصبر، لهذا وصف الله تعالى الصائمين بالصابرين في قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَوِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(3)</sup>، والصابرون هم الصائمون في أكثر الأقوال، كما ذكر ذلك ابن حجر<sup>(4)</sup>.

يقول ابن رجب الحنبلي<sup>(5)</sup> رحمه الله: «يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله ﷻ أضعافا كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر... والصبر ثلاثة أنواع؛ صبر على طاعة الله، وصبر على ما حرم الله، وصبر على الأقدار المؤلمة، وتجتمع الثلاثة في الصوم، فإن فيه صبرا على طاعة الله وصبرا على ما حرم الله على الصائم من شهوات، وصبرا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناجم عن أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه وخصوصا ألم الصيام لأنه من الصبر»<sup>(6)</sup>.

ومما يدل أيضا على شفاعة الصيام يوم القيامة، ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتني الطعام والشهوات بالنهار

(1) - رواه مسلم في صحيحه، باب فضل الصيام، رقم 1151، ج 2، ص 806.

(2) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 8، ص 29.

(3) - سورة الزمر، الآية 10.

(4) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 4، ص 108.

(5) - ابن رجب الحنبلي (1335-1393م): أبو الفرج عبد الرحمان بن أحمد، ابن رجب، محدث ومؤرخ عربي، ولد في بغداد وتوفي في دمشق، كان حنفي المذهب، أنظر، منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، ط 1، (بيروت: دار العلم للملايين، 1992م)، ص 24.

(6) - عبد الرحمان بن أحمد ابن رجب الحنبلي: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تحقيق: محمد ياسين السواس، ط 5، (بيروت: دار ابن كثير، (1420هـ-1999م))، ص 283، 284.



فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعه النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان»<sup>(1)</sup>.  
 أما عن كيفية شفاعة الصيام يوم القيامة، فقد ذكر القرطبي في التذكرة بأنه تعالى يخلق من ثواب الصيام ملك يشفع للصائم يوم القيامة، حيث يقول: «وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين فيشفعان له، وكذلك إن شاء سائر الأعمال الصالحة»<sup>(2)</sup>.  
 فكما أن الصوم سترة للمؤمن من الوقوع في المحرمات في الدنيا، كذلك ساتر له من النار يوم القيامة، إذ يقف الصوم بين يدي الله ﷻ يشفع لصاحبه حتى يدخله الجنة من باب يدخل منه الصائمون يقال له الريان<sup>(3)</sup>، فقد روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون، فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد»<sup>(4)</sup>.  
 وهذا الجزاء الأخروي العظيم من الله تعالى لعباده المؤمنين، إنما هو إبراز لفضيلة الصيام وكرامة الصائمين<sup>(5)</sup>. ومن الأعمال التي تشفع للمؤمن أيضا قراءة القرآن.

### ثانيا: شفاعة القرآن.

يعد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية المنزلة على أنبيائه عليهم السلام، ولقد تعهد الله بحفظه من التحريف دون سائر الكتب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(6)</sup>.  
 فمن أسباب هذا الحفظ لهذا الكتاب العظيم، أن سخر له صدور المؤمنين تحفظه، فكان بذلك الإنسان -المسلم- من أسباب هذا الحفظ، والإنسان بطبعه مجبول على المحسوسات والمرغبات فكان لا بد من ترغيبه في حفظ القرآن الكريم وتلاوته، وهكذا وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ بأن القرآن الكريم

(1) - رواه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر بن العاص، رقم 6626، ج 11، ص 199، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(2) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى، ص 789.

(3) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 8، ص 30-31.

(4) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم 1152، ج 2، ص 808. ورواه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم 1896، ج 3، ص 25.

(5) - يحيى بن شرف النووي: المصدر السابق، ج 8، ص 32.

(6) - سورة الحجر، الآية 09.

يكون شافعاً لصاحبه يوم القيامة<sup>(1)</sup>، ومن الاستحقاقات التي يستحق بها المؤمن هذه الشفاعة، هي قراءة القرآن الكريم والمحافظة عليه والاستمرارية فيه حتى يكون ممن تشمله الآية: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(2)</sup>.

إن الوقوع في جفاء القرآن وهجرانه يؤدي إلى خراب الروح والبدن، بل إن الأوراد القرآنية لها من الفيوضات الروحية على مستوى اليوم والليلة والآثار الإيجابية العظيمة على الإنسان ومحيطه<sup>(3)</sup>، حيث يبعث الطمأنينة والسكينة في الفرد خاصة في مجتمع غلبت عليه الماديات والأمراض العصبية باللجوء إلى القرآن يكون الشفاء، لقوله تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(4)</sup>.

هذا عن أثر الاشتغال بالقرآن الكريم في الدنيا فضلاً عن أثره في الآخرة، حيث يجيء شفيعاً له يوم القيامة، ومما يدل على أن القرآن يشفع يوم الحساب، الحديث السابق الذكر؛ أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة... يقول القرآن منعتة النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»<sup>(5)</sup>. وما روي أيضاً عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: القرآن شافع مشفع، وما حل مصدق من جعله أمامه، قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»<sup>(6)</sup>. فالعمل بالقرآن الكريم بتحليل حاله وتحريم حرامه هو ما جعله شفيعاً للإنسان المؤمن يوم القيامة، لما روي عن معقل بن سيار رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله وحرّموا حرامه، واقتدوا به، ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي الأمر من بعدي، كما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والانجيل والزيور، وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القرآن و ما فيه من البيان فإنه الشافع المشفع وما حل مصدق، ألا ولكل آية نور يوم القيامة وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول

(1) - عبد القادر مصطفى الحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص 138.

(2) - سورة الفرقان، الآية 30.

(3) - عبد القادر السامرائي: شفاعة القرآن وعودة بركته على المشتغل به في حياته وبعد مماته، ط 1، (دي: دائرة الشؤون الإسلامية، 1432هـ-2011م)، ص 19.

(4) - سورة الإسراء، الآية 82.

(5) - سبق تخريجه، ص 212.

(6) - أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، رقم 124، ج 1، ص 331.

وأعطيت طه وطواسين والحواميم من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش»<sup>(1)</sup>.  
لقد بينت هذه الأحاديث بأن القرآن الكريم يشفع لصاحبه يوم القيامة، غير أنها لم تحدد المكان الذي يشفع فيه عند الصراط أم في الحساب أم في الجنة، وذلك برفع درجاته أم تكون شفاعته في الإخراج من النار؟

غير أن الواضح من حديث عبد الله بن عمر السابق الذكر بأن القرآن يحتاج لصاحبه عند الله عز وجل عند الحساب<sup>(2)</sup>، فقد ورد: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعتني الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعتني النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»<sup>(3)</sup>.  
كما أن شفاعته القرآن أيضا تكون في رفع درجات العبد في الجنة يوم القيامة، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقول له: اقرأ وارتنق وتزداد بكل آية حسنة»<sup>(4)</sup>.

فللقرآن شفاعته الكرامة والرضوان إذ ترفع مكانة المشتغل به في الجنة يوم الآخرة، والمشتغل به هم من أهل القرآن من الحفظة والقراء والعاملون به<sup>(5)</sup>.

فعلى قدر الاشتغال بالقرآن في الدنيا من ترتيل وحفظ يكون الترتيل به في الجنة، لما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(6)</sup>.

كما أن الترتي في درجات الجنة يكون بحسب القراءة في الحياة الدنيا، فقد نقل الإمام المنذري عن الخطابي قوله: «جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة فيقال للقارئ: ارق في الدرج على

(1) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة القرآن، سورة البقرة، ج2، ص197، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب فضائل القرآن، باب فضائل سورة، رأي متفرقة، ج1، ص568.

(2) - عبد القادر مصطفى الحمدي: الشفاعة في الحديث النبوي، ص139.

(3) - سبق تخريجه، ص212.

(4) - رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن الكريم، وما له من أجر، رقم2915، ج5، ص36.

(5) - عبد القادر السامرائي: شفاعته القرآن وعوده بركته على المشتغل به في حياته وبعد مماته، ص28.

(6) - رواه أبو داود في سننه: أبواب فضائل القرآن، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة، رقم1464، ج2، ص592. قال حديث صحيح لغيره وقال الألباني حسن صحيح. ورواه النسائي في سننه الكبرى: كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل، رقم8002، ج7، ص272.

قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»<sup>(1)</sup>.

وقد وردت أحاديث تفيد بشفاعة بعض سور القرآن الكريم لما روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما عمامتان - أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف- تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»<sup>(2)</sup>.

فقد جاء من الأحاديث ما تفيد بأن سورة الملك أيضاً تشفع وتحاجج عنه يوم القيامة، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن سورة من القرآن - ثلاثون آية - شفعت لرجل حتى غفر له: «تبارك الذي بيده الملك»»<sup>(3)</sup>.

فسورة الملك لا تشفع لصاحبها يوم القيامة فحسب بل تشفع له أيضاً في القبر، فقد روي عن عبد الله بن مسعود موقوفاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وطاب»<sup>(4)</sup>.

إن هذه الأحاديث دلت على أن القرآن الكريم سبب من أسباب الشفاعة يوم القيامة، وذلك لمن قرأه وتدبر معانيه وعمل بأوامره ونواهيه، و أما عن كيفية شفاعة القرآن لصاحبه فتكون بمجيء ثواب قارئ القرآن يوم القيامة على هيئة الرجل الشاحب يشفع له، لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجيء القرآن الكريم يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك...»<sup>(5)</sup>.

لقد ذكر القرطبي بأن ثواب القرآن يوم القيامة يأتي على هيئة ملك كريم يشفع لصاحبه يوم القيامة، وهو ما قال به العلماء عند شرح حديث أبي أمامة الباهلي السابق الذكر<sup>(6)</sup>.

(1) - عبد العظيم المنذري: الترغيب والترهيب، رقم 1424، ج2، ص587.

(2) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم804، ويرقم1337.

(3) - رواه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم7975، ج13، ص353.

(4) - رواه النسائي في عمل اليوم والليلة: الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك، رقم710، ج1، ص433.

(5) - رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، رقم3781، ج2، ص1242، قال الألباني ضعيف يحتل التحسين.

(6) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص789.

فقرآءة القرآن وحفظه والعمل به كل ذلك يشفع يوم القيامة، وسائر الأعمال الصالحة أيضا تشفع لصاحبها، فالمؤمن في الآخرة يمثل له عمله في صورة صاحب؛ إن كان صالحا تمثل له صورة حسنة وجها وثيابا وأطيبه ريحا يشفع له عند ربه بالمغفرة والرحمة، أما الكافر فيمثل له عمله في صورة قبيحة وأنته ريحا، يقول ابن المبارك: «أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال: بلغني أن المؤمن يمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة وأحسن ما خلق الله وجها وثيابا وأطيبه ريحا، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء آمنه، وكلما تخوف شيئا هون عليه، فيقول: جزاك الله من صاحب خيرا، من أنت؟ فيقول: أما تعرفني؟ وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك، أنا عملك كان والله حسنا، فكذلك تراني حسنا، وكان طيبا فكذلك تراني طيبا، تعال فاركبني فطال ما ركبتك في الدنيا، وهو قوله سبحانه: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾<sup>(1)</sup>، حتى يؤتي به إلى ربه **عَلَيْكَ** فيقول: يا رب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته غير صاحبي قد شغل في نفسه، فيقول له الرب تعالى: عما تسأل؟ فيقول: المغفرة والرحمة ونحو هذا، فيقول: فإني قد غفرت له ثم يكسي حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤ تضيء من مسيرة يومين، ثم يقول:... ويتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجها وأنته ريحا، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء زاده، وكلما تخوف شيئا زاده خوفا، فيقول: بنس الصاحب أنت ومن أنت؟ فيقول: أنا عملك، كان قبيحا فكذلك تراني قبيحا وكان منتنا فكذلك تراني منتنا، فطأطأ رأسك أركبك، فطال ما ركبتني في الدنيا وهو قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(2)</sup>»<sup>(3)</sup>، ثم أورد القرطبي بأن معنى هذا الرأي يستند من حديث قيس بن عاصم المنقري **رضي الله عنه** أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال له: «إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه و أنت ميت، فإن كان كريما أكرمك، وإن كان لثيما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحا، فإنه إن كان صالحا لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشا لم تستوحش إلا منه، وهو فعلك»<sup>(4)</sup>.

فالعمل الصالح هو ما ينفع المؤمن يوم القيامة وقرآءة القرآن وحفظه والعمل به كلها من الأعمال الصالحة التي تشفع للمؤمن يوم الحساب ومن الأعمال التي لصاحبها أيضا الدعاء بالوسيلة بعد الآذان.

(1) - سورة الزمر، الآية 61.

(2) - سورة النحل، الآية 25.

(3) - محمد القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، ص 789-790.

(4) - المصدر نفسه، ص 790.

### ثالثا: شفاعة دعاء الوسيلة بعد الأذان.

من أسباب الحصول على الشفاعة الدعاء بما ورد عند الأذان، لما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

فالمراد بالنداء في الحديث الأذان، وقد اختلف العلماء في وقت الدعاء بين حال سماع الأذان وعدم الانتظار المؤذن الفراغ منه وبين انتظار تمام الأذان وهو الأظهر<sup>(2)</sup>، لما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»<sup>(3)</sup>.

إن الأذان من الكلمات الجامعة لعقيدة التوحيد والإيمان بها الذي يتبعه العمل بإقام الصلاة الذي يؤدي به إلى الفلاح في الدنيا والآخرة بالفوز بالجنة والخلود في النعيم، قال القاضي عياض عند شرحه للأذان بأن: «الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعية من العقليات السمعية، فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها، وذلك بقوله الله أكبر، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع وتلك المقدمات من الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقلية فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعاهم إلى الصلاة وعقبها بعد إثبات النبوة لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهي آخر تراجم عقائد الإسلام»<sup>(4)</sup>.

(1) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم 614، ج1، ص126.

(2) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج2، ص94.

(3) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم 384، ج1، ص288.

(4) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج4، ص89.

وعليه فالالتزام بالدعاء بعد كل آذان من قبل المؤمن، هو من الأسباب التي توجب له شفاعته نبينا ﷺ يوم القيامة، وهذه الشفاعاة قد تكون للمذنبين من المؤمنين، كما أنها تكون لرفع الدرجات في الجنة، لأن الرسول ﷺ له شفاعات متعددة، فيعطي كل واحد ما يناسبه<sup>(1)</sup>.

فالدعاء للنبي ﷺ في أوقات الصلاة لأنه وقت رجاء الإجابة والمداومة على ذلك "بالوسيلة والفضيلة" وذلك بأن ينزله منزله بالجنة لا تنبغي لأحد ومرتبة زائدة عن سائر المخلوقات كلها وبأن يبعثه الله المقام المحمود بهذا يستحق المؤمن شفاعته الرسول الكريم يوم القيامة<sup>(2)</sup>.

من الأعمال أيضا التي تشفع لصاحبها يوم القيامة الصبر على الشدائد والسكنى بالمدينة المنورة.

#### رابعا: الشفاعاة لساكني المدينة المنورة في الصبر على شدائدها:

تعد شفاعته الرسول ﷺ لمن سكن المدينة المنورة ومات بها من أنواع الشفاعات التي أكرم الله عز وجل نبيه محمد ﷺ، كما أن هذه الشفاعاة أيضا هي إكرام للمدينة المنورة ولمن سكن بها صابرا على شدتها، مفضلا لها عن غيرها من المدن<sup>(3)</sup>.

لقد ميزها الله عن سائر البقاع بثبوت شفاعته نبيه ﷺ لأهلها، وذلك مجازاة لصبرهم على شدتها، ومن الأدلة على ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصبر على لأواء<sup>(4)</sup> المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا»<sup>(5)</sup>.

وما روي عن أبي سعيد مولى المهري، أنه جاء أبو سعيد الخدري ﷺ ليالي الحرّة فاستشاره في الجلاء عن المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا أمرك إني سعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما»<sup>(6)</sup>.

فهذه الأحاديث حثت على السكنى بالمدينة المنورة لما فيها من الفضل، فقد ذكر النووي بأن العلماء قالوا في شأن أحاديث، بأن فيها دلالات ظاهرة على فضل سكنى المدينة والصبر على شدائدها

(1) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج2، ص96.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص96.

(3) - غالب العواجي: الحياة الآخرة، ط2، (جدة: المكتبة العصرية الذهبية، 1421هـ-2000م)، ج1، ص407.

(4) - لأواء: الشدة وضيق المعيشة، أنظر، علي بن محمد ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص823.

(5) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، رقم1378، ج2، ص1004.

(6) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، ج2، ص1004.

وضيق العيش فيها، وأن هذا الفضل مستمر إلى يوم القيامة<sup>(1)</sup>.

فما من مسلم سكن المدينة المنورة وصبر على الجهد والمشقة بها إلا ونالته شفاعة رسول الله ﷺ بناء على ما جاء في الأحاديث الواردة "إلا كنت له شفيعا أو شهيدا"، وبهذا يكون ساكنوا هذه المدينة مخصوصون عن غيرهم بهذه الشفاعة<sup>(2)</sup>.

العبارة الواردة في الحديث السابق الذكر "إلا كنت له شفيعا أو شهيدا"، وقد بين القاضي عياض بأن "أو" الواردة في الحديث على ثلاث تفسيرات:

**الأول:** إن كانت تفيد التقسيم يكون نبينا الكريم ﷺ شهيدا لبعض أهل المدينة وشفيعا لمن بقي منهم أو شفيعا لبعض عصاة المسلمين بإخراجهم من النار وشهيدا للمطيعين، وذلك برفع درجاتهم في الجنة، وإما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده.

**الثاني:** وإن كانت تفيد الربط بمعنى الواو يكون ﷺ لأهل المدينة شفيعا وشهيدا يوم القيامة<sup>(3)</sup>.

**الثالث:** وإن كانت تفيد الشك بين أن يكون الرسول ﷺ شهيدا أو شفيعا، فإذا كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة لغيرهم، وإن كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فتخصيص أهل المدينة بالشفاعة مع أنها عامة لجميع أهل المدينة في الجنة أو بتخفيف العذاب عنهم أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع الكرامة كإيوائهم تحت ظل العرش أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من الكرامات الخاصة ببعض منهم دون الآخر<sup>(4)</sup>.

ولهذا الأجر والثواب العظيم يوم القيامة للصابرين على شدة ومشقة السكن بالمدينة المنورة، ما جعل الصحابة رضوان الله عليهم يستمسكون بالبقاء فيها حتى وقت الشدائد والفتن<sup>(5)</sup>، فعن يحنس مولى الزبير بن العوام أنه كان جالسا عند عبد الله بن عمرو في الفتنة<sup>(6)</sup>، فأتته مولاة له تسلم عليه، فقالت: إني أردت

(1) - يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 9، ص 151.

(2) - المصدر نفسه، ج 9، ص 136.

(3) - المصدر نفسه، ج 9، ص 137.

(4) - المصدر نفسه، ج 9، ص 137.

(5) - عبد الرحمان عبد الحميد البر: التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية، ط 1، (مصر: دار اليقين للنشر، (1421هـ-2000م))، ص 53.

(6) - المراد بالفتنة هنا: وقعة الحرة التي وقعت زمن يزيد بن معاوية، وقد نجت المدينة فيها، سنة ثلاث وستين، أنظر يحيى بن شرف النووي: المصدر السابق، ج 9، ص 149.



الخروج يا أبا عبد الرحمان، اشتد علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدى لكاع<sup>(1)</sup>، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

ذكر هذه الشفاعة الخاصة بساكني المدينة، لا شك أنها مزية عظيمة لهم، غير أنها لا تكون لكل من سكن المدينة على عمومها، بل هي مشروطة بالإيمان، والعمل بموجبات هذا الإيمان، صابرا على ما يصيبه فيها من مشاق، حبا فيها، مفضلا إياها على غيرها، فهذا هو الذي يستحق ثواب الأجر بالشفاعة يوم القيامة كما جاء في الأحاديث<sup>(3)</sup>.

كذلك شفاعته ﷺ لمن مات بالمدينة المنورة شفاعة خاصة غير الشفاعة التي هي لعموم المؤمنين، ولذلك قال العلماء بأفضلية الموت بالمدينة على مكة وغيرها<sup>(4)</sup>.

فقد جاء في بعض السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»<sup>(5)</sup>، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو الله أن يجعل موته بالمدينة، وقد استجاب الله دعاءه، حيث استشهد بها رضي الله عنه، فقد كان يقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ»<sup>(6)</sup>.

وهذا كله من باب الترغيب وفضل السكنى بالمدينة والصبر على شدائدتها والموت بها، حيث أن ذلك من أسباب الحصول على شفاعة الرسول ﷺ<sup>(7)</sup>.

هذه مجمل الأعمال التي تشفع لصاحبها يوم القيامة، من صيام وقراءة للقرآن، ودعاء، وصبر على الشدائد، وغيرها، فالأعمال الصالحة هي أحد أهم الأسباب التي ينال بها المؤمن يوم القيامة الرحمة الإلهية الواسعة، وذلك بغفران الذنوب بالشفاعة أو بغيرها بالخروج من النار أو برفع الدرجات في الجنة، لأن الأعمال هي أساس الجزاء في الآخرة.

(1) - اللكع: العبد، ثم استكمل في الحمق والدم، وقد خاطبها ابن عمر بهذا إنكارا عليها، لكونها تنتمي إليه وحثها على سكنى المدينة لما فيه من الفضل، أنظر يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 9، ص 151.

(2) - سبق تخريجه، ص 219.

(3) - غالب العواجي: الحياة الآخرة، ص 410.

(4) - عبد الرحمان عبد الحميد البر: النحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية، ص 57.

(5) - رواه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب فضل المدينة، رقم 3917، ج 5، ص 719. وقال حديث حسن غريب.

(6) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل المدينة، باب حدثنا مسدد، رقم 1890، ج 4، ص 100.

(7) - ناصر الجديع: الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، ص 94.

### المبحث الثالث: الآثار العقدية والعملية للشفاعة

#### المطلب الأول: أثر الشفاعة في الجانب العقدي

##### أولاً: أثر الشفاعة في تحديد معنى المؤمن

يتضح أثر الشفاعة في تحديد المفهوم العام للمؤمن من خلال ما بينته أحاديث الشفاعة وما جاءت به من تفاصيل لبيان حقيقة الداخلين إلى الجنة، لأن من دخل الجنة فهو مؤمن بنص حديث رسول الله ﷺ: «لا يدخلها إلا مؤمن»<sup>(1)</sup>، فكل الداخلين إلى الجنة وعلى اختلاف درجاتهم هم مؤمنون<sup>(2)</sup>. فأهل الثواب من المؤمنين وإن اشتركوا في الفلاح بدخول الجنة فإن بينهم فرق لا يعلمه إلا الله وإن كان الرضا سمة كأهل الجنة بما أتاهم الله عز وجل وبما جباهم به<sup>(3)</sup>، وما ذلك التفاضل بين أهل الجنة في الآخرة في المنازل والدرجات إلا بسبب تفاضلهم في الدنيا في الأعمال والطاعات وأهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ودرجاتها أكبر من درجات الدنيا<sup>(4)</sup>، قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾<sup>(5)</sup>.

إن الذين يدخلون الجنة بغير حساب (وهم من لا حساب عليهم)، هم أول زمرة من المؤمنين لأنهم في أعلى المراتب في الإيمان والتقوى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق يدخلون الجنة صفا واحدا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، صورتهم على صورة القمر ليلة البدر<sup>(6)</sup>، لما روي عن سهل بن سعد رضي الله عليه، عن النبي ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»<sup>(7)</sup>، ولعل هؤلاء هم الذين سماهم الله

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق، رقم 1142، ج 2، ص 800.

(2) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، مقال بمجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الثامن عشر لسنة 1435هـ-2014م، ص 369.

(3) - عبد الرحمان السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 274.

(4) - محمد ابن تيمية: مجموع الفتاوي، ج 11، ص 177.

(5) - سورة الإسراء، الآية 21.

(6) - عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، ص 123.

(7) - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، رقم 219، ج 1، ص 198، ورواه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم 3247، ج 4، ص 118.

تعالى بالمقربين وهم السابقون<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٥﴾﴾<sup>(2)</sup>.

هؤلاء السابقون هم في الدرجات العلى، ولا خلاف في فضلهم وسموهم وبعدهم عن دونهم درجة، فالدخول يكون بحسب الأعمال، غير أن مدار الاحتجاج في الحقيقة تدور حول من جاء في الدرجات الأخيرة خاصة من هم آخر الناس دخولا إلى الجنة، فالشفاعة جعلتهم من المؤمنين وهم الذين وردت تسميتهم في الأحاديث بعثناء الرحمان<sup>(3)</sup>، فقد قال ﷺ: «شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين، قال فيقبض قبضة من النار أو كما تبت الحبة في حميل السيل... قال فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤة وفي أعناقهم الخاتم، عتقاء الرحمان قال فيقول لهم: ادخلوا الجنة، فما تمنيتم رأيتم من شيء فهو لكم ومثله معه، فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمان...»<sup>(4)</sup>.

كما حددت الشفاعة أيضا المؤمن بمن قال لا إله إلا الله، وهو ما جاء في حديث الشفاعة المشهور وبعد وقوف طويل لأهل الموقف وبعد اعتذار كل الرسل عليهم السلام وانتهت الشفاعة إلى رسول الله محمد ﷺ فيقول: أنا لها ثم يقول يا رب أمي أمي ثم يشفع في أمته ثلاث شفاعات وعلى الرابعة يشفع ﷺ فيمن قال لا إله إلا الله<sup>(5)</sup> «... ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله»<sup>(6)</sup>، فهذا نص صريح في حسم مسألة تحديد المؤمن الذي يدخل الجنة بإيمانه لأن أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون. على هذا الأساس نقول بأن المؤمن يشمل كل من يدخل الجنة سواء كان دخوله من الأولين كالسابقين أو كان دخوله من المتأخرين كعتقاء الرحمان وبهذا تثبت حقوق المؤمن لكل الداخلين في الجنة<sup>(7)</sup>.

(1) - عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، ص124.

(2) - سورة الواقعة، الآية 10 - 14.

(3) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص369 - 370.

(4) - سبق تخريجه، ص180.

(5) - سمير عمر سعيد: المرجع السابق، ص370.

(6) - سبق تخريجه، ص189.

(7) - سمير عمر سعيد: المرجع السابق، ص371.

ومن أهم هذه الحقوق وأخطرها حرمة دم المؤمن في الأحكام المتعلقة بالحياة الدنيا، وهذا الحكم هو مدار الاختلاف مع موجات التكفير التي عرفتها الأمة الإسلامية ابتداء بالخوارج وبعدها جماعات الهجرة والتكفير ومن سار على نهجهم حتى الآن<sup>(1)</sup>، وأساسهم الفكري في ذلك يقوم على تكفير العصاة وبأنهم خارجون عن الإسلام بارتكابهم الكبائر وقالوا بتخليدهم في النار يوم القيامة مع الكافرين<sup>(2)</sup>. فقالت الخوارج بذلك وقالت بأن صاحب الكبيرة في الدنيا كافر لارتكابه كبائر الذنوب، فنزعت منه صفة الإيمان بعصيانه، فحكمت عليه في الدنيا بالكفر حلال الدم والمال وحكمت عليه في الآخرة بأنه من المخلدين في النار<sup>(3)</sup>.

وانطلاقاً من تعريفهم للمؤمن بأنه من جمع بين القول والعمل والتصديق وأن العمل شرط صحة وأن من ترك هذا الشرط فقد انهدم إيمانه وأصبح مرتداً كافراً ومن أصبح كذلك، فقد استبيح دمه، وبهذا التأصيل المشوه كفروا الخليفة الرابع عثمان رضي الله عنه بل وقتلوه، كما استحبوا دماء الأمة من بعده وإلى يومنا هذا تحت هذا المسمى الخطير<sup>(4)</sup>.

إن أحاديث شفاعة الرسول الكريم لأهل الكبائر أبطلت ما ذهب إليه الخوارج، فلو كان أهل المعاصي كفاراً لكانوا من المخلدين في النار ولم تنفعهم شفاعة الشافعين<sup>(5)</sup>، وبهذا يتضح فساد هذا الرأي وفساد أحكامه بشأن المسلمين وإراقة دمائهم في كل مكان، غير أن هذا لا يعني التهوين من خطورة الإصرار على المعصية، فإن المعاصي هي بريد الكفر ويخشى على صاحبها من سوء الخاتمة، فقد قال ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»<sup>(6)</sup>، فالمدامة على المعصية قد تورث القلب استحلالها الأمر الذي يؤدي بصاحبها إلى الخروج من الملة ومع هذا يبقى إجراء الحكم بالكفر مضبوطاً بضوابط قررتها الشريعة في ذلك<sup>(7)</sup>.

(1) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص371.

(2) - محمد الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص115-116 .

(3) - علي بن عبد العزيز بن علي الشبل: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، (دم: در، دت)، ص34.

(4) - سمير عمر سعيد: المرجع السابق، ص371.

(5) - صلاح الصاوي: التطرف الديني، (دم: الآفاق الدولية للإعلام، دت)، ص76.

(6) - رواه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، رقم3817، ج6، ص367.

(7) - صلاح الصاوي: المرجع السابق، ص77.

ثانيا: الشفاعة ومسمى الإيمان:

### 1- الخوارج ومسمى الإيمان:

اختلف المسلمون في حقيقة الإيمان أشد الاختلاف ومذهب الخوارج في الإيمان يقوم على أن الطاعات كلها من الإيمان وذهب بعضها يذهب بعض الإيمان، فحكموا على مرتكب الكبيرة بأنه لا إيمان له<sup>(1)</sup>، يقول ابن حزم عن الخوارج في هذا الأمر: «يقولون بذهاب الإيمان جملة بإضاعة الأعمال»<sup>(2)</sup>، فاتجاه أغلبية الخوارج هو أن حقيقة الإيمان عنهم معرفة بالقلب وإقرار باللسان والعمل بأوامر الشرع وهو ما بينه ابن حزم بقوله: «وذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين والإقرار باللسان والعمل بالخوارج»<sup>(3)</sup>.

فالإيمان عندهم يرجع إلى جميع أنواع الفرائض مع ترك الكبائر لأنها تخرج صاحبها من دائرة الإيمان إلى الكفر، يقول البغدادي: «وقالت الخوارج كل من ارتكب ذنبا فهو كافر ثم اختلفوا بينهم: فزعمت الأزارقة منهم أنه كافر مشرك بالله وقالت النجدات منهم أنه كافر بنعمة وليس بمشرك»<sup>(4)</sup>.

وعليه فماهية الإيمان عند الخوارج تصديق القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح ومن أحل بشيء منها فهو كافر، ومن هذا المنطلق جاء التكفير عندهم بالذنوب<sup>(5)</sup> والتكفير بالذنوب هو ما أسس عند الخوارج إنكار الشفاعة عن العصاة من المسلمين يوم القيامة لأن مرتكبي الكبائر عندهم كفارا، لذلك لا تجوز الشفاعة في حقهم وقد بينا مذهبهم في ذلك بنوع من التفصيل فيما سبق، غير أن الكبيرة التي يكفر بها الخوارج ليست حجة فالنبي ﷺ في حياته لم يكفر أحدا من العصاة وأصحاب الكبائر بل كان يقيم عليهم حدودا معينة حسب المعاصي كالسرقة والذي كان حدها قطع يد السارق أو الزنا الذي كان حدها الجلد أو الرجم حتى الموت بالنسبة للمتروحة وهكذا وغيرها من الحدود، فلو كانت المعاصي كلها كفرا لما كان هناك تنوع في الحدود<sup>(6)</sup>.

(1) - محمد ابن تيمية: الإيمان الأوسط، تحقيق محمود أبو سن، ط1، (الرياض: دار طيبة للنشر، 1422هـ)، ص58.

(2) - علي بن حزم الظاهري: الفصل في الملل والنحل، ج3، ص227.

(3) - المصدر نفسه، ص179.

(4) - عبد القاهر البغدادي: أصول الدين، ط1، (اسطنبول: مطبعة الدولة، (1346هـ-1928م))، ص249-250.

(5) - الكمال بن أبي الشريف بن الهمام: المسامرة في شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، ط2، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1347هـ)، ج2، ص174.

(6) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص375.

كما أن نصوص الشفاعة حجة دامغة على الخوارج إذ فيها من الدلالة الواضحة على نجاة أهل المعاصي من النار وعدم خلودهم فيها، وهذه الأحاديث تصب في صميم الخلاف مع الخوارج خاصة ما تعلق منها بنصوص عتقاء الرحمان الذين يدخلون الجنة بغير عمل فعلوه، وإنما دخلوها بصدق الشهادة فقط ولهذا تأول الخوارج الشفاعة بما يعطل معناها الشرعي مما أدى بهم إلى إنكارها وحصرها في المستحقين الثواب برفع درجاتهم في الجنة<sup>(1)</sup>، وهذا كله مبني على أساس مفهوم الإيمان عندهم الذي يرتبط فيه التصديق بالقول والعمل والإحلال بركن العمل يؤدي إلى اختلال الإيمان، ونزع صفة الإيمان عن المؤمن، وهذا هو المعتقد الخطير الذي تشترك فيه الخوارج قديما وموجات التكفير المعاصرة لخوارج هذا العصر وهذه هي القاعدة الأساسية لتكفير المسلمين وذلك لعدم فهم هذه الحقيقة بوضوح ومكن حملة التكفير من رقاب المسلمين وسفك دمائهم في عديد من المناطق خاصة في وقتنا الحاضر<sup>(2)</sup>.

## 2- المرجئة ومسمى الإيمان:

اختلفت المرجئة في تعريفها للإيمان، فمنهم من جعل محله القلب وهو قول الجهمية منهم، ومنهم من اعتبر الإقرار باللسان ركن زائد يسقط بالإكراه وهو قول الماتريدية، ومنهم من يضيف إليه الإقرار باللسان وهو قول مرجئة الفقهاء كالنجارية والشميرية وغيرهم، مع أنهم يتفقون على إخراج العمل من الإيمان، وبذلك تكون المرجئة قد خالفت الخوارج والمعتزلة بإخراجها العمل من مسمى الإيمان، وأن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال، ولهذا اجعلوا الأعمال ثمرة للإيمان وبمنزلة السبب، وهي ليست لازمة له، كما أنها ليست ركنا له<sup>(3)</sup>، وبذلك جعلت المرجئة الإيمان لا يتجاوز القول إلى العمل بالشعائر والعبادات، فلا يضر عندها مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة<sup>(4)</sup>.

بهذا تكون المرجئة في تعريفها للإيمان قد شملت الكل في دائرة الإيمان ومنه جاء حكمها على أهل الذنوب ومرتكبي الكبائر بأنهم مؤمنين وسموهم بالفاسقين، وهم على ما هم عليه من الفسق مؤمنون<sup>(5)</sup>،

(1)-سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص375.

(2)- المرجع نفسه ص376.

(3)- مجيد ماجد الزامل ومنعم عيد الرحيم: المرجئة نشأتها ومعتقداتها، بحث منشور بمجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مج1، عدد14، 2009، ص13.

(4)- محمد الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص137.

(5)- مجيد ماجد الزامل: المرجع السابق، ص13-14.

وهو ما ذكره ابن حزم حينما ذكر اختلاف الناس في تسمية المذنب بقوله: «بأن المرجئة قالت هو مؤمن كامل الإيمان وإن لم يعمل خيرا قط ولا كف عن شر قط»<sup>(1)</sup>.

وانطلاقا من حكمهم على مرتكب الكبيرة بالإيمان في الدنيا جاء حكمهم على أنهم من أهل الجنة في الآخرة، كما أن هناك من المرجئة من قال بأنه من المسلمين من يدخلون النار غير أنهم يخرجون منها بشفاعة الرسول ﷺ ويدخلون الجنة، وهم بذلك لا يقولون بتخليد المؤمنين في النار<sup>(2)</sup>.

على ذلك فالمرجئة اتفقت مع الخوارج والمعتزلة في وجوب إنفاذ الوعد من الله تعالى استحقاقا، وخالفتهم في أمر الوعيد وتساهلت في شأنه من حيث إدخال المؤمنين الجنة ولو من غير عمل قدموه ولا خير فعلوه<sup>(3)</sup>، وهم بذلك وسعوا مفهوم الشفاعة إلى درجة أصبح فيها أداء عمل بسيط يؤمنهم من تلك الإنذارات الإلهية ويضمن لهم الجنات والنعيم الأبدي، فصار بذلك المفهوم الجديد للشفاعة بمشابهة نسخ للشريعة الإلهية وإلغاء لفائدتها، وهذا المفهوم المنحرف للشفاعة يقوم على استبدال السعي والمجاهدات، والصبر على المكاره، والأعمال الصالحة والاكتفاء بمجرد الشهادة في الإيمان لكي ينال الفوز في الآخرة بالجنان<sup>(4)</sup>، فعلقوا مدار النجاة في الدنيا والآخرة على مجرد التلفظ بكلمة التوحيد من غير اقتران ذلك بالعمل، وهذا من العبث والضلال، إذ لو جاز ذلك لتستر به الكفار والمشركون ولما كلفوا أنفسهم عناء القتال الذي خاضوه لأنهم كانوا يعلمون معنى الإيمان وما تستوجبه كلمة التوحيد<sup>(5)</sup>.

إن الاكتفاء بالتوحيد دون العمل لنيل الجنة في الآخرة هو قتل للشرائع وإخماد لكل آثار الإيمان العملية وتسفيه لكل الفضائل والقيم الإنسانية وفي هذا تناقض صريح مع بديهيات الإسلام ومع كل معنى إنساني أيضا<sup>(6)</sup>.

كما أن المرجئة بتحديد مفهوم الإيمان وإخراج العمل منه، فهي بذلك تساوي بين المصلح والمفسد بالمنزلة، وبهذا تتحطم القيم، وينحدر معها المجتمع إلى أدنى درجات السلم الحضاري، فتعطيل

(1) - علي بن حزم الظاهري: الفصل في الملل والنحل، ج3، ص373.

(2) - علي بن اسماعيل الأشعري: مقالات الاسلاميين، ص230.

(3) - مجيد ماجد الزامل: المرجع السابق، ص68-69.

(4) - حيدر علي قلمداران القمي: طريق النجاة من شر الغلاة، ص20-21.

(5) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص378.

(6) - المرجع نفسه، ص378.

جانب الخير والفضيلة في المجتمع والقبول بالرديلة والفساد هو نهايته التي تكون بالسقوط الحضاري<sup>(1)</sup>. فكيف بالمرجئة تلغي أهمية العمل بالنسبة للإيمان، غير أن أحاديث الشفاعة جاءت لتنفي ذلك وتؤكد أهمية العمل ويتضح ذلك من خلال أحاديث الإخراج من النار السابقة الذكر، حيث يبدأ من الوزن الأكبر إلى الأصغر من حيث الإيمان والأعمال حتى يصل إلى الذرورة، ومن لم يعمل خيراً قط، وهم أقل أهل الجنة منزلة، فهؤلاء يتفاضلون في خروجهم من النار، يخرج بعضهم قبل بعض بحسب منازلهم في الإيمان حتى يصل إلى آخرهم خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً رجل يخرج من النار حبواً، وهذا أدنى أهل الجنة منزلة<sup>(2)</sup>، لحديث رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة من أمثالها» وجاء في آخر الرواية «فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»<sup>(3)</sup>.

### 3- أهل السنة والجماعة ومسمى الإيمان:

مذهب أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان هو أنه قول واعتقاد وعمل<sup>(4)</sup>، وحقيقة الإيمان كما قال ابن القيم: «مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح»<sup>(5)</sup>، وهذه المركبات الثلاثة أحدهما يتم ويستلزم الآخر، فالاعتقاد بالقلب يتطلب نطق الشهادة باللسان، والنطق

(1) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص 378.

(2) - محمد الشظيفي: مباحث المفاضلة في العقيدة، رسالة دكتوراه من قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، عام 1411هـ، ط 1، (السعودية: دار ابن عفان للنشر، 1419هـ)، ص 410.

(3) - رواه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم 6571، ج 8، ص 117، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً، رقم 186، ج 3، ص 173.

(4) - أبو القاسم ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مج 1، ص 889.

(5) - محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: كتاب الصلاة، تحقيق: عدنان بن صفاخان، (جدة: دار عالم الفوائد، دت)، ص 86.



يتطلب العمل بالجوارح، فالكل يكمل بعضه بعضاً، يقول أبو بكر الآجري<sup>(1)</sup>: «لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً»<sup>(2)</sup>.

ووفقاً لذلك فقد حدد أهل السنة والجماعة علاقة العمل بالإيمان على أن العمل شرط في كماله، ومنه نشأ عندهم القول بزيادة الإيمان ونقصانه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، بينما جعلها المعتزلة والخوارج شرطاً في صحته، أما المرجئة أخرجوه من مسمى الإيمان كما سبق وأن بينا<sup>(3)</sup>.

فهذا تأصيل دقيق يتوافق مع ما أجمعت عليه الأمة من حيث عدم تكفير صاحب الكبيرة وإثابته الشفاعة له، وكذلك الإجماع العملي بالصلاة على عصاة المؤمنين، والدعاء لهم ودفنهم بمقابر المسلمين، وعليه فالإحلال بالعمل لا ينقض الإيمان كما قال الخوارج، بل ينقصه بحسب المعصية المرتكبة ما لم تستباح المعصية أو يظهر دلائل الكفر، وهذا منتهى الاعتدال<sup>(4)</sup>.

وعليه كان كمال الإيمان مداره الأعمال، فكلما زاد المؤمن في العبادات والأعمال الصالحة ارتقى بإيمانه إلى درجات الكمال التي توصله يوم الآخرة إلى أعلى درجات الجنان، فأعلى مقامات الجنة للسابقين السابقين في العمل مع التصديق، وأدنى درجاتها لمن قال لا إله إلا الله وشهد أن محمداً رسول الله بصدق، ومن عمل ولا طاعة دخوله الجنة كان برحمته تعالى وبالشفاعة التي تدخل ضمن إطار الرحمة الإلهية التي تنقذه من عذاب نار جهنم، والتي أصبح فيها كالحمم من شدة العذاب كما بينت أحاديث الشفاعة في هذا الإطار<sup>(5)</sup>.

على هذا الأساس فالنجاة تكون بالإيمان والعمل والذي يلغي دور العمل وينفي إدخاله في خلاص الإنسان من العذاب مكتفياً بالشهادة وحدها لدخول الجنة بلا عذاب لا أساس له من الصحة لأن الذي

(1) - أبو بكر الآجري (...-970م): محمد بن الحسين بن عبد الله، فقيه شافعي، محدث، من قرى بغداد، أنظر، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، ص97.

(2) - محمد بن الحسين أبو بكر الآجري: الشريعة، تحقيق: عبد الله الدميجي، ط1، (الرياض: دار الوطن للنشر، (1418هـ-1997م))، ج3، ص611.

(3) - أحمد ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج1، ص46.

(4) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص373-374.

(5) - المرجع نفسه، ص373.

عليه من الذنوب والمعاصي ولا عمل خيّر له يدخل النار أولاً ليظهر من ذنوبهم يدخل الجنة بصدق إيمانه لأن الله لا يظلم مثقال ذرة<sup>(1)</sup>.

إن العمل المقرون بالإيمان هو المؤشر الأساسي في ارتفاع وانخفاض درجات الثواب والعقاب، وكلما تعلق إيمان الإنسان وبذل جهداً أكبر في العمل الخالص لوجه الله كلما عظم أجره وارتفعت منزلته عند الله تعالى، وكلما ضعف الإيمان نقص معه العمل كلما انحطت منزلته عند الله لأن منازل الجنة بينها العمل ويشيدها الإيمان، ودركات النار يشعلها التمرد والعصيان<sup>(2)</sup>، وكما أن العمل أساس النجاة من النار فالشفاعة أحد المؤشرات على سعة رحمته تعالى بعباده، ويتضح ذلك من خلال سعة دائرة المشمولين بالشفاعة سواء في رفع العقاب عن العصاة أم بزيادة الثواب للمؤمنين برفعة درجاتهم في الجنة، وتبقى الرحمة الإلهية هي دخول الجنة ثواباً لا استحقاقاً، وصفته تعالى الرحيم تختص بعباده المؤمنين لقوله تعالى:

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>(3)</sup>.

مما تقدم يتبين بأن عقيدة الشفاعة قطعت الطريق على كل من المرجئة والخوارج وبشكل تام، فالطبقة الأولى من المشمولين بالشفاعة من أهل الصلاة والصيام و...، غير أنهم دخلوا النار بذنوب ارتكبوها، فهؤلاء حجة على مذهب الإرجاء، لأنهم ومع إيمانهم وأعمالهم عذبوا بالنار، ولولا الشفاعة لظل مكنتهم في النار، وهذا فيه من الدلالة الواضحة على أن معاصيهم قد أضرتهم، لا كما يقول أصحاب الإرجاء، وبهذا تبطل حججهم جميعها<sup>(4)</sup>.

أما الطبقة الرابعة من أهل الشفاعة والمعروفون بعتقاء الرحمان وهم آخر المؤمنين دخولاً إلى الجنة ليس لهم إلا كلمة التوحيد، فهؤلاء حجة على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، والسؤال الذي يطرح كيف دخل هؤلاء الجنة إن كانوا كفاراً، والجنة لا يدخلها إلا مؤمن، وأحاديث الشفاعة شهادة نبوية على أن أصحاب الكبائر مؤمنون، وهم عتقاء الرحمان، وهذا يدحض حجج الخوارج في ذلك ويقضي بطلانها،

(1) - حسين أحمد الخشن: هل الجنة للمسلمين وحدهم، ط1، (لبنان: المركز الإسلامي الثقافي، (1432هـ-2011م))، ص43.

(2) - المرجع نفسه، ص45.

(3) - سورة الأحزاب، الآية 43.

(4) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص387.

والخوارج والمرجئة رغم تناقضها في التأصيل لمعتقداتهم فكلاهما يعطل معناها الشرعي الصحيح<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: أثر الشفاعة في اليوم الآخر.

من بين الآثار المترتبة عن الشفاعة يوم القيامة رفع العقاب بالنسبة للعصاة من المؤمنين وخروجهم من النار وزيادة درجات المحسنين في الجنة، وقد وقع اختلاف بين المسلمين حول الأثر المترتب عن الشفاعة، هل هو إسقاط العقاب أم رفع الثواب، وقد سبق وأن بينا آراء الفرق الإسلامية بالتفصيل.

فالقائلون بأن أثر الشفاعة يكون في زيادة الثواب لا في رفع العقاب وهو قول المعتزلة والخوارج، لأن الشفاعة لو كانت تؤثر في رفع العقاب لكان ذلك مخالفاً لناموس العدالة الإلهية والتي تقوم على الوعد والوعيد<sup>(2)</sup>، فالشفاعة بذلك تكون للمستحقين الثواب بزيادة درجاتهم في الجنة بقدر ما استحقوه ولا تكون للعصاة الذين لم يتوبوا إلى الله على ما اقترفوه من معاصي فاستحقوا بذلك العقاب من الله تعالى<sup>(3)</sup>. فكان دافع المعتزلة بتخصيص الشفاعة بأهل الطاعة دون العصاة هو موقفهم من العاصي الذي يكون جزاءه يوم القيامة النار مخلداً فيها ولا يمكنه التخلص منها بالشفاعة<sup>(4)</sup>، ومن الواضح بأن المعتزلة بناء على رأيهم قول: «بأن الشفاعة لا تؤثر في رفع العقاب» في مسألة الوعد والوعيد حيث أوجبوا على الله تعالى تنفيذ وعده بالنسبة للمطيع ووعيده بالنسبة للعاصي، إذ ليس من العدل إثابة العبد به إلا يستحق، وعليه فالشفاعة يكون تأثيرها في رفع درجات المؤمنين في الجنة، وهذا هو الوعد الحق من الله تعالى لعباده المطيعين لأن الوعد لا يكون إلا عن طاعة والوعيد لا يكون إلا على معصية<sup>(5)</sup>.

فإشكالية أن يكون رفع العقاب ظلماً بعد أن تقدم الوعيد به في الحياة الدنيا لا يناهض قانون العدل الإلهي ذلك لأن الشفاعة ما هي إلا فضل ورحمة من الله تعالى للمؤمنين ليفصل بها بين المؤمنين والكفار

(1) - سمير عمر سعيد: الشفاعة ميزان من الغيب، ص388.

(2) - سلطان الحراصي: الشفاعة الأخروية، ص51، أنظر أيضاً، كمال الحيدري: الشفاعة، ص126.

(3) - عبد الجبار القاضي: الأصول الخمسة، ص688-689.

(4) - جعفر السبحاني: الشفاعة في الكتاب والسنة، ص60.

(5) - ليلي سليمان علي بكر: قضية الشفاعة بين المثبتين والمنكرين، ص47، 39.

ولا تعارض بين الرحمة والعدل، ومن هنا فإن رفع العقوبة عن المؤمن المرتكب للذنب هو نوع من التفضل الإلهي على عباده المؤمنين<sup>(1)</sup>.

إن إدانة الأنفس يوم الدين بحسب الأعمال قول صحيح، لأن أصل الجزاء يكون بما قدمت تلك النفس من عمل في دنياها، غير أن هذا القول لا يمنع إعمال قانون آخر وهو قانون الرحمة الإلهية<sup>(2)</sup>، وهو القائل: ﴿وَاللَّهُ مَخْتَصِمٌ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>.

أما من جعل أثر الشفاعة هو إسقاط العقاب بالإضافة إلى زيادة الثواب، هم جمهور أهل السنة والشيعية الإمامية، وذلك انطلاقاً من أصولهم العقديّة من أن الموحّد لا يخلد في النار<sup>(4)</sup>، لأن تخليد المؤمن مع الكافر في النار تضييع لعمله الحسن؛ من الإيمان بالله وكتبه ورسله، والله عز وجل يغفر لمن يشاء من عباده الذنوب التي هي دون الشرك<sup>(5)</sup>، وهو القائل في كتابه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾<sup>(6)</sup>، ومذهبهم في ذلك يقوم على جواز غفران ذنوب المؤمنين جميعاً مرتكبي الصغائر والكبائر، وبذلك يكون تأثير الشفاعة في إسقاط العقاب<sup>(7)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(8)</sup>.

إن الشفاعة ما هي إلا سبب من أسباب الرحمة الإلهية التي يختص بها عباده، المؤمنين وأحق الناس برحمته تعالى هم أهل التوحيد والإخلاص، فكلما كان العبد أكمل في تحقيق كلمة إخلاص «لا إله إلا الله» من حيث العلم والاعتقاد والعمل كان أحق بهذه الرحمة<sup>(9)</sup>.

(1) - علي حسيني السيستاني: الشفاعة حقيقة إسلامية، (دمشق: در، دت)، ص36.

(2) - محمد محمود سعيد: حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله، ص39.

(3) - سورة البقرة، الآية 105.

(4) - سلطان الخراسي: الشفاعة الأخروية، ص52.

(5) - أبو بكر البيهقي: البعث والنشور، ص65.

(6) - سورة الكهف، الآية 30.

(7) - منال سمير الرافي: الشفاعة في الفكر الإسلامي - بحوث ودراسات - www.islamtoday.net/bohooth/artshow\_86\_168740، أبريل 2013.

(8) - سورة النساء، الآية 48.

(9) - محمد ابن تيمية: الحسنة والسيئة، ص219-220.

أما المذنبون من أهل الإيمان الذين غلبت سيئاتهم حسناتهم، استحقوا دخول النار بذنوبهم، فتصيبهم النار بذنوبهم إلا موضع السجود، فيميتهم الله إماتة حتى يصبحوا كالحمم أو كالفحم، كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك ثم يخرجهم الله من النار ويدخلهم الجنة بالشفاعة وقد بينا ذلك فيما سبق<sup>(1)</sup>.

فالذين يخرجون من النار في كل مرحلة شفاعاة هم في نفس المستوى من العمل، كما مر معنا في الأحاديث، إذ ينادي بعد قبول الشفاعاة «أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من شعيرة وبعدها من كان في قلبه مثقال حبة من برد» وهذا هو العدل والإخراج من النار بالشفاعة لا يتعارض مع العدالة الإلهية المطلقة لأن الذين يخرجون في كل مرة هم بحسب مستوى أعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا<sup>(2)</sup>، ومبدأ الرحمة لا يتنافى مع مبدأ العدل، وأن عدله تعالى لا يكبل إرادته أو يضيق رحمته بل له في كل الأحوال الحق في أن يعفو عن المذنبين، وأن الرحمة في جوهرها تتضمن اعترافا باستحقاق العبد للإدانة والعقوبة إلا أن الله له القدرة في التجاوز عن عبده العاصي رحمة به، إلا أن هذا التجاوز لا يجعل هذا العاصي في رتبة المطيع<sup>(3)</sup>، فالجنة درجات، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

فالدخول إلى الجنة بالنسبة للمؤمنين يكون بالأعمال، غير أن الدرجات تكون مختلفة بحسب الأعمال، غير أن هذا لا ينفي تأثير الشفاعاة في زيادة ثواب أهل الجنة برفع درجاتهم كرفع درجة الآباء ببركة دعاء الأبناء كما مر معنا سابقا.

وعليه يكون أثر الشفاعاة يوم القيامة بزيادة الثواب للمطيعين وبإسقاط العقاب عن الموحدين بعد دخولهم النار ليتطهروا من المعاصي بالعذاب لأن الموحدا لا يخلد في النار وما الشفاعاة إلا دليلا على كرم الله عز وجل لعباده المؤمنين يوم القيامة على إيمانهم وتخليدهم في النار مع الكافرين ليس من العدل الإلهي والله تعالى لا يظلم عنده أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(5)</sup>.

فالعدالة صفة من صفات الحق سبحانه وهي الأساس الذي يركز عليه مبدأ الحساب، فمقتضى عدله تعالى إعطاء كل ذي حق حقه ولا يظلم أحدا مثقال ذرة ومن مقتضى حكمته أن لا يعذب إلا من

(1) - محمد ابن تيمية: الحسنة والسيئة ، ص220.

(2) - فاروق الدسوقي: الشفاعاة، ص77.

(3) - حسين أحمد الخشن: هل الجنة للمسلمين وحدهم، ص49-50.

(4) - سورة الأحقاف، الآية 19.

(5) - سورة النساء، الآية 40.

يستحق العذاب والميزان عنده في الثواب والعقاب واضح وقويم وهو ميزان الحق والعدل<sup>(1)</sup>، وتبقى المغفرة الإلهية هي أسمى ما يتطلع إليه العبد في اليوم الآخر، وما يتمناه من ربه لخلو الإنسان من الذنب والخطيئة ودخول الجنة يكون بفضل الله تعالى ورحمته، فالعبد مهما كان عمله حسنا لا يوجب له الجنة إلا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>، غير أن هذا لا يلغي أهمية العمل بالنسبة للإنسان المؤمن، لأنه دليل إيمانه وهو أساس صلاحه في الدنيا، وفلاحه في الآخرة.

بناء على ما سبق نقول بأن الشفاعة رحمة إلهية للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بتحديداتها لمعنى الإيمان والمؤمن فعصمت بذلك دماء المؤمنين وأظهرت التطرف الفكري للموجات التكفيرية في كل مكان وزمان، وكذلك أظهرت فائدة العمل بالنسبة للإيمان حتى يكون الإنسان ذو تركيبة سوية تنفع المجتمع بصلاحها، وفي الآخرة بأن الشفاعة رحمة بالمؤمنين بإخراجهم من النار إلى الجنة، فهي باب من أبواب الرحمة الإلهية الواسعة. بعدما درسنا الآثار العقدية للشفاعة نأتي الآن لدراسة الآثار العملية المترتبة عليها وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

### المطلب الثاني: آثار الشفاعة العملية

#### أولاً: الشفاعة ودعوى الاتكالية

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل حقيقة أن الإيمان بالشفاعة لأهل الكبائر تؤدي إلى توكل المسلمين وترك العمل وتجعل المسلم لا يأخذ بأسباب العمل الصالح؟ وهل حقيقة أن الشفاعة تشجع على الفساد والعصيان اتكالا على الشفاعة في النجاة من النار؟.

إن الشفاعة بمفهومها الصحيح لا تبعث أبدا على توكل المسلم وترك العمل الصالح والطاعات واستحلال المحرمات لأن العاصي لأوامر الله يوم القيامة لا تلحقه الشفاعة إلا بعد عقابه ودخوله النار،

(1) - حسين أحمد الخشن: هل الجنة للمسلمين وحدهم، ص18.

(2) - إسماعيل الصابوني: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: ناصر الجديع، ط2، (الرياض: دار العاصمة، 1419هـ-1998م)، ص295.

(3) - سورة النور، الآية 21.

فكيف يعول على الشفاعة وهو يعلم أنه سيعاقب أولاً، خاصة وأن الإنسان لا يستطيع أن يصبر على لسعة لا تتجاوز لحظات حتى يصبر على المكوث في النار مدة يقدرها الله ما شاء قد تكون أياماً وقد تكون سنوات أو آلاف السنين، فهذا الأمر لا يعلمه إلا الله، فالشفاعة لا تأتي إلا بعد أن يحترق في النار فيصير فحماً أو حمماً من شدة الاحتراق كما ذكرت الروايات الحديثية التي جاءت في هذا الشأن<sup>(1)</sup>.

كما أن المؤمنون الذين يؤمنون بالشفاعة ويعلمون قدر نبيهم ويعلمون وعد ربهم ووعيده لا يلجئون إلى الفسوق والفجور، وإنما يفع ذلك من لا يرجون لله وقاراً، وكما أن هناك من المعاصي ما تؤدي بصاحبها إلى الوقوع في الشرك بالله وهذا يقضي على كل أمل في النجاة من النار أو الخروج منها ولهذا على المؤمن أن يحرص على توحيد الله ومنه التمييز بين الشفاعة الشركية والشفاعة الإسلامية الحققة<sup>(2)</sup>.

فالذين يعولون على الشفاعة لغفران ذنوبهم، لأجل التمادي في الفساد والإصرار على العيش في وحل الذنوب، إنما ينظرون إلى جانب الرحمة، ولم ينظروا إلى جانب العقاب<sup>(3)</sup>، يقول ابن الجوزي: «وعموم العوام يبارزون بالذنوب، اعتماداً على العفو، وينسون العقاب، ومنهم من يعتمد على أنه من أهل السنة، أو أن لي حسنات قد تنفع، وكل هذا لقوة الجهل...»<sup>(4)</sup>.

إن الحديث عن غفران الذنوب، لا يجرى العباد عن ارتكاب المعاصي أكثر فأكثر، توكلوا على سعة الله وعظيم مغفرته لأن هذا الغفران يصدر عن إمكانية العفو لا حتميته، والإنسان العاصي لا يستطيع أن يجزم بأنه أهل للعفو ما لم يتب إلى الله من ذنوبه ويعمل صالحاً، فلن يتجرأ على المعاصي إذا كان عاقلاً وحريصاً على نفسه وحفظها لها من المهالك في الدنيا والآخرة<sup>(5)</sup>.

فالرجاء الحقيقي لرحمة الله تعالى تكون دافعاً للعمل وليس مثبطاً له، قال ابن الجوزي: «والفرق بين الرجاء والتمني، أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ

(1) - محمد ماهر البحيري: الردود القاطعة على من أنكر الشفاعة الساطعة، ص 93-94.

(2) - فاروق الدسوقي: الشفاعة، ص 77-78.

(3) - علي الحجري: معالم الحق، (دم: در، دت)، ص 69.

(4) - عبد الرحمان بن أبي الحسن ابن الجوزي: صيد الخاطر، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ-1992م)، ص 468.

(5) - حسين أحمد الخشن: هل الجنة للمسلمين وحدهم، بتصرف يسير، ص 64.

هَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ<sup>(1)</sup>، فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هؤلاء، وقال المغترون الذين ضيعوا أوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما أسخطه وتجنبوا ما يرضيه أولئك يرجون رحمته، وليس هذا ببدع من غرور النفس والشيطان لهم<sup>(2)</sup>.

إن الشفاعة الإسلامية الحققة لا تبعث على التواكل والعصيان، بل الشفاعة الشركية هي التي تبعث على ذلك، وهي التي تروج اليوم في أذهان عامة الناس من بعض المسلمين من أن أولياء الله المقربين كالأنبياء والأولياء الصالحين سيشفعون لهم بما لهم من الجاه والحظوة عند الله لجميع العصاة يوم القيامة، ويأخذونهم ورغم معاصيهم وجرائمهم إلى أعلى درجات الجنة، فكما يحققون لهم آمالهم ورغباتهم في الدنيا فكذلك الحال بالنسبة للآخرة<sup>(3)</sup>.

هذا المفهوم الخاطئ للشفاعة هو الذي وُلد التواكل وزاد من التحلل والفساد، وقد وجدت مسألة الشفاعة بمفهومها الخاطئ طريقا واسعا فتلقف ذلك أرباب الفسق والفجور من المسلمين الغافلين المنهمكين في شهواتهم فقاموا بنشر تلك الأفكار وترويجها لأنها وافقت هواهم في ارتكاب المنكرات وانتهاك المحرمات التي كانوا لا يجروون عليها خوفا من تهديدات آيات القرآن الكريم ووعيد الله فيها يوم القيامة، فوجدوا في تلك الأفكار ملاذا من تلك الإنذارات، ومن هنا اتسع باب الشفاعة بين المسلمين ووصل الأمر بهم إلى التضحية بكل الأحكام والتشريعات الإسلامية في مذبح الشفاعة والغلو<sup>(4)</sup>.

هذا ما أوصل هؤلاء المسلمين إلى ما وصلت إليه الأمم السابقة مثلما حدث عند المسيحيين الذين غالوا في حب المسيح وعبادته التي اكتسبت أهمية جعلتهم يروجون بأن حب المسيح والإيمان به وبفدائه لهم كاف لهم للنجاة يوم الحساب، وكذلك روج بولس بأن حب المسيح بديلا عن الأحكام، وأن شفاعته بفدائه هي الذخيرة يوم القيامة، فرغم ما بذل من السعي في سد باب الشفاعة الشركية إلا أن الأهواء النفسية وطمع الفساق وأصحاب الفجور عملت عملها لتفتح الباب واسعا أمام المسلمين<sup>(5)</sup>.

فكثير من أهل الضلال من المسلمين يظنون بأن الشفاعة تنال بتولي الملائكة والأنبياء والأولياء الصالحين، فكانت عبادتهم إياهم إشراكا بالله، كما ظن المشركون الأولون وكما يظن النصارى في المسيح

(1) - سورة البقرة، الآية 218.

(2) - محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، ج 2، ص 44.

(3) - حيدر علي قلمداران: طريق النجاة من شر الغلاة، ص 14.

(4) - المرجع نفسه، ص 16.

(5) - حيدر علي قلمداران: طريق النجاة من شر الغلاة، ص 17.



عليه السلام، وكذلك الأمر بالنسبة لمن ضل من المسلمين الذين يدعون غير الله ويحجون إلى قبور الأولياء والصالحين ويقدمون النذور لهم ظنا منهم بأنهم بهذه الأعمال سيكونون شفعاء لهم يوم القيامة، وقد سبق وبيننا ذلك<sup>(1)</sup>.

ويعود ذلك إلى الغلو بالأنبياء والصالحين، فجعلوا الحصول على الجنة رخيصة يكفي فيه بعض العبادات وزيارة مراقد الأئمة والأولياء هو ما سيورث فاعلها الجنات ولو كان خاليا من الأعمال الصالحة وخفيف الميزان من الخير والصلاح، وهو ما أثر على المسلمين في حياتهم العملية بإيقافهم عن بذل الجهد وعزوفهم عن أداء العبادات وجرّوا العوام على ارتكاب المعاصي والذنوب الأمر الذي يشكل أقرب وسيله لهلاك الأمم والشعوب<sup>(2)</sup>.

إن الشفاعة المطلقة التي يعتقدونها هؤلاء وبثبوتها لأوليائهم بدون إذن الله تعالى هي الشفاعة الشركية وهي مخالفة للشفاعة الإسلامية الصحيحة لأن إعطاء الله تعالى أنبياءه وأوليائه الصالحين الشفاعة إنما على سبيل التكريم، فهي ليست تملিকা مطلقا بل هو تملك معلق على الإذن والرضا بل هي ملك لله جميعا<sup>(3)</sup>.

أما القول بأن من أسباب نيل الشفاعة، الحب والتعظيم لهؤلاء الصالحين، فهذا ليس بالأمر الصحيح لأن الشفاعة سببها توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها<sup>(4)</sup>.

فالمفهوم السطحي والساذج لدى بعض المسلمين للشفاعة؛ من أن الإنسان يفعل ما يشاء من الآثام والمعاصي ثم يشفع له رسول الله ﷺ ويقبله في عداد الصالحين، فهذا غير مقبول لدى جميع العلماء قديمهم وحديثهم، لأن الشفاعة بهذا المفهوم تعطل قانون الجزاء، ولأن الإنسان لا يحاسب على أعماله وهذه هي عقيدة اليهود<sup>(5)</sup>، التي فندها الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلٍ

أَلَكْتَبِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا مُجْزِيَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(6)</sup>.

(1) - محمد ابن تيمية: الحسنة والسيئة، ص218.

(2) - حيدر علي قلمداران: المرجع السابق، ص17-18.

(3) - عبد الباسط بن يوسف الغريب: دمعة على التوحيد، ص88.

(4) - محمد ابن تيمية: المرجع السابق، ص219.

(5) - محمد راتب النابلسي: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، العقيدة الإسلامية، الإيمان باليوم الآخر، الدرس 56-63، بتاريخ 1987/11/29، [www.nabulsi.com/blue/ar](http://www.nabulsi.com/blue/ar)، تم التنصح يوم: 2016/8/15.

(6) - سورة النساء، الآية 123.

وعليه فالشفاعة الإسلامية الصحيحة لا تجرى أحدا على المعصية ولا تورثه الغرور، كما أنها لا تبعث على الاتكالية والفسق والفجور والتحلل وإنما نيلها يكون بالتوحيد الخالص الذي يقوم على الاعتقاد والعمل فهي أفضل دافع مؤثر للقيام بالأعمال الصالحة التي تجعل المؤمن مستحقا لهذه الشفاعة.

### ثانيا: الأثر التربوي للشفاعة

من الآثار الإيجابية للشفاعة على حياة الفرد والمجتمع هو ذلك الأثر التربوي من خلال بقاء العلاقة مع الله تعالى، فإن العاصي والمذنب الذي يعلم بأن الله يتوب عليه إذا تاب، وأن شفاعة الشافعين قد تشملته إن استوفى ما يلزم من الشروط فإن هذا الإنسان يبقى في هذه الحياة بين الخوف والرجاء، بين رجاء العفو غير جازم بم حصوله بحيث يتجرأ على محارم الله وبين مخافة العذاب، لكن لا يقينا من وقوعه حيث ييأس من رحمة الله<sup>(1)</sup>.

إن الاعتقاد بالشفاعة المقيدة بشروطها كما سبق وأن ذكرنا، من شأنه أن يبعث الأمل في نفوس العصاة، ويدفعهم إلى العودة عن سلوكهم الإجرامي، وإعادة النظر في منهج حياتهم<sup>(2)</sup>، فالشفاعة تفتح باب الأمل والعودة إلى الله، وإلى الطريق المستقيم، لأن المذنب العاصي وجد الطريق مفتوحا أمامه، وأيقن أن رجوعه يغير مصيره في الآخرة، فيترك العصيان ويرجع إلى الطاعة، ومثل التوبة الاعتقاد بالشفاعة المحدودة بشروطها المعلومة، فلا يقطع الإنسان بذلك علاقات العبودية مع الله، محاولا بذلك أن يكون من المشفوعين لهم، وممن يستحقون الشفاعة يوم القيامة<sup>(3)</sup>.

فالشفاعة المطلقة هي الموجبة للتمادي في العصيان، وهذه الشفاعة مرفوضة من حيث العقل والقرآن، لأن الشفاعة الإسلامية الصحيحة المحدودة بشروط لا تجعل العبد يقطع جميع علاقات العبودية مع الله<sup>(4)</sup>.

بهذا فتحت الشفاعة باب الأمل في وجه العصاة حتى لا ييأسوا من روح الله ورحمته ولا يغلبهم الشعور بالحرمان من عفوهم فيتمادوا في العصيان<sup>(5)</sup>، فيكون الإنسان بين الخوف والرجاء في علاقته مع ربه

(1) - كمال الحيدري: الشفاعة، ص 188-189، أنظر أيضا، سلطان الحراصي: الشفاعة الأخروية، ص 48.

(2) - جعفر السبحاني: الشفاعة في الكتاب والسنة، ص 53.

(3) - سلطان الحراصي: المرجع السابق، ص 149.

(4) - جعفر السبحاني: الشفاعة في الكتاب والسنة، ص 55.

(5) - سلطان الحراصي: الشفاعة الأخروية، ص 48.

فلا يمضي نفسه بالعتو والمغفرة والشفاعة ونحوها من غير عمل يرجو به النجاة في الآخرة، ولا يرجح الخوف الذي يلزم معه اليأس الموجب للهلاك<sup>(1)</sup>، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

إن المصير الأخرى للإنسان الذي يدور حول الجنة والنار لا يقدم فقط على صفة العدل الإلهي وما يتطلبه من شدة الحساب، بل علينا أن لا نغفل عن استحضار صفة أخرى من صفات الله تعالى وهي صفة الرحمة، لأن استحضار هذه الصفة يفتح باب الأمل أمام الإنسان الذي يسقط في المعاصي فيدفعه الأمل إلى العودة إلى الله وعدم اليأس والقنوط من رحمته<sup>(3)</sup>، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(4)</sup>.

فالرحمة في جوهرها تتضمن اعترافا باستحقاق العبد للإدانة والعقوبة، غير أن الله قادر على أن يتجاوز عن ذنوب عباده المؤمنين رحمة بهم، غير أن هذا التجاوز لا يجعل العصاة بمنزلة المطيعين، فرحمة الله تعالى سبقت غضبه حتى يؤكد سبحانه محورية صفة الرحمة من بين أسمائه تعالى، مما يدل على أنها الأصل بينما العذاب إنما هو استثناء، وتبقى إمكانية العفو واردة على الإنسان مهما بلغت ذنوبه أن يحسن الظن بالله ويثق برحمته الواسعة<sup>(5)</sup>.

وعليه نقول بأنه يجب علينا أن نقدم الله إلى الناس بما قدم به نفسه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(6)</sup>، ففي هذه الآية نسب الله تعالى صفة الرحمة إلى نفسه بينما نسب صفة العذاب إلى فعله، وفي هذا إشارة بليغة إلى أن صفة الرحمة تلائم ذاته

(1) - كمال الحيدري: الشفاعة، ص 191-192.

(2) - سورة يوسف، الآية 87.

(3) - حسين أحمد الخشن: هل الجنة للمسلمين وحدهم، ص 49.

(4) - سورة الزمر، الآية 53.

(5) - حسين أحمد الخشن: المرجع السابق، ص 52-53.

(6) - سورة الحجر، الآية 49-50.

أكثر مما تلائمها صفة العذاب، فقدمت الآية صورة الرحمة على صورة العذاب حتى يبعث السرور والانشراح ويجتذب النفوس والقلوب، وهذا له من الأهمية البالغة في الابتداء به في الخطاب التبليغي<sup>(1)</sup>.

بناء على ما سبق، يتبين بأن الشفاعة في الإسلام لها من الآثار العديدة في حياة الإنسان، سواء ما تعلق منها بحياته الدنيوية أو الأخروية؛ حيث حددت معنى المؤمن الذي تناله الشفاعة في اليوم الآخر، وبالتالي حرمة دمه في الحياة الدنيا، وهكذا وقفت ضد المد التكفيري الذي انتشر في المجتمعات الإسلامية، وذلك بإعطائها المفهوم الصحيح لمعنى المؤمن، كما أن الشفاعة الإسلامية الصحيحة لا تبعث على الاتكالية، لأنها لا تنال إلا بشروط، وهذا من شأنه أن يعطي الأمل للإنسان العاصي، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله الواسعة، والشفاعة جعلت علاقة الإنسان بربه بين الخوف والرجاء بين العذاب والرحمة.

وتبقى الرحمة الإلهية الواسعة أحد أهم العوامل الأساسية التي تبقي علاقة الإنسان بربه قائمة، وإن ضعفت بالمعاصي، ويبقى الباب مفتوحاً أمام المذنبين للرجوع والعودة إلى الله وإلى طريقه المستقيم، فيكون بصلاح الفرد صلاح المجتمع وهو أساس عمارة الإنسان في هذه الأرض والهدف من استخلافه فيها. في الأخير نقول بأن الشفاعة الإسلامية الصحيحة التي تتوخى الوسطية بين النفي والإثبات كما أنها لم تترك على إطلاقها بل قيدت بشروط لئلا يهاجمها وجاءت على أنواع منها ما تعلق بالأشخاص ومنها ما تعلق بالعبادات وللشفاعة آثاراً هامة على الحياة الإنسانية الدنيوية والأخروية على حد سواء.

وفي ختام هذا الفصل نستنتج أن:

- وجود نوعين من الشفاعة في الإسلام من حيث التقسيم الزمني لها؛ دنيوية وأخروية.
- اتفاق المسلمين بمختلف طوائفهم ومذاهبهم على ثبوت الشفاعة من حيث وجودها، وأما الاختلاف بينهم فكان من حيث انتفاع أصحاب الكبائر بها، وعليه ظهرت ثلاث مذاهب في

(1) - حسين أحمد الخشن: هل الجنة للمسلمين وحدهم، ص52.

- الشفاعة، مذهب قام بتضييقها يمثلهم كل الخوارج والمعتزلة، ومذهب غالى في إثباتها يمثلهم المرجئة وغلاة الشيعة والمتصوفة، ومذهب توسط بين النفي والإثبات يمثله أهل السنة.
- الشفاعة الإسلامية الصحيحة التي تتوخى الوسطية بين النفي والإثبات، فلا يوجد إثبات مطلق لها لأن ذلك يؤدي إلى الشفاعة الشركية، كما أنه لا يوجد نفي مطلق لها لأن النفي المطلق يعد إلحادا في أسمائه تعالى.
- الشفاعة في الإسلام لم تترك على إطلاقها، بل حددت بشروط، فحددت بشرط الإذن حتى تكون ملكيتها لله وحده، وبالإيمان حتى لا يطمع الكافر بها، والرضا حتى تكون صلة الإنسان بربه مبنية على القرب والرضا.
- عدم انحصار الشفاعة الإسلامية في شخص محدد أو عمل محدد معين، بل تعددت بتعدد الشافع، فمنها ما تعلق منه بالأشخاص، ومنها ما تعلق بالعبادات، فالإسلام ربط بين الشفاعة والعبادات للحث على العمل، وفي هذا رد على الذين يقولون بأن الشفاعة تبعث على الاتكالية وترك العمل.
- ثبوت شفاعة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم يوم القيامة وفي هذا رد على الذين يقولون بأن الشفاعة في الإسلام محدودة في شخص النبي محمد عليه الصلاة والسلام وإن خص ببعضها كالشفاعة العظمى لأهل الموقف لا يعني انفراده بالشفاعة على إطلاقها وهذا يبين بأن الإسلام دين الأنبياء جميعا.
- شفاعة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام من الأمور الثابتة في حياته ويوم القيامة، لها مكانتها الخاصة عند المسلمين لأنه من الأنبياء الأخيار، خصه الله بآخر الرسالات، وهي من الشفاعات التشريعية التي اختص بها دون غيره كشفاعته لأهل الموقف والتعجيل لهم بالحساب وشفاعته لعمه في الخفيف له من عذاب النار لا في إخراجها منها بالإضافة إلى شفاعاته الأخرى كشفاعته لأهل الكبائر ولمن استوت حسناته وسيئاته، ولأهل الجنة بزيادة درجاتهم وغيرها، إلا أن شفاعته عليه الصلاة والسلام لا تتم إلا بعد الإذن الإلهي له بالشفاعة.

- تأثير الشفاعة في اليوم الآخر يكون برفع العقاب عن المؤمن لا يتنافى مع العدل الإلهي، ذلك أن الشفاعة ما هي إلا باب من أبواب رحمته تعالى الواسعة ليفصل بها بين المؤمنين والكفار، ولا تعارض بين الرحمة والعدل، وكون إدانة الأنفس بحسب الأعمال يوم القيامة لا يمنع من إعمال قانون آخر وهو قانون الرحمة الإلهية.
- للشفاعة تأثير كبير في الحياة الدنيوية للإنسان المسلم وذلك ببعث روح العمل الصالح فيه، لأن الشفاعة بمفهومها الصحيح لا تبعث على التواكل وترك العمل والطاعات لأن العاصي يوم القيامة لا تلحقه الشفاعة إلا بعد عقابه ودخوله النار، فلا يمكن أن يعول الإنسان على الشفاعة وهو يعلم بأن العقوبة ستطاله قبل الانتفاع بالشفاعة، فالعفو الإلهي يصدر عن إمكانيته لا حتميته.
- أن الفهم الخاطئ للشفاعة من طرف بعض المسلمين هو ما أدى إلى التواكل وزاد من التحلل والفساد وهو ما روج في أذهان بعض العامة من الناس بأن أولياء الله المقربين من الأنبياء والصالحين سيشفعون لهم يوم القيامة ويدخلون الجنة بلا عذاب وهذا الفهم الفاسد أساسه الغلو بالأنبياء والصالحين واعتقادهم أن شفاعتهم على سبيل التملك وهذه هي الشفاعة الشركية لأن الشفاعة الصحيحة تكون على سبيل التكريم لا التملك.
- الشفاعة تفتح باب الأمل والعودة إلى الله وعدم القنوط من رحمته تعالى الواسعة، فجعلت بذلك علاقة الإنسان بربه بين الخوف والرجاء، وبين العذاب والرحمة.
- الشفاعة في الإسلام جاءت رحمة إلهية للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا حددت معنى المؤمن الذي تناله الشفاعة، فعصمت بذلك دماء المؤمنين وأظهرت التطرف الفكري للموجات التكفيرية في كل مكان وزمان، وفي الآخرة بإخراج المؤمن من النار إلى الجنة، لذلك تبقى الشفاعة باب من أبواب الرحمة الإلهية الواسعة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث نخلص إلى النتائج الآتية:

- أن الشفاعة جاءت من أجل المطالب الأخروية، والمتمثلة في الحصول على المغفرة الإلهية والدخول إلى الجنة في جميع الديانات.

- أن الشفاعة من العقائد القديمة، لم تعرفها الديانات السماوية الثلاث فقط، وإنما امتدت بجزورها إلى الشعوب والديانات القديمة، لأن الإنسان من طبيعته الخطأ وبين الخطية والرضى الإلهي وبلوغ السعادة الدنيوية والأخروية هو ما جعل الإنسان يلجأ إلى الشفاعة للتخلص من الخطايا، هذا ما جعلها من العقائد التي عرفها الإنسان القديم باعتبارها إحدى الوسائل التي يتخلص بها الإنسان من ذنوبه وخطاياها.

- اشتراك كل من المسيحيين والمسلمين في الاعتقاد بالشفاعة، واعتبارها وسيلة من وسائل التخلص من الذنوب، وإن كانت في المسيحية دنيوية من حيث تحديد إطارها الزمني، أما في الإسلام فهي في الحياة الآخرة.

- اتفاق كل من المسيحية والإسلام من حيث الانتفاع بالشفاعة يكون للمؤمنين دون الكفار، وعليه فإن شرط نيلها هو الإيمان.

- اتفاق كل من الديانتين المسيحية والإسلام فيما يخص الشفاعة من حيث بعض مسمياتها، غير أنها تختلف من حيث مضامينها، كشفاعة الملائكة مثلا، فتوجد شفاعة الملائكة في المسيحية والإسلام من حيث الاسم إلا أن مضمونها يختلف اختلافا كبيرا، فشفاعة الملائكة في المسيحية تكون دنيوية، وذلك بإعانة المؤمنين بإصعاد طلباتهم وسؤالهم إلى السماء وطلب المغفرة والشفاعة وإن كانت دنيوية إلا أن وقت الانتفاع بها يكون يوم القيامة، أما في الإسلام فهي دنيوية وأخروية، وتكون بعد إذن الله ﷻ، حيث تشفع الملائكة للمؤمنين في اليوم الآخر بطلب العفو ومغفرة الذنوب للمؤمن بهدف الدخول إلى الجنة، أما عمل الملائكة الدنيوي في الإسلام فهو الاستغفار، وهو أساس عمل الملائكة الذين خلقوا من أجله. فالاشتراك بين الديانتين يكون في دعاء الملائكة واستغفارهم للمؤمنين في الحياة الدنيا، ويزيد الإسلام على ذلك ثبوت شفاعتهم أيضا في اليوم الآخر.

- أما شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض والتي تأتي بمعنى الدعاء، فكلتا الديانتين تقر هذا النوع من الشفاعة في الحياة الدنيا، وصورة هذه الشفاعة في المسيحية تأتي بدعاء المؤمنين الأحياء لأحياء آخرين أو



الأحياء للأموات، فما دام وقت الدينونة لم يحن فالشفاعة حسب اعتقادهم تنفع المؤمنين، غير أن الاختلاف بينهما يكمن اعتقاد المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس نسبة القداسة وعلم الغيب للإنسان وهذا مما لا يقبله الإسلام لأن الإنسان مهما بلغ من العلم والطهر والنقاء فهو لا يبلغ الكمال الإلهي لأن الله مطلق والإنسان محدود.

- أما شفاعة الأموات للأحياء والتي تدرج ضمن شفاعة القديسين، فهي من الشفاعات التي يعترف بها كل من الكاثوليك والأرثوذكس ويرفضها البروتستانت؛ لكونها من الشفاعات التوسلية التي لا حاجة للإنسان إليها ما دامت هناك شفاعة المسيح الكفارية، ولأن الاعتراف بشفاعة القديسين حسب وجهة النظر البروتستانتية إلغاء لشفاعة المسيح الكفارية، وقد تسربت عقيدة التشفع بالأموات إلى المسلمين التي تمثلت في التشفع بالأولياء الصالحين، وإن كان الإسلام لا يقر هذا النوع من الشفاعة التي يصنفها في عداد الشفاعات الشركية المحرمة لأن التشفع بالأموات وعند قبورهم من الانحرافات العقديّة التي نهي الإسلام عنها لأنها نوع من أنواع صرف العبادة لغير الله.

يختص الإسلام بشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض في اليوم الآخر، وأساس هذا النوع من الشفاعة هي الأعمال الصالحة التي يبلغ بها الإنسان إلى درجة الشفاعة وتشريفه بها.

- شفاعة الشهداء أيضا من الشفاعات التي تتشابه من حيث الاسم وتختلف أيضا من حيث المضمون، ذلك لأن شفاعة الشهداء في المسيحية تكون بالتشفع عند قبورهم أو تذكارات أعيادهم في احتفالات الكنيسة حيث يتشفع المسيحيون الذين يعتقدون في هذا النوع من الشفاعة (الكاثوليك والأرثوذكس) بالشهداء لنيل المغفرة، أما في الإسلام فشفاعة الشهداء تكون في اليوم الآخر ولا علاقة لها بالحياة الدنيا لحديث رسول الله ص أن الشهيد يشفع لسبعين من أهله، وهي درجة تشريفية اختص بها الشهيد دون غيره لمكانته عند الله، جزاء له على تضحياته في حياته الدنيوية.

- أن الشخصية المحورية للشفاعة في المسيحية هي المسيح عليه السلام، وإطارها الزمني في الحياة الدنيا، وقد جاءت بصفة الانفرادية من حيث كونها شفاعة كفارية لأنه هو من قام بعملية التكفير عن الخطايا على الصليب وهذا ما أهله للخدمة الشفاعية المستمرة في السماء، وعملية التكفير هي التي أعطت شفاعته القوة والفعالية، مما جعلت شفاعة المسيح مطلقة ومقبولة بصفة الإلزام.

- أما في الإسلام فقد تمثلت الشخصية المحورية في شخص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم غير أن شفاعته كانت في حياته بالدعاء لصحابته، كما تكون أيضا في اليوم الآخر، وهي ليست من الإلزام، وإنما هي من التشريف ولا تكون إلا بعد إذن الله عز وجل، لأن الشفاعة التي تكون من غير الإذن الإلهي تصبح من الشفاعات الشركية، ويصبح الشفيع شريك لله في ملكه، فالشفاعة المطلقة لا توجد في الإسلام، لأن هذا يعد من الشرك بالله، عكس المسيحيين الذين يثبتون القدرة الكاملة للمسيح على الشفاعة لهم من غير إذن الله تعالى بما أنه ابن الله، فجعلوها شفاعة إلزامية لا تشريفية وهو الشرك بعينه.

- أن الإسلام لم يثبت الشفاعة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء بل أثبتها لهم بالشفاعة لأقوامهم ممن آمنوا بهم وهذا يبين بأن الإسلام دين الأنبياء جميعا غير أنه خص رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام دون غيره بالشفاعة العظمى لأهل الموقف والعجيل لهم بالحساب وبالشفاعة لعمه في تخفيف عذاب النار عنه لا في إخراجها منها.

- أن الشفاعة الإسلامية الصحيحة تتسم بالاعتدال والوسطية فلا يوجد إثبات مطلق، لأن ذلك من الشرك الأكبر، كما أنه لا يوجد نفي مطلق لها لأن النفي المطلق أيضا يعد إحادا في أسمائه تعالى وصفاته، فالشفاعة الإسلامية هي التي تكون لله جميعا، عكس الشفاعة في المسيحية التي اتسمت بالغلو في شخص المسيح لحد إشراكه في ملك الله وثبوت شفاعته بصفة مطلقة، له كامل السلطة في الشفاعة، حيث يشفع في المؤمنين بتطهيرهم من الخطايا لتحصيل القبول عند الله حتى يكونوا من أصحاب السعادة الأبدية في الآخرة.

- أن الشفاعة في المسيحية لم تجعل من الأعمال ذات أهمية في نيل الشفاعة، خاصة عند الذين يقولون بعموم الشفاعة، وأن المسيح يشفع للعالم كله، وحتى الذين يقولون بأن الشفاعة خاصة بالمؤمنين وأن المسيح يشفع من أجل أولئك الذين أعطوا له وضحي بحياته من أجلهم وهم الذين ينالون شفاعته، فهي أيضا تلغي الأعمال ويكفيهم في ذلك الإيمان بالمسيح على أنه مخلصهم.

- أما الشفاعة في الإسلام فهي لم تلغ الأعمال على إطلاقها بل ربطت الشفاعة بالعبادات لنيلها، فكانت شفاعة الصيام مثلا وشفاعة القرآن والصبر على الشدائد وغيرها، وحتى الشفاعة المتعلقة بالأشخاص جاءت بعضها جزاء للأعمال الصالحة، كما هو الحال مثلا مع الذين استوت حسناتهم

وسياتهم، فالأعمال هنا لم تكن منعدمة، وكذلك الشفاعة المتعلقة برفع درجات المؤمنين في الجنة، فكل هذا قائم على أساس الأعمال بل وحتى المؤمن العاصي أو مرتكب الكبائر خروجه من النار إلى الجنة قائم على العمل وإن قل، فلا يعقل أن تخلو حياة الإنسان كاملة من الأعمال الصالحة بتاتا، كما تكون أيضا الشفاعة إنصافا له على إيمانه، حيث أنه كان من الموحدين، وفي هذا تفرقة بين المؤمن والكافر وهذا قمة العدل الإلهي، لأن الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة، فهو القائل في محكم تنزيله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٢٥١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٢٥٢﴾﴾.

- للشفاعة آثارا في كلتا الديانتين، وهي على مستويين، المستوى العقدي والمستوى العملي، أما الأول فالشفاعة أثرت فيه بتخليص الإنسان من الذنوب وإن كان ذلك في الحياة الدنيا في المسيحية إلا أن آثار الاستفادة منها في الآخرة، أما في الإسلام فآثار الشفاعة تكمن في تخليص المؤمن من النار وذلك برفع العقاب عنه يوم القيامة، والدخول إلى الجنة وذلك بعد استحقاق العقاب مدة يحددها الله تعالى بحسب الأعمال، هذا عن تأثير الشفاعة في اليوم الآخر، أما تأثيراتها العقدية في الحياة الدنيا فقد عملت على تحديدها لمعنى المؤمن الذي ينال الشفاعة في اليوم الآخر ألا وهو الموحد الذي مات على التوحيد، وهي بذلك وقفت في وجه الموجات التكفيرية المتطرفة التي استحلّت دماء المسلمين، فعصمت بذلك دماء المسلمين، كما أظهرت الانحراف الفكري الذي عليه المجموعات التكفيرية في كل مكان وزمان، فالشفاعة بإخراجها للمؤمن من النار إلى الجنة فصلت بذلك بين المؤمن والكافر الذي ثبتت استحالة خروجه من النار، فالشفاعة باب من أبواب رحمته تعالى الواسعة في الدنيا والآخرة، في الدنيا بجرمة دم المسلم، وكف دماء المسلمين، وفي الآخرة بالخروج من النار والدخول إلى الجنة وهو مبتغى كل إنسان.

- أما الآثار العملية للشفاعة في المسيحية والإسلام فهي تكمن في بعث روح المحبة بين الناس والتكافل الاجتماعي، ذلك لأن شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ودعاء الأخ لأخيه منطلقها المحبة، وحب الخير للآخرين، وهذا من شأنه أن يقوي الروابط بين الناس، وبالتالي التكافل بين أفراد المجتمع.

- ومن الآثار العملية للشفاعة أيضا الأثر التربوي والذي يتمثل في عدم القنوط من رحمة الله تعالى الذي يؤدي بصاحبه إلى الأمراض النفسية كالاكتئاب مثلا، فالشفاعة تبقي على الأمل في العودة إلى الله.

- أن الشفاعة الإسلامية الصحيحة لا تبعث على التواكل وترك العمل والتمادي على حدود الله والعصيان، لأن الشفاعة لا ترفع العقوبة كاملة، فمرتكب الكبائر لا يدخل الجنة مباشرة من دون حساب بل يدخل النار مدة ثم يخرج منها بشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، أما الشفاعة المسيحية هي التي تبعث على التمرد والعصيان لأن شفاعة المسيح عندهم لها من القوة والفعالية ما يجعل أصحابها يعولون عليها في التخلص من خطاياهم، والخلاص من الدينونة لأن المؤمنين بالمسيح لا يدانون بل يذهبون مباشرة إلى الجنة.

فالشفاعة الإسلامية جعلت علاقة الإنسان بربه بين الخوف والرجاء، وبين العذاب والرحمة، وهذه العلاقة الصحيحة المستقيمة بين العبد وربه هي التي تضمن له السعادة الدنيوية والأخروية.

#### التوصيات:

وفي الأخير، أوصي الباحثين بتناول هذا النوع من المواضيع التي لها علاقة بواقع الإنسان في الدراسات المقارنة بين الأديان، خدمة لديننا الإسلامي، ببيان امتيازه عن باقي الديانات ووسطيته في معالجة القضايا التي لها علاقة مباشرة بالإنسان في حياته الدنيوية والأخروية، كما أوصي بالتوسع في موضوع شفاعة القديسين والأولياء الصالحين، لأهميته وارتباطه بالواقع، ولآثاره البالغة على المستوى العقدي، والاجتماعي للفرد في المجتمعات العربية، مسلمين كانوا أم مسيحيين.

# الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس العهد القديم

فهرس العهد الجديد

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصطلحات المعرف بها

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

## فهرس العهد القديم

الصفحة	رقم الفترة	الإصحاح	نص
<b>سفر التكوين</b>			
75	12	28	[فَحَلِّمْ أَنَّهُ رَأَى سُلْمًا...]
76	16	48	[اللَّهُ الَّذِي نَجَّانِي...]
76	21-17	19	[وَبَيْنَمَا هُمَا يُخْرِجَانِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ...]
96	20	17	[وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَسَمِعْتُ لَكَ...]
66	23	18	[فَاقْتَرَبَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ...]
<b>سفر الخروج</b>			
25	14-11	32	[فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ...]
25	35-34، 30	32	[وَكَانَ فِي الْعَدِ أَنْ مُوسَى قَالَ لِلشَّعْبِ...]
116	5-4	20	[لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْتَالًا مَنُحُوتًا...]
113	5	20	[لَا تَسْجُدْ لَهَا وَلَا تَعْبُدْهَا...]
<b>سفر العدد</b>			
26	20	14	[فَقَالَ الرَّبُّ: قَدْ صَفَحْتُ...]
<b>سفر التثنية</b>			
26	27-26	9	[وَصَلَّيْتُ لِلرَّبِّ وَقُلْتُ...]
66	26	3	[وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ غَاضِبًا...]
<b>صموئيل الأول</b>			
98	20-19	9	[فَأَجَابَهُ صَمُوئِيلُ: «أَنَا هُوَ الرَّائِي...]

سفر أخبار الأيام الأول			
104	13	10	[فَمَاتَ شَاوُلٌ لِأَنَّهُ خَانَ الرَّبَّ...]
سفر أيوب			
102	8	42	[وَالآنَ خُذُوا لَكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ...]
سفر المزمير			
58	13	51	[لَا تَطْرَحْنِي مِنْ أَمَامِ وَجْهِكَ...]
106	11	76	[غَضَبُكَ عَلَيَّ أَدْوِمُ يَحْمَدُكَ...]
86-82	10	45	[الْمَلِكَةُ بِنْتُ الْمُلُوكِ عَنِ يَمِينِكَ...]
سفر الجامعة			
118	10	8	[وَرَأَيْتُ أَشْرَارًا يُدْفَنُونَ بِكَرَامَةٍ...]
سفر إشعياء			
46-38	12-11	53	[مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَسْبَعُ...]
124-55	12	53	[لِذَلِكَ أُعْطِيهِ نَصِيبًا مَعَ الْعُظَمَاءِ...]
105	16	66	[لِأَنَّ الرَّبَّ بِالنَّارِ...]
120	21-20	57	[وَأَمَّا الْأَشْرَارُ فَيَبْقُونَ كَالْبَحْرِ الْمُضْطَرِبِ...]
47	15-13	52	[وَقَالَ الرَّبُّ: هَا عَبْدِي يَنْتَصِرُ...]
سفر إرميا			
66	1	15	[وَقَالَ لِي الرَّبُّ: لِي كَفَى...]
سفر حزقيال			
31	20	18	[النَّفْسُ الَّتِي تَخْطَأُ هِيَ...]
35	19	18	[تَسْأَلُونَ: لِمَاذَا لَا يَحْمِلُ الْإِبْنُ إِثْمَ...]

50-49	23-21	18	[الشَّرِيرُ الَّذِي يَثُوبُ عَنْ جَمِيعٍ ...]
<b>سفر حانينال</b>			
100	30-26	3	[وَاقْتَرَبَ نَبُوخَذْنَصَّرُ إِلَى بَابِ أُتُونٍ ...]
<b>سفر زكريا</b>			
76	12-11	1	[ثُمَّ قَالَ هُوَ لَاءَ لِمَلَكَ الرَّبِّ ...]
76	16	1	[لِذَلِكَ سَارَجِعُ عَلَى أُورُشَلِيمَ ...]
<b>سفر طوبيا</b>			
50	9	12	[ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ تُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ وَتَمْحُو ...]



## فهرس العهد الجديد

الصفحة	رقم الفقرة	الإصحاح	نص
<b>إنجيل متى</b>			
70	14	5	[أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ...]
77	10	18	[إِيَّاكُمْ أَنْ تَحْتَقِرُوا أَحَدًا...]
115-103	10	4	[فَأَجَابَهُ يَسُوعُ...]
104	28	11	[تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ ...]
107	46	25	[فَيَذْهَبُ هُوَ لِأَنَّ إِلَى الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ...]
81-80	24	1	[فَلَمَّا قَامَ يُوسُفُ مِنْ...]
81	55	13	[أَمَّا هُوَ ابْنُ النَّجَّارِ؟...]
82	30	10	[مَنْ اعْتَرَفَ بِي أَمَامَ النَّاسِ...]
123	29	11	[إِحْمِلُوا نِيرِي وَتَعَلَّمُوا مِنِّي...]
47	37-36	12	[أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ كَلِمَةٍ فَارِغَةٌ يَقُولُهَا...]
<b>إنجيل مرقس</b>			
46	48-42	9	[وَقَالَ يَسُوعُ: «مَنْ أَوْقَعَ أَحَدٌ...]
98	27-24	12	[فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَنْتُمْ فِي ضَلَالٍ،...]
47	17	12	[فَقَالَ لَهُمْ: "إِدْفَعُوا إِلَى الْقَيْصَرِ...]
<b>إنجيل لوقا</b>			
52	34	23	[فَقَالَ يَسُوعُ: اغْفِرْ لَهُمْ يَا أَبِي...]
49	7	15	[هَكَذَا يَكُونُ الْفَرْحُ فِي السَّمَاءِ ...]
100	28-19	16	[وَقَالَ يَسُوعُ: «كَانَ رَجُلٌ...]
104	29	16	[فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:...]

85	48-47	1	[وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي...]
<b>إنجيل يوحنا</b>			
30	15	17	[لَا أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُمْ مِنْ...]
53	9	17	[أَنَا أُصَلِّي لِأَجْلِهِمْ،...]
54	28-27	10	[خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي،...]
58	26	14	[وَلَكِنَّ الْمُعْزِّي،...]
64-61	8-7	16	[صَدَّقُونِي، مِنْ الْخَيْرِ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ،...]
61	17-16	14	[وَسَأَطْلُبُ مِنَ الْآبِ أَنْ...]
61	13	16	[فَمَتَى جَاءَ رُوحَ الْحَقِّ...]
63	20	14	[وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْرِفُونَ...]
64	16	14	[وَسَأَطْلُبُ مِنَ الْآبِ أَنْ...]
64	14-7	16	[صَدَّقُونِي، مِنْ الْخَيْرِ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ...]
117	6	14	[أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ...»]
119	24	16	[وَمَا طَلَبْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي...]
84	5-4	2	[فَأَجَابَهَا: «مَا لِي وَلكِ...»]
124	26، 24، 15، 9	17	[أَنَا أُصَلِّي لِأَجْلِهِمْ،...]
63	4	17	[أَنَا مَجْدُتُكَ فِي الْأَرْضِ حِينَ،...]
125	24	5	[الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ...]
40	2	8	[وَعِنْدَ الْفَجْرِ رَجَعَ إِلَى الْهَيْكَلِ...]
<b>أعمال الرسل</b>			

62	4-3	2	[وظَهَرَتْ لَهُمُ السِّنَّةُ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ...]
<b>رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية</b>			
30-10	34	8	[وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكَمَ عَلَيْهِمْ؟...]
55	9-6	5	[وَلَمَّا كُنَّا ضَعَفَاءَ، مَاتَ الْمَسِيحُ...]
65-10	27-26	8	[وَيَجِيءُ الرُّوحُ أَيْضًا لِنَجْدَةِ...]
69	27	8	[وَاللَّهُ الَّذِي يَرَى مَا فِي...]
97	14	7	[وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ...]
107	32	11	[لَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْبَشَرَ كُلَّهُمْ سَجَنَاءَ...]
10	8-3	11	[«يَارَبُّ، قَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ وَهَدَمُوا...]
47	10-9	2	[وَالْوَيْلُ وَالْعَذَابُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ...]
<b>رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس</b>			
99	12	13	[وَمَا نَرَاهُ الْيَوْمَ هُوَ صُورَةٌ بَاهِتَةٌ...]
124	3	15	[... أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ...]
106	28-22	15	[وَكَمَا يَمُوتُ جَمِيعُ النَّاسِ فِي آدَمَ...]
<b>رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس</b>			
114	15-14	2	[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبٍ...]
<b>رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس</b>			
95	19-18	5	[لَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرَةِ،...]
<b>رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس</b>			
37	5	2	[لَأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...]

73-12	1	2	[فَاطْلُبْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ...]
12	5	4	[لَأَنَّهٗ يُقَدِّسُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ...]
13	6-5	2	[لَأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، وَالْوَسِيطُ بَيْنَ اللَّهِ...]
<b>رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس</b>			
96	18-17	1	[بَلْ أَخَذَ يَبْحَثُ عَنِّي...]
<b>الرسالة إلى العبرانيين</b>			
112	7	13	[أَذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمْ الَّذِينَ...]
35-33	26-24	9	[لَأَنَّ الْمَسِيحَ مَا دَخَلَ قُدْسًا صَنَعْتُهُ...]
33	16-14	4	[فَلْتَمَسْكَ بِإِيمَانِنَا،...]
39	26-25	7	[وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ...]
35	26-24	7	[وَأَمَّا يَسوعُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ...]
41	18-17	2	[فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُشَابِهَ...]
43	25-23	7	[وَأَوْلِيكَ الْكَهَنَةُ عَدَدُهُمْ كَثِيرٌ،...]
54-45	25	7	[وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ...]
49	28	7	[وَشَرِيعَةُ مُوسَى تُقِيمُ مِنْ...]
74	14	1	[أَمَّا هُمْ كُلُّهُمْ أَرْوَاحٌ...]
12	6	8	[وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ حَصَلَ...]
40	28	10	[مَنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ مُوسَى...]
<b>رسالة يعقوب</b>			
39	23-21	2	[أَنْظُرْ إِلَى أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ، أَمَّا بَرَّرَهُ اللَّهُ...]

94	18-17	5	[كَانَ إِبِلِيًّا إِنْسَانًا بَشَرًا مِثْلَنَا فِي كُلِّ ...]
95	16	5	[لِيَعْتَرِفَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِخَطَايَاهُ ...]
<b>رسالة يوحنا الرسول الأولى</b>			
-30-14-11 123-51	2-1	2	[يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ...]
103-72-56	1	2	[يَا أَبْنَائِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ...]
<b>رؤيا يوحنا اللاهوتي</b>			
75	4-3	8	[وَجَاءَ مَلَاكٌ آخَرٌ يَحْمِلُ مِبْخَرَةً ...]
102	4-1	8	[وَلَمَّا فَضَّ الْحَمْلُ الْخَتْمَ السَّابِعَ، ...]
107	11	14	[وَدُخَانُ عَذَابِهِمْ يَصْعَدُ أَبَدَ الدَّهُورِ ...]
114	4	8	[فَتَصَاعَدَ مِنْ يَدِ الْمَلَاكِ ...]

## فهرس الأبات القرأنة

الصفحة	الرقم	طرفه الأبة
<b>سورة الفاتحة</b>		
41	2-1	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾
149	4	﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
<b>سورة البقرة</b>		
147	48	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي...﴾
171	40	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي...﴾
171	41	﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ...﴾
210	21	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾
231	105	﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ...﴾
32	186	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾
235	218	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾
149	254	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا...﴾
167-42-15	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾
27	80	﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ...﴾

سورة آل عمران		
186-152	192	﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ...﴾
سورة النساء		
232-204	40	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ...﴾
231-164-158-137	48	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾
207	69	﴿فَأَوْلَتْكِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ...﴾
130	85	﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً...﴾
237	123	﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾
50	157	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ...﴾
سورة المائدة		
133	02	﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾
177	03	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾
155	37	﴿يُرِيدُونَ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ...﴾
40	75	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ...﴾
89-37	116	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾
سورة الأعراف		

165	43	﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ... ﴾
194	46	﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا... ﴾
171	172	﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... ﴾
<b>سورة الأنفال</b>		
210	4-2	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ... ﴾
<b>سورة التوبة</b>		
201-174	113	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا... ﴾
173	114	﴿ وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ... ﴾
<b>سورة يونس</b>		
133	18	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ... ﴾
146	18-17	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى... ﴾
<b>سورة هود</b>		
174	147-145	﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ... ﴾
<b>سورة يوسف</b>		
238	87	﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ... ﴾
<b>سورة الحجر</b>		
212	09	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ... ﴾



239	50-49	﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي...﴾
<b>سورة النمل</b>		
216	25	﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً...﴾
153	32	﴿...أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا...﴾
<b>سورة الإسراء</b>		
221	21	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ...﴾
213	82	﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ...﴾
<b>سورة الكهف</b>		
231	30	﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ...﴾
<b>سورة مريم</b>		
170-159-149	87	﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ...﴾
160	87-85	﴿يَوْمَ حَشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا...﴾
<b>سورة طه</b>		
175	109	﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ...﴾
50	122-121	﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ...﴾
<b>سورة الأنبياء</b>		
176-159-149	28	﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ...﴾

<b>سورة النور</b>		
176	55	﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾
233	21	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ...﴾
<b>سورة الفرقان</b>		
213	30	﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ...﴾
<b>سورة الزمل</b>		
95	65	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا...﴾
<b>سورة السجدة</b>		
186-152	20	﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا...﴾
<b>سورة الأحزاب</b>		
229	43	﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا...﴾
<b>سورة سبأ</b>		
168	23-22	﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾
<b>سورة فاطر</b>		
152	35	﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ...﴾
<b>سورة الزمر</b>		
134	03	﴿...مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا...﴾
31	07	﴿وَلَا تَرِزُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾

211	10	﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ...﴾
155	19	﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةٌ...﴾
238-156-137	53	﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾
216	61	﴿وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ...﴾
<b>سورة نازع</b>		
202	07	﴿الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ...﴾
148	18	﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ...﴾
<b>سورة الشورى</b>		
158	25	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ...﴾
<b>سورة الاحقاف</b>		
232	19	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا...﴾
<b>سورة قى</b>		
41	16	﴿..وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾
156	29	﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَى...﴾
<b>سورة الذاريات</b>		
210	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ...﴾
<b>سورة الطور</b>		

199	21	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ...﴾
<b>سورة الذبح</b>		
202-176	26	﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ...﴾
<b>سورة الواقعة</b>		
222	14-10	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ...﴾
<b>سورة المدثر</b>		
173	48-42	﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ...﴾
200-175-160	48	﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةٌ...﴾
<b>سورة النبأ</b>		
168	38	﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾
<b>سورة الزلزلة</b>		
156	8-7	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾

## فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	طرفه الحديث والآثار
171	من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله...
172	أتاني جبريل فبشطني أنه من مات...
153	لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ...
131	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه...
137	من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله...
132	جاء أعرابي يوم الجمعة فقال: يا رسول الله...
138	من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له...
132	أن قريشا أهتمتهم المرأة المخزومية التي سرقت...
170-138	قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة...
161-150	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي...
151	السلام عليكم دار قوم مؤمنين...
156	كل نبي سأل سؤالا أو قال لكل نبي دعوة...
156	فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله...
162	لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب...
182-170-162	لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته...
183-163	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي...
197-163	أما أهل النار الذين هم أهلها...
172	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله...

173	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة...
174	استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي...
178	دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره...
178	إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة...
180	يقول إبراهيم يوم القيامة: يا ربا...
180	... ثم يقال: ادعوا الأنبياء...
180-195	ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون...
182	... ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله
183	إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا...
183	إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون...
184	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر...
186	... كان قد شغفه رأي...
186	أخرج فأخرجهم وأدخلهم الجنة...
188	أن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن...
189-223	أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه...
190	أنا أول شفيع في الجنة...
190	يدخل الجنة من أمتي زمرة هم تسعون ألفا...
191	يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب...
193	السابق يدخل الجنة...
195	... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم...

195	ينصب الأنبياء يوم القيامة...
197	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة...
198	أنا أول الناس يشفع في الجنة...
199	أن رسول الله ﷺ بعث عمه أبا عامر <small>رضي الله عنه</small> على جيش إلى أوطاس...
199	إن الله يرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول...
200	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...
200	يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء...؟
201	لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة...
203	يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتقادح...
205	إن من أمتي من يشفع للفئام...
205	ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي...
206	لا يموت أحد من المسلمين فيصلي عليه أمة...
206	ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً...
208-207	يشفع يوم القيامة ثلاث:...
207	يشفع الشهيد في سبعين من أهل...
208	...وفضل العالم على العابد...
209	ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد...
209	صغارهم دعاميص...
209	ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا...
209	إنما الصبر عند الصدمة الأولى...
211	كل عمل بن آدم له....

214-212	الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة...
212	إن في الجنة بابا يقال له الريان...
215	يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق..
214	اعملوا بالقرآن...
215	اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه...
215	إن سورة من القرآن - ثلاثون آية - شفعت لرجل...
216	من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة...
216	يجيء القرآن الكريم يوم القيامة كالرجل الشاحب...
217	من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة...
217	إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول...
219	لا يصبر على لأواء المدينة وشذتها...
220	من استطاع أن يموت بالمدينة...
220	اللهم ارزقني شهادة في سبيلك...
221	لا يدخلها إلا مؤمن...
221	ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا...
223	إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن...
227	إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها،...



فهرس الأعلام المترجم لهم

1- في الإسلام

الصفحة	العلم
154	سعد الدين التفتازاني
155	يحي بن أبي الخير اليماني
158	إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري
162	أبو بكر بن خزيمة
185	يوسف بن عبد البر
205	محمد المناوي
211	ابن رجب الحنبلي
228	أبو بكر الآجري

1- في المسيحية

الصفحة	العلم
51	أثناسيوس
51	كيرلس
51	باسيليوس
51	يوحنا الذهبي الفم
52	أوغسطينوس
59	أمبروسيوس
105	أوريجانوس

## فهرس المصطلحات المعرفه بها

### 1- في الإسلام

الصفحة	المصطلح
-ط-	
209	دعاميص
-ظ-	
163	ضباطر
200	ضحضاح
-ف-	
205	الفنام
-ل-	
2018	لأواء
220	الل kec

### 2- في المسيحية

الصفحة	المصطلح
-أ-	
117	الأجبية
89	الآدام
89	الأسبمس
88	الأكسابستلاريات

97	الأوشية
- ه -	
24	التوات
- ه -	
108	الشيوطوكيات
- ه -	
111	السنكستار
- ه -	
24	الشكينة
- ه -	
60	العنصرة
- ك -	
108	كيهكية
- ه -	
72	الهيئينيات

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص.
- الكتاب المقدس، (لبنان: جمعية الكتاب المقدس، (العهد القديم، ط4، 1995)، (العهد الجديد، ط30، 1993)).

### 1- الكتب:

#### 1-1 باللغة العربية:

##### 1-1-1 المسيحية:

- إبراهيم عبد السيد:
  1. الشفاعة التوسلية للعدراء والملائكة والقديسين، ط3، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، 1986).
- أغابوس أبو سعدي:
  2. ليتورجيا القديس الإلهي بين اللاهوت والرمزية، (بيروت: منشورات المكتبة البولسية، 2013).
- أغسطس نوس:
  3. مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلوق، ط2، (بيروت: دار المشرق، 2007)، ج3.
- أنتوني كونيارس:
  4. من هو الروح القدس، ترجمة: ي.م، مراجعة: أناسيوس، ط1، (القاهرة: مطبعة مدارس الأحد شارع روض الفرج، 2005)، ط4، 2014.
- أنس ميغوليفسكي:
  5. أسرار الآلهة والديانات، ترجمة: حسان ميخائيل اسحاق، ط4، (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2009).
- أنطونيوس فكري:

6. تفسير رسالة تيموثاوس الأولى، شرح الرسالة إلى أهل رومية، تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ط2، (القاهرة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، 2012).
- ألفونس دي ليجوري:
7. شفاعة مريم العذراء، ترجمة: الخوري ثوزورس نجار، (القاهرة: المطبعة العصرية، 1957).
- باسل سليم يلدو:
8. مريم العذراء في حياة المؤمنين، (و.م.أ: در، 2007).
- بشرى جورج:
9. معجزات البتول الملكة الشفيعة أم النور، (القاهرة: شركة فاين للطباعة، 2009).
- بول إقدوكيموف:
10. الروح القدس في التراث الأرثوذكسي، ط1، ترجمة: إلياس نعمة، وتقدم: جورج خضر، (بيروت: المكتبة البولسية، 1989).
- بيار سوران:
11. الأنفس المطهرة، ترجمة: قبلان المصري، (لبنان: جمعية جنود مريم، دت).
- بيشوي حلمي:
12. عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، مراجعة: الأنبا بيشوي، وآخرون، ط1، (القاهرة: دار نوبا للطباعة، 2008).
- تادرس يعقوب ملطي:
13. تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، (الإسكندرية: كنيسة مار جرجس، دت).
14. القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس الأوفست، 2003).
- توما الاكوييني:
15. الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: الخوري بولس عواد، (بيروت: المطبعة الأدبية، 1881).
- تيموثي وير:
16. الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة، (بيروت: مطبعة النور، 1982).

- جميل نجيب سليمان:
- 17. عن المسيح يسوع المسيح الشفيح الكامل، ط2، (القاهرة: مدارس الأحد، 2011).
- 18. قضايا إيمانية، ط1، (القاهرة: بيت مدارس الأحد القبطي، 2010).
- جون يونان:
- 19. من هو شفيحك المسيح أم القديسين؟، (دم: طباعة جون يونان، دت).
- جورج حبيب بابوي:
- 20. الدالة والشفاعة، (دم: در، 2011).
- جيمس أنيس:
- 21. علم اللاهوت النظامي، مراجعة: منير عبد النور، (القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر دوبارة، دت).
- جورج كتنج:
- 22. غفران الخطايا من ثلاث أوجه، ط2، (دم: در، 1992).
- حبيب جرجس:
- 23. الصخرة الأرثوذكسية، ط5، (القاهرة: در، 1985).
- حنين عبد المسيح:
- 24. عبادة الأصنام، (دم: در، 2009).
- زكريا السرياني:
- 25. القداس الإلهي، مراجعة: رافائيل، (دم: در، 2005).
- ساويرس:
- 26. الدر الثمين في إيضاح الدين، ط2، (القاهرة: إصدار أبناء البابا كيرلس السادس، 1978).
- شنودة ماهر اسحاق:
- 27. حالة أرواح الراقدين وفائدة الصلاة من أجلهم، ط3، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس الأوفست، 2002).
- شنودة الثالث:

28. اللاهوت المقارن، ط2، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، 1991).
- صفاء داود فهمي:
29. الشفاعة، (القاهرة: دار الطباعة القومية، 1996).
30. شفاعة المسيح كيف ولماذا؟، (القاهرة: دار الطباعة القومية، 1996).
- عوض سمعان:
31. الكهنوت، (مصر: دار الإخوة للنشر، دت).
32. غفران الذنوب، (مصر: دار الأخوة للنشر، دت).
- علاء عيد:
33. العذراء مريم في اللاهوت المقارن، (القدس: بطريكية الروم الأرثوذكس، 2011).
- فهم عزيز:
34. الشفاعة، (القاهرة: دار الثقافة، دت).
- فليس:
35. السحابة المتألقة في دقادوس، ط4، (القاهرة: مكتبة النسر للطباعة، 1994).
- ماهر يونان عبد الله:
36. الطوائف المسيحية في مصر والعالم، مراجعة: جرجس صبحي، (دم: الناشر ماهر يونان عبد الله، 2001).
- متى المسكين:
37. الروح القدس وعمله داخل النفس، ط2، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1987).
38. العذراء القديسة، ط4، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2014).
39. الرسالة إلى العبرانيين - شرح ودراسة-، ط2، (القاهرة: مطبعة دير الأنبا مقار، 2001).
40. شرح رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ط1، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1992).
- مرقس رينسفورد:
41. المسيح يصلي لأجل خاصته، ترجمة: ماهر فهمي، ط2، (القاهرة: مطبعة الخلاص، 1995).

- مرقس عزيز خليل:
- 42. شفاعة العذراء والملائكة والقديسين، ط1، (القاهرة: كنيسة القديسة مريم العذراء، 2009).
- مرقس ميخائيل:
- 43. الشفاعة، (مصر: مطبعة المقتطف والمقطع، 1925).
- موريس تاوضروس:
- 44. عالم الملائكة، تقديم: الأنبا موسى، ط2، (القاهرة: دار الجيل للطباعة، 1995).
- موريس ويصاديمتريوس:
- 45. شفاعة القديسين، (الو.م.أ: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، دت).
- ميخائيل مشاققة:
- 46. الرسالة الموسومة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، (بيروت: مطبعة الأميركان، 1849).
- ميخائيل مكسي اسكندر:
- 47. الشفاعة على ضوء الكتاب المقدس، (القاهرة: مكتبة المحبة، 1998).
- ميخائيل مينا:
- 48. علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، (القاهرة، مطبعة الأمانة، 1938).
- ميخائيل يعقوب:
- 49. يعلمون لا كما يريد يسوع، (القاهرة: طبع في أبرشية الجزيرة والفرات للسريان الأرثوذكس، دت).
- ميرسيا إلياد:
- 50. تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، ط1، (دمشق: دار دمشق، 1986)، ج2.
- نبيل يعقوب:
- 51. الكنيسة والعبادة، ط1، (دمشق: در، 2008).
- نورمان جراب:



52. الشفاعة في حياة ريز هويلز، (القاهرة: إ. مدي جرافكس، 2006).
- هرmina البرموسي:
53. الروح القدس رؤية كتابية، مراجعة: أنبا ايسيدورس، ط1، (القاهرة: مطبعة الدلتا، 2009).
- هنري كريمونا:
54. أوريجانس عبقرى المسيحية الأولى، ط1، (بيروت: دار المشرق، 1991).
- والاس بدج:
55. آلهة المصريين، ترجمة محمد حسين يونس، (القاهرة: مكتبة مدبولي، (1418هـ-1998م)).
- وليم باركلي:
56. تفسير العهد الجديد -رسالة إلى العبرانيين-، ترجمة: جرجس هابيل، ط2، (القاهرة: دار الجيل، دت).
57. تفسير العهد الجديد -رسائل يوحنا ويهوذا-، ترجمة: جاد المنفوطي، (القاهرة: طبع بدار نوبا للطباعة، 1983).
58. تفسير العهد الجديد -رسالة رومية-، ترجمة: القس منيس عبد النور، (القاهرة: دار الثقافة، 1982).
- وليم ماكdonلد:
59. تفسير الكتاب المقدس للمؤمن -العهد الجديد-، ط1، (دم: دار الكتاب المقدس، 1998).
- يؤانس:
60. بستان الروح، ط1، (القاهرة: دار الكتاب القومية، رقم الإيداع 5417 لسنة 1971)، ج1.
61. السماء لمثلث الرحمات، ط11، (القاهرة: مطابع النوبار، 2013).
- يواكيم نمم:
62. مريم العذراء، (سوريا: مطبعة الفنون، 1962).
- يوحنا الذهبي الفم:
63. الروح القدس، مراجعة وتقديم: الأنبا بطرس، ط1، (القاهرة: دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، 1993).

- يوسف حبيب:
- 64. قراءة وتساويح، (القاهرة: در، 1961).
- 
- 65. أوريغانس في المبادئ، تعريب وتقديم وتعليق: جورج خوام البولسي، (بيروت: منشورات المكتبة البولسية، دت).
- 
- 66. بحث في الوساطة والشفاعة، (القاهرة: زكي أفندي وهبة، 1935).
- 
- 67. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، (لندن: طباعة جورج يلبا، 2011).
- 
- 68. تسبحة أيام شهر كيهك المبارك بحسب ترتيب آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، (القاهرة: دار نوبار للطباعة، رقم الإيداع 20458 / 2007).
- 
- 69. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (القاهرة: شركة ماستر ميديا، 1997).
- 
- 70. تكريم القديسين واتخاذهم شفعاء، (بيروت: مطبعة آلاما الياسوعيين، 1867).
- 
- 71. مبادئ العقائد المسيحية – أصالتها وفعاليتها –، مراجعة وتقديم: الأنبا دوماديوس والأنبا موسى.
- 
- 72. المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، (بيروت: در، 1866).
- 
- 73. مدخل إلى الطقس الكنسي، ط1، (القاهرة: دار الجيل للطباعة، 2002).

## 2-1-1 الإسلام:

- إبراهيم البيجوري:  
74. تحفة المرید علی جوہرۃ التوحید، تحقیق: علی جمعة محمد الشافعی، ط1، (القاهرة: دار السلام، 1422ھ-2002م)).
- أبو بكر الآجري:  
75. الشريعة، تحقیق: عبد الله الدمیجی، ط1، (الرياض: دار الوطن للنشر، 1418ھ-1997م)).
- أبو بكر الباقلاني:  
76. الإنصاف فیما یجب اعتقاده ولا یجوز الجهل به، تحقیق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2، (القاهرة: المكتبة الأزهرية، 1421ھ-2000م)).
- 77. التمهيد، تصحيح: رتشد يوسف مكارثي اليسوعي، (بيروت، المكتبة الشرقية، 1957م).
- أبو القاسم ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي:  
78. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقیق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط4، (السعودية: دار طيبة للنشر، 1416ھ-1995م)).
- أحمد أمين:  
79. ضحى الإسلام، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، رقم الايداع 19916/2012).
- أحمد بن حجر العسقلاني:  
80. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقیق عبد العزيز بن باز، (بيروت: دار المعرفة، 1379ھ-1959م)).
- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي:  
81. البعث والنشور، تحقیق عامر أحمد حيدر، ط1، (بيروت: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، 1406ھ-1986م)).
- 82. السنن الكبرى، تحقیق: محمد عبد القادر عطا، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424ھ-2003م)).

- أحمد بن حمد الخليلي:  
83. شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السوملي، (عمان: مكتبة الجيل الواعد، 2010).
- أحمد بن محمد بن حنبل:  
84. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م).
- أحمد حجازي السقا:  
85. الشفاعة بين المسلمين وأهل الكتاب، ط1، (القاهرة: مكتبة الإيمان، 1421هـ - 2000م).
- أحمد عيسى المعصراوي:  
86. الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، (القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، 2003م).
- إسماعيل الصابوني:  
87. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: ناصر الجديع، ط2، (الرياض: دار العاصمة، 1419هـ - 1998م).
- جعفر بن محمد بن قولويه القمي:  
88. كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيومي، ط1، (إيران: مؤسسة النشر الإسلامي، 1417هـ).
- جعفر السبحاني:  
89. الشفاعة في الكتاب والسنة، ط2، (بيروت: دار الأضواء، 1427هـ - 2006م).
- حافظ الحكمي:  
90. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ضبط تعليق: عمر أبو عمر، ط2، (الدمام: دار ابن القيم، 1415هـ - 1995م).
- حسن الخوازي:  
91. بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ط10، (إيران: مؤسسة النشر الإسلامي، 1423هـ).
- حسن طاهري:  
92. الشفاعة حقيقة أم خيال، ترجمة: رعد الحجاج، ط1، (إيران: مطبعة نكار، 1429هـ - 2008م).

- حسين أحمد الخشن:
- 93. هل الجنة للمسلمين وحدهم ، ط1 ، (لبنان: المركز الإسلامي الثقافي، 1432هـ-2011م).
- الحسين بن محمد الأصفهاني:
- 94. المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته: خليل عتياني، ط1، (بيروت: دار المعرفة، 1418هـ-1998م)..
- حمد بن عتيق:
- 95. إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد مع متن الكتاب ومسائله، تقديم ومراجعة: إسماعيل بن عتيق، ط6، (باكستان: دار الكتاب والسنة، 1415هـ-1995م).
- سعيد حوى:
- 96. الأساس في السنة وفقهها، -قسم العقائد-، ط3، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، 1417هـ-1996م).
- سلطان الحراسي:
- 97. الشفاعة الأخرية، (دم، در، 2002).
- سليمان بن أحمد الطبراني:
- 98. المعجم الكبير، تحقيق وتخرىج: حمدي عبد المجيد، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، دت).
- سليمان بن عمرو الأزدي السيجستاني:
- 99. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، دت).
- سيد قطب:
- 100. في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط1، 1972، ط32، 1423هـ-2003م).
- الصادق عبد الرحمان الغرياني:
- 101. الغلو في الدين، ظواهر من غلو التطرف وغلو التصوف، (القاهرة: دار السلام، ط2، 1424هـ-2004م).
- صلاح الصاوي:

102. التطرف الديني، (دم: الآفاق الدولية للإعلام، دت).
- عبد الباسط بن يوسف الغريب:
103. دمة على التوحيد - حقيقة القبرية وآثارها في واقع الأمة-، (عمان: در، دت).
- عبد الجبار بن أحمد القاضي:
104. شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن أبي هاشم، تحقيق: عبد الكريم عثمان، (مصر: مكتبة وهبة، دت).
- عبد الرحمن بن أبي الحسن ابن الجوزي:
105. صيد الخاطر، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، (1412هـ-1992م)).
106. عبد الرحمان بن أحمد ابن رجب الحنبلي:
107. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تحقيق: محمد ياسين السواس، ط5، (بيروت: دار ابن كثير، (1420هـ-1999م)).
- عبد الرحمان بن أحمد الإيجي:
108. المواقف في علم الكلام، (بيروت: در، دت).
- عبد الرحمان بن ناصر السعدي:
109. الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، (1423هـ-2002م)).
- عبد الرحمان بن يوسف بن حسين:
110. الشفاعة - شهب أهل السنة والجماعة على منكري الحمود والشفاعة-، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، (1415هـ-1995م)).
- عبد الرحمان عبد الحميد البر:
111. التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية، ط1، (مصر: دار اليقين للنشر، (1421هـ-2000م)).
- عبد الرحمان عبد الله الشيخ:

112. جورج بوش، الكفارة والشفاعة في عقيدتي - دراسة مقارنة بفكرة الشفاعة عند المسلمين-، ط1، (القاهرة: دار الراضي، (1428هـ-2006م)).

• عبد العظيم المنذري:

113. الترغيب والترهيب، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر، 1424هـ).

• عبد القادر السامرائي:

114. شفاعة القرآن وعودة بركته على المشتغل به في حياته وبعد مماته، ط1، (دبي: دائرة الشؤون الإسلامية، (1432هـ-2011م)).

• عبد القاهر بن طاهر البغدادي:

115. أصول الدين، ط1، (اسطنبول: مطبعة الدولة، 1346هـ-1928م).

• عبد الكريم الشهرستاني:

116. الملل والنحل، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، (1413هـ-1992م)).

• عبد اللطيف عبد الرحمان الحسن:

117. أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، (1435هـ-2014م)).

• علاء الدين بن بلبان:

118. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق وتخرىج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، (دم: مؤسسة الرسالة، دت).

• علي ابن إسماعيل الأشعري:

119. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، (1411هـ-1990م)).

• علي ابن حزم الظاهري:

120. الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ط1، (الرياض:

- مكتبة عكاظ، (1402هـ-1982م)).
- **علي بن عبد العزيز بن علي الشبل:**
  - 121. الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، (دم: در، دت).
  - **علي بن عبد الكافي السبكي:**
  - 122. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تحقيق: حسين محمد علي شكري، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008).
  - **علي بن علي بن محمد ابن أبي العز:**
  - 123. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1411هـ-1990م)).
  - **علي بن محمد ابن الأثير:**
  - 124. النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه وقدم له: علي الحلبي، ط1، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1421هـ-2001م)).
  - **علي الحجري:**
  - 125. معالم الحق، (دم: در، دت)
  - **علي حسيني السيستاني:**
  - 126. الشفاعة حقيقة إسلامية، (دمشق: در، دت).
  - **علي الكوراني العاملي:**
  - 127. العقائد الإسلامية، ط1، (إيران: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، 1419هـ-1998م)).
  - **عمر سليمان الأشقر:**
  - 128. العقيدة في الله، ط2، (الأردن: دار النفائس للنشر، 1419هـ-1999م)).
  - **غالب العواجي:**
  - 129. الحياة الآخرة، ط2، (جدة: المكتبة العصرية الذهبية، 1421هـ-2000م)).
  - **فاروق الدسوقي:**



130. الشفاعة - أدلة وجوب الشفاعة الإسلامية وبيان خطورة الشفاعة الشركية-، (دم: در، 2007).
- فرج الله عبد الباري:
131. يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، (دم: دار الآفاق العربية، دت).
- الكمال بن أبي الشريف بن الهمام:
132. المسامرة في شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، ط2، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1347هـ).
- كمال الحيدري:
133. الشفاعة، بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها، ط1، (دم: دار فراق للنشر، 1428هـ-2004م).
- ليلى سليمان بكر:
134. الشفاعة بين المثبتين والمنكرين، ط1، (القاهرة: دار الكتب القومية، 1423هـ-2003م).
- ماجد سليمان الرسي:
135. البضاعة لمبتغي الشفاعة، (دم: در، 1433هـ).
- ماهر أحمد الصوفي:
136. موسوعة الآخرة، -الميزان، الصحف، الصراط، أنواع الشفاعات-، (بيروت: المكتبة العصرية، 1431هـ-2010م).
- مجدي بن حمدي بن محمد:
137. الفرقان بين توحيد أهل السنة وتوحيد القبوريين، قدم له: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، (دم: در، ط1، 1420هـ، ط2، 1433هـ، رقم الإيداع 19/4524).
- محمد أحمد محمود:
138. الشفاعة في ضوء القرآن الكريم، (القاهرة: دار الكتب القومية، دت).
- محمد باقر المجلسي:
139. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،

(1403هـ-1983م)).

• محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية:

140. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تخرّيج: محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: علي الحلبي الأثري، (دم: دار ابن الجوزي، دت).

141. تهذيب السنن، تحقيق اسماعيل بن غازي مرحبا، ط1، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر، 1428هـ-2007م)).

142. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: ناصر السعوي وآخرون، ط1، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1432هـ-2011م)).

• محمد بن إسحاق أبو بكر بن خزيمة:

143. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، ط1، (الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع، 1408هـ-1988م)).

• محمد بن إسماعيل بن بردزبة:

144. صحيح البخاري، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1994م)).

• محمد بن تيمية:

145. الإيمان الأوسط، تحقيق محمود أبو سن، ط1، (الرياض: دار طيبة للنشر، 1422هـ).

146. الحسنه والسيئة، ضبط وتخرّيج: حنان بن حافظ، (مصر: دار الريان للتراث، 1408هـ-1988م)).

147. العقيدة الواسطية، تحقيق علوي بن عبد القادر السقاف، ط1، (السعودية: مؤسسة الدرر السنية، 1433هـ).

148. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (بيروت: دار العربية للطباعة والنشر، دت).

149. مجموع الفتاوي، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة، 1425هـ-2004م)).

• محمد بن جرير الطبري:

150. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، 1422هـ-2001م)).

• محمد بن عبد الرحمان الملطي:

151. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1413هـ-1992م)).

• محمد بن العثيمين:

152. شرح العقيدة السفارينية، ط1، (دم: مكتبة الصفا، دت).

• محمد بن علي الصدوق:

153. الاعتقادات، تحقيق: عصام عبد السيد، (إيران: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة مهر- قم، 1371هـ).

• محمد بن عمر فخر الدين الرازي:

154. الأربعين في أصول الدين، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط1، (القاهرة: مطبعة دار التضامن، 1986).

155. الشفاعة العظمى يوم القيامة، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط1، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1988م).

156. عجائب القرآن، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ-1984م)).

157. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، (دم: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ-1981م)).

• محمد بن عياض القاضي:

158. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تهذيب وترتيب: جمال الدين السيروان، نور الدين قره علي، (السعودية: مطابع سحر، 1403هـ-1983م)).

• محمد بن عيسى الترمذي:

159. الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، (بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1996م).

- محمد بن كثير:  
160. البداية والنهاية، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط2، (دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر، 1430هـ-2010م)).
- 161. تفسير القرآن العظيم، علق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م)).
- محمد بن محمد المفيد:  
162. أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الزنجاني، ط2، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر، 1414هـ-1993م)).
- محمد بن يعقوب الكليني:  
163. أصول الكافي، ط1، (بيروت: دار المرتضى، 1426هـ-2005م)).
- محمد رشيد رضا:  
164. تفسير المنار، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1366هـ-1947م)).
- محمد السفاريني:  
165. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، (دمشق: مؤسسة الخافقين، 1402هـ-1982م)).
- محمد عبد الخالق كاظم:  
166. الخلود في جهنم، (إيران: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، 1426هـ-2005م)).
- محمد عبد الرحمان المباركفوري:  
167. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، ط2، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، دت).
- 168. محمد القرطبي:
- 169. الجامع لأحكام القرآن، ط2، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1353هـ-1935م)).
- 170. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة المنهاج للنشر، 1425هـ).

- محمد ماهر البحيري:  
171. الردود القاطعة على من أنكر الشفاعة الساطعة، تقديم: محمود المصري، ط1، (القاهرة، دار صلاح الدين للتراث، (1421هـ-2000م)).
- محمد محمود سعيد:  
172. حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله، (القاهرة: دار الغد العربي، دت).
- محمد المناوي:  
173. فيض القدير، ط2، (بيروت: دار المعرفة، (1391هـ-1982م)).
- محمد ناصر الدين الألباني:  
174. صحيح الجامع الصغير وزياداته، (دم: المكتب الإسلامي، دت).
- محمود الألوسي:  
175. روح المعاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت).
- محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني:  
176. شرح مطالع الأنظار على متن طوابع الأنوار، ط1، (القاهرة: دار الكتبي، (1428هـ-2008م)).
- محمود الزمخشري:  
177. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، (الرياض، مكتبة العبيكان، (1418هـ-1998م)).
- مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني:  
178. شرح العقائد النسفية، تحقيق أحمد حجازي السقا (القاهرة: مكتبة الكتاب، ط1، (1408هـ-1988م)).
- 179. شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، ط2، (بيروت: دار عالم الكتب، (1419هـ-1998م)).
- مسلم بن الحجاج النيسابوري:  
180. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (1955م)).

- مصطفى محمود:
- 181. الشفاعة، (طبع قطاع الثقافة، القاهرة عدد يوليو 1999م).
- مقبل بن هادي الوادعي:
- 182. الشفاعة، ط3، (بيروت: مؤسسة الريان، (1420هـ-1999م)).
- منير البعلبكي:
- 183. معجم أعلام المورد، ط1، (بيروت: دار العلم للملايين، 1992م).
- ناصر الجديع:
- 184. الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، ط2، (السعودية: دار الأطلس، 2001م).
- يحيى بن أبي الخير اليماني:
- 185. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الحلف، (الرياض: أضواء السلف للنشر، 1999م).
- يحيى بن شرف النووي:
- 186. صحيح مسلم بشرح النووي، ط1، (القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، (1349هـ-1930م)).
- يوسف بن عبد البر:
- 187. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: عبد الله بن الصديق، (دم: در، 1979م).
- 
- 188. إخوان الصفا وخلان الوفا، (الهند: مطبعة نخبة الأخيار، 1306هـ).

## 2-1 باللغة الأجنبية:

- **Bucherman James :**
- 189. The office and work of the Holy Spirit, (New York : Robert carta's publication, 1847).
- **Cyril John :**
- 190. La force de la prière d'intercession, (France : édition des Béantitude).

- **G. Jaquetmet :**

191. Catholicisme hier aujourd'hui demain (Paris : Letouzey et Ané Publier sous la direction de G. Jaquetmet du clergé de paris, 1948).

- **Godwin Thomas:**

192. The glories of Christ, (England : J.Bennet, 1817).

- **Thomas Houston :**

193. The intercession of Christ, (Edinburgh : Jemes Gemmell, 1882).

- **William Smington :**

194. On the attonement and intercession of Jesus Christ,(New York : Scatcherd and Adamas printers, 1836).

## 2- القواميس والمعاجم:

### 1-2 باللغة العربية:

#### 1-1-2 المسيحية:

- بطرس عبد الملك وآخرون:

195. قاموس الكتاب المقدس، ط13، (بيروت: مطبعة الحق، 2000).

- تادرس يعقوب ملطي:

196. قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، (الإسكندرية: كنيسة الشهيد مار جرجس، دت).

197. قاموس المصطلحات الكنسية، (القاهرة: مطبعة الإخوة المصريين، 1991).

- جورج بوست:

198. قاموس الكتاب المقدس، بيروت: المطبعة الأميركية، 1894).

- شنودة الثالث:

199. موسوعة الخادم القبطي -لاهوت مقارن-، ط5، (القاهرة: كنيسة الشهيد مارجرس بالمطرية، 2009).
- صبحي حموي اليسوعي:
200. معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه: الأب جان كوربون، (بيروت: دار المشرق، 1998).
- صموئيل حبيب وآخرون:
201. دائرة المعارف الكتابية، (دم: دار الثقافة، دت).
- قزافي ليون ديفور:
202. معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة: أنطونيوس نجيب وآخرون، ط6، (بيروت: دار المشرق، 2008).
- ميخائيل مينا:
203. موسوعة علم اللاهوت، تعليق وتنسيق: ميخائيل مكسي إسكندر، (القاهرة: طبع بشركة هارموني، 2002).
204. موسوعة علم اللاهوت، ط4، (القاهرة: مكتبة المحبة، 1948).
- غريغوريوس:
205. موسوعة الأنبا غريغوريوس، (القاهرة: شركة الطباعة المصرية، 2003).
- لويس معروف:
206. المنجد في اللغة والآداب والعلوم، ط19، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، دت).
- ميخائيل مكسي إسكندر:
207. موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، (القاهرة: مكتبة المحبة، دت).
- 
208. موسوعة الخادم القبطي -لاهوت مقارن-، ط5، (القاهرة، كنيسة الشهيد مار جرجس، 2009).

## 2-1 الإسلام:



- أحمد بن فارس بن زكريا:  
209. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون، ط3، (مصر: مكتبة الخانجي، 1402هـ-1981م)).
- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي:  
210. القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ-2005م)).
- محمد ابن منظور:  
211. لسان العرب المحيط، قدم له: الشيخ عبد الله العلايلي، وأعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة: يوسف الخياط، (دار لسان العرب بيروت: دار الجيل، دت).
- محمد مصطفى الزبيدي:  
212. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرابوي، مراجعة: عبد الحلیم الطحاوي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة، 1403هـ-1983م)).
- مجمع اللغة العربية:  
213. المعجم الوسيط، ط4، (دم: مكتبة الشروق الدولية، 2004).

## 2-2 باللغة الأجنبية:

- **Berho. F:**  
214. Systematic theology, (USA : good rapids, 1949).
- **Claude Augé :**  
215. La rousse universel –Nouveau Dictionnaire encyclopédique-(Paris : librairie Larousse, 1992).
- **Dominique le Tourneau :**  
216. Les mots du christianisme (Paris : Fayard librairie, 2005).
- **Merrill. F. Unger :**  
217. the New Unger's bible dictionary, (Chicago: the Moody publishers, 1988).

### 3- المجالات والدوريات:

#### 3-1 الرسائل الجامعية:

##### • أحمد بن حسن المعلم:

218. القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها، رسالة ماجستير مقدمة بالجامعة الوطنية نبتعز باليمن، قسم العقيدة، ط2، (دم: دار ابن الجوزي، (1426هـ-2005م)).

##### • سفر بن عبد الرحمان الحوالي:

219. ظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بإشراف محمد قطب، ط1، (دم: دار الكلمة للنشر والتوزيع، (1420هـ-1999م)).

##### • عبد القادر الحفظي:

220. تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، ط1، (جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر، (1421هـ-2000م))، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود، قسم العقيدة والمناهج المعاصرة.

##### • عبد القادر مصطفى المحمدي:

221. الشفاعة في الحديث النبوي، رسالة ماجستير مقدمة بالجامعة الإسلامية ببغداد، عام 1998م، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، (1426هـ-2005م)).

##### 222. محمد الشظيفي:

223. مباحث المفاضلة في العقيدة، رسالة دكتوراه من قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، عام 1411هـ، ط1، (السعودية: دار ابن عفان للنشر، 1419هـ).

#### 3-2 المقالات

##### • أبو الحسن الندوي:

224. الشعور والوجدان وشعائر الأمم والأديان، مقال منشور بمجلة المنار، مجلد4، ج17.

##### • حسين أحمد أمين:

225. تأملات في حقيقة أولياء الله الصالحين، مقال منشور بمجلة العربي عدد 226، رمضان 1397هـ.

• سمير عمر سعيد:  
226. الشفاعة ميزان من الغيب، مقال بمجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الثامن عشر لسنة 1435هـ-  
2014م.

• عبد العزيز غنيم:  
227. الشفاعة، مقال بمجلة مجلة الأزهر، ربيع الأول 1420هـ، صدر هذا العدد بعنوان، لا بل الشفاعة  
ثابتة -ردود العلماء على منكري السنة والشفاعة- إعداد عبد المعز عبد الحميد الجزائر، عبد الحفيظ  
محمد عبد الحليم.

• مجيد ماجد الزامل و منعم عبد الرحيم:  
228. المرجئة نشأتها ومعتقداتها، بحث منشور بمجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مج1،  
عدد14، 2009.

• هيام فتحي دريك:  
229. موالد الأولياء في مصر، مقال منشور بالمجلة العربية، عدد131، ذو الحجة 1808هـ.

• وسيم نادي ميخائيل:  
230. الأبعاد الاجتماعية لموالد الأولياء والقديسين -دراسة ميدانية-، مقال منشور بمجلة الآداب  
والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، 2010/1.

4- الأنترنيت:

1-4 الكتب:

1-1-4 المسيحية:

• أنطونيوس فكري:

231. شرح الكتاب المقدس، [http://st-takla.org/pub\\_Bible-Interpretations/](http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/)

• إسكندر جديد:

232. جهنم في كتب المسيحية والإسلام، منقول من الموقع: [alkalema.net/articl/johanem](http://alkalema.net/articl/johanem)

• تادرس يعقوب ملطي:

233. شرح الكتاب المقدس، [http://st-takla.org/pub\\_Bible-Interpretations/](http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/)

#### 4-1-2 الإسلام:

• حيدر علي قلمدران:

234. الشفاعة وحقيقتها، ترجمة: سعد محمود رستم، تحميل المادة من [www.ytehadat.com](http://www.ytehadat.com).

• ندا أبو أحمد:

235. الدار الآخرة - الشفاعة -، شبكة الألوكة، [www.aluka.net](http://www.aluka.net).

#### 4-2 المقالات:

#### 4-2-1 المسيحية:

• جبرائيل ندا:

236. الشفاعة في الأرثوذكسية، مقال منشور بموقع كلام، 2016/01/26،

[www.kalam1.org/a/1111](http://www.kalam1.org/a/1111).

• جون هنري نيومان:

237. شفاعة مريم العذراء، مقال منشور بتاريخ 2016/01/26، بموقع:

[abounanourad.net/216/03](http://abounanourad.net/216/03)

• زكريا بطرس:

238. الشفاعة، مقال منشور بموقع، [www.alkalema.net/article/shaafaa](http://www.alkalema.net/article/shaafaa).

• صفرونيوس:

239. من رسائل الأب صفرونيوس إلى تلميذه ثيودوروس، المئوية الأولى للتوبة وعمل الروح القدس في

القلب، تحميل المادة من موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، [www.coptology.com](http://www.coptology.com)

• يوحنا جون:

240. شفاعة القديسين من منظور كتابي، مقال منشور بدراسات يوحناوية، 2013/10/11،  
[www.allahm3.blogspot.com](http://www.allahm3.blogspot.com)

•  
241. شفاعة المسيح، مقال منشور بموقع كلمة الحياة،

[www.kalimatalhayaat.com/doctrine/97-priesthood-of-christ/1653-page7](http://www.kalimatalhayaat.com/doctrine/97-priesthood-of-christ/1653-page7).

•  
242. هل قول المسيح من أجلهم أسأل يدل أن المسيح ليس شفيع العالم؟، مقال منشور بموقع  
الدكتور غالي المعروف باسم هولي باييل، بتاريخ 2012/03/14  
[.drghaly.com/articles/display/11492](http://drghaly.com/articles/display/11492).

•  
243. تسميات ليتورجية رومية باليونانية مع تعريبها، منقول من الموقع:  
[www.josephzzitoun.com/2014/10](http://www.josephzzitoun.com/2014/10)

#### 4-2-2 الإسلام

• فراس السواح:

244. بذور فكرة الشيطان في ديانة مصر القديمة، مقال منشور بموقع الأوان، 11 أبريل 2007،  
[www.alawan.org](http://www.alawan.org)

• محمد راتب التابلسي:

245. موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، العقيدة الإسلامية، الإيمان باليوم الآخر، الدرس 56-63،  
بتاريخ 1987/11/29، [www.nabulsi.com/blue/ar](http://www.nabulsi.com/blue/ar)

• منال سمير الرافي:

246. الشفاعة في الفكر الإسلامي - بحوث ودراسات -

[www.islamtoday.net/bohooth/artshow\\_86\\_168740](http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow_86_168740)

3-4 المواقع:

247. [www.coptology.com](http://www.coptology.com).
248. [www.kalimatalhayaat.com/](http://www.kalimatalhayaat.com/)
249. [www.aluka.net](http://www.aluka.net).
250. <http://st-takla.org>
251. <http://www.calloflove.net/avatony/>
252. <https://books.coptic-treasures.com/>

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس الموضوعات

أ	مقدمة.....
<b>الفصل الأول:</b>	
<b>مدخل مفاهيمي وتاريخي للشفاعة</b>	
9	المبحث الأول: دراسة مفاهيمية للشفاعة.....
9	المطلب الأول: مفهوم الشفاعة في المسيحية.....
9	أولاً: الشفاعة في اللغة.....
13	ثانياً: الشفاعة في الاصطلاح الديني.....
13	ثالثاً: الفرق بين الشفاعة والوساطة والكهانة.....
15	المطلب الثاني: مفهوم الشفاعة في الإسلام.....
15	أولاً: الشفاعة في اللغة.....
16	ثانياً: الشفاعة في الاصطلاح.....
18	ثالثاً: الفرق بين الشفاعة والوساطة.....
19	المبحث الثاني: دراسة تاريخية للشفاعة.....
19	المطلب الأول: الشفاعة في الديانات القديمة.....
19	أولاً: الشفاعة في الحضارة البابلية.....
20	ثانياً: الشفاعة في الحضارة الصينية.....
20	ثالثاً: الشفاعة عند الإغريق.....
21	رابعاً: الشفاعة في الديانة المصرية القديمة.....
23	المطلب الثاني: الشفاعة في الديانة اليهودية.....
<b>الفصل الثاني:</b>	

<b>الشفاعة في المسيحية</b>	
29	تمهيد: .....
29	المبحث الأول: الشفاعة الكفارية، مفهومها، طبيعتها وخصائصها.....
29	المطلب الأول: مفهوم الشفاعة الكفارية.....
31	المطلب الثاني: طبيعة شفاعة المسيح.....
36	المطلب الثالث: خصائص شفاعة المسيح.....
36	أولا: شفاعة المسيح انفرادية.....
38	ثانيا: شفاعة مقدسة مؤسسة على البر.....
40	ثالثا: شفاعة مؤسسة على الرحمة.....
43	رابعا: شفاعة أزلية ودائمة.....
48	خامسا: شفاعة فعالة.....
50	المطلب الرابع: حدود شفاعة المسيح.....
57	المبحث الثاني: الشفاعة النيابية.....
57	المطلب الأول: مفهوم الشفاعة النيابية.....
57	أولا: تعريف الروح القدس.....
59	ثانيا: تعريف شفاعة الروح القدس.....
60	المطلب الثاني: منح الروح القدس الشفيع.....
64	المطلب الثالث: شفاعة الروح القدس في اللاهوت المسيحي.....
72	المبحث الثالث: الشفاعة التوسلية.....
72	المطلب الأول: مفهوم الشفاعة التوسلية.....
73	المطلب الثاني: شفاعة الملائكة.....
73	أولا: تعريف الملائكة.....



74	ثانيا: شفاعة الملائكة في اللاهوت المسيحي.....
77	ثالثا: شفاعة الملائكة في الطقس الكنسي.....
78	المطلب الثالث: شفاعة مريم العذراء.....
79	أولا: مكانة مريم العذراء في اللاهوت المسيحي.....
81	ثانيا: شفاعة مريم في اللاهوت المسيحي.....
87	ثالثا : شفاعة مريم في الطقوس الكنسية.....
92	المطلب الرابع: شفاعة القديسين.....
93	أولا: تعريف شفاعة القديسين.....
95	ثانيا: شفاعة القديسين في اللاهوت المسيحي.....
104	ثالثا: شفاعة القديسين بين الحياة الدنيا والآخرة.....
108	رابعا: شفاعة القديسين في الطقوس الكنسية.....
120	المبحث الرابع: الآثار الدنيوية والأخروية للشفاعة.....
120	المطلب الأول: الآثار الدنيوية لعقيدة الشفاعة عند المسيحيين.....
123	المطلب الثاني: الآثار الأخروية للشفاعة.....
<b>الفصل الثالث:</b>	
<b>الشفاعة في الإسلام</b>	
130	مدخل:.....
135	المبحث الأول: مذاهب المسلمين في الشفاعة.....
136	المطلب الأول: المذهب المثبت للشفاعة.....
136	أولا: المرجحة والشفاعة.....
139	ثانيا: الشيعة والشفاعة.....
146	المطلب الثاني: المذهب النافي للشفاعة.....

147	أولاً: الأدلة من القرآن الكريم.....
150	ثانياً: الأدلة من السنة.....
151	ثالثاً: الأدلة العقلية.....
157	المطلب الثالث: المذهب المتوسط بين النفي والإثبات.....
159	أولاً: ثبوت أدلة الشفاعة لأهل الكبائر من القرآن الكريم.....
161	ثانياً: ثبوت أدلة الشفاعة لأهل الكبائر من الأحاديث النبوية الشريفة.....
164	ثالثاً: الأدلة العقلية على ثبوت الشفاعة.....
167	المبحث الثاني: شروط الشفاعة.....
167	المطلب الأول: إذن الله تعالى بالشفاعة.....
169	المطلب الثاني: شرط الإيمان.....
175	المطلب الثالث: شرط الرضا.....
179	المبحث الثالث: أنواع الشفاعة.....
179	المطلب الأول: الشفاعة المتعلقة بالأشخاص.....
180	أولاً: شفاعة الأنبياء.....
202	ثانياً: شفاعة الملائكة.....
204	ثالثاً: شفاعة المؤمنين.....
207	رابعاً: شفاعة الشهداء.....
208	خامساً: شفاعة العلماء.....
209	سادساً: شفاعة الأولاد.....
210	المطلب الثاني: الشفاعة المتعلقة بالعبادات.....
210	أولاً: شفاعة الصيام.....
212	ثانياً: شفاعة القرآن.....

217	..... ثالثا: شفاعة دعاء الوسيلة بعد الأذان.....
218	..... رابعا: الشفاعة لساكني المدينة المنورة في الصبر على شدايدها.....
221	..... المبحث الرابع: الآثار العقديّة والعملية للشفاعة.....
221	..... المطلب الأول: أثر الشفاعة في الجانب العقدي.....
221	..... أولا: أثر الشفاعة في تحديد معنى لمؤمن.....
224	..... ثانيا: الشفاعة ومسمى الإيمان.....
230	..... ثالثا: أثر الشفاعة في اليوم الآخر.....
233	..... المطلب الثاني: آثار الشفاعة العملية.....
233	..... أولا: الشفاعة ودعوى الاتكالية.....
237	..... ثانيا: الأثر التربوي للشفاعة.....
240	..... الخاتمة.....
<b>الفهارس</b>	
250	..... فهرس الآيات القرآنية.....
257	..... فهرس الأحاديث النبوية.....
261	..... فهرس العهد القديم.....
264	..... فهرس العهد الجديد.....
269	..... فهرس الأعلام المترجم لهم.....
270	..... فهرس المصطلحات المعرف بها.....
270	..... قائمة المصادر والمراجع.....
298	..... فهرس الموضوعات.....

## ملخص البحث

تضمن هذا البحث على مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تضمنت على توطئة للموضوع وأهميته وإشكالية البحث الكبرى مع التساؤلات الفرعية للبحث، وأسباب اختيار موضوع البحث، والأهداف الكبرى للبحث، والمنهج المتبع والدراسات السابقة في الموضوع، وأهم المراجع المعتمدة، ومخطط البحث.

أما **الفصل الأول**: فهو فصل تمهيدي خصصته للدراسة المفاهيمية للشفاعة، وقسمته إلى مبحثين؛ المبحث الأول: دراسة مفاهيمية للشفاعة؛ تناولت في المطلب الأول: مفهوم الشفاعة في المسيحية؛ أولها في اللغة، وثانيها في الاصطلاح الديني، وثالثها الفرق بين الشفاعة والوساطة والكهانة، أما المطلب الثاني فتناولت فيه مفهوم الشفاعة في الإسلام؛ أولها في اللغة وثانيها في الاصطلاح، وثالثها الفرق بين الشفاعة والوساطة، أما المبحث الثاني: دراسة تاريخية للشفاعة؛ وقد اشتمل على مطلبين، المطلب الأول منه تناولت فيه الشفاعة في الديانات القديمة، والثاني جعلته للشفاعة في الديانة اليهودية .

وقد خلص هذا الفصل إلى أن الشفاعة من حيث معناها واستعمالاتها المختلفة بين المسيحية والإسلام لا تخرج عن معنى الدعاء بمختلف أشكاله والإعانة، كما أن الشفاعة من العقائد التي عرفتها الشعوب القديمة، وقد جاءت بمعنى المعاونة والحماية، وقد كان تقديم الذبائح للآلهة إحدى مظاهرها، واستمرت الذبائح في اليهودية كإحدى وسائل التكفير عن الخطايا، وكان الدم هو الشفيع للإنسان الخاطئ، كما أخذت شكل الصلوات الشفعية والتوسلات.

**الفصل الثاني**: تناولت فيه الشفاعة في المسيحية؛ وقسمته إلى أربعة مباحث؛ المبحث الأول منه خصصته لدراسة الشفاعة الكفاربية، وفيه ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول حددت فيه مفهوم الشفاعة الشفاعة الكفاربية، والمطلب الثاني بينت فيه طبيعة شفاعة المسيح، والمطلب الثالث خصائص هذه الشفاعة، والمطلب الرابع حدود شفاعة المسيح.

أما المبحث الثاني فتطرقت فيه إلى الشفاعة النيابية، وقسمته إلى ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول حددت فيه مفهوم الشفاعة النيابية، والمطلب الثاني تطرقت فيه إلى منح الروح القدس الشفيع، والمطلب الثالث بينت فيه شفاعة الروح القدس في اللاهوت المسيحي.

أما المبحث الثالث من هذا الفصل لقد خصصته لدراسة الشفاعة التوسلية؛ وقد اشتمل على ثلاثة مطالب، المطلب الأول حددت فيه مفهوم الشفاعة التوسلية، والمطلب الثاني تطرقت فيه أولاً لشفاعة الملائكة في اللاهوت المسيحي، وثانياً إلى شفاعة الملائكة في الطقس الكنسي، وأما المطلب الثالث فقد تناولت فيه شفاعة مريم العذراء؛ درست فيه أولاً: مكانة مريم في اللاهوت المسيحي، وثانياً: شفاعة مريم في اللاهوت المسيحي، وثالثاً: شفاعة مريم في الطقوس الكنسية، أما المطلب الرابع فقد خصصته لشفاعة القديسين؛ تناولت فيه أولاً: مفهوم شفاعة القديسين وثانياً: شفاعة القديسين في اللاهوت المسيحي، وثالثاً: شفاعة القديسين بين الحياة الدنيا والآخرة، ورابعاً: شفاعة القديسين في الطقوس الكنسية.

أما المبحث الرابع فقد خصصته لدراسة الآثار المترتبة عن الشفاعة، سواء ما تعلق منها باليوم الآخر، أو ما تعلق منها بالحياة الدنيا، وقد قسمته إلى مطلبين؛ المطلب الأول: الآثار الدنيوية للشفاعة، والمطلب الثاني: الآثار الأخروية للشفاعة.

وقد خلص المبحث الأول من هذا الفصل إلى أن الشفاعة الكفارية شفاعة خاصة بالمسيح، وهي شفاعة أكثر من مجرد صلاة لأنها تتضمن الدفاع عن قضية الذين تشملهم هذه الشفاعة التي تقوم على أساس عمله الكفاري الذي قام به على الصليب، وعمله هذا هو ما أهله للخدمة الشفاعية، وهي من الشفاعات المتفق عليها بين الطوائف المسيحية، لها من الخصائص التي ميزتها عن باقي الشفاعات لارتباطها بالمسيح، لها ميزة التكفير والفعالية والديمومة التي أعطتها صفة الأزلية، كما أنها مؤسسة على الرحمة والبر، هذا ولم تأت شفاعة المسيح على إطلاقها بل جاءت محدودة بتخصيصها للمؤمنين.

وخلص المبحث الثاني من هذا الفصل إلى أن الشفاعة النيابية ارتبطت بالروح القدس على أساس أنه ناب عن المسيح في إعانة وإرشاد أتباعه، وهذه الإعانة هي عمله الشفاعي، وهي من الشفاعات الأرضية التي لا يختلف المسيحيون بشأنها.

وخلص المبحث الثالث إلى أن الشفاعة التوسلية من الشفاعات المختلف فيها بين المسيحيين؛ حيث يؤمن بها الكاثوليك والأرثوذكس، وينكرها البروتستانت على أساس كفاية شفاعة المسيح، والاعتراف بها في نظرهم يعد انتقاصا من عمل المسيح الكفاري، وقد ارتبطت الشفاعة التوسلية سواء ما تعلق منها بالملائكة أو القديسين أو بمرم عند المسيحيين، أشد الارتباط بالكنيسة حيث يتشفعون بها في صلوات التسبيح وفي القداس وعند الأيقونات المخصصة للقديسين في الكنائس.

وخلص المبحث الرابع إلى أن الشفاعة لها آثارا على مستويين، الجانب الدنيوي؛ وذلك لأن الشفاعة تبعث على الراحة والمحبة بين الناس والتكافل بين أفراد المجتمع، والجانب الأخروي؛ حيث تعمل على تخليص المؤمن من ذنوبه، وبذلك تكون له الحياة الأبدية والسعادة في الآخرة،

**الفصل الثالث:** خصصت هذا الفصل لدراسة موضوع الشفاعة في الإسلام، بدأته بمدخل تناولت فيه أقسام الشفاعة باعتبار العامل الزمني، وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث؛ الأول منه: مذاهب المسلمين في الشفاعة، وقد اشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب، المطلب الأول: المذهب المثبت للشفاعة، والمطلب الثاني: المذهب النافي للشفاعة، والمطلب الثالث: المذهب المتوسط في الشفاعة بين النفي والإثبات، أما المبحث الثاني فتطرق فيه إلى شروط الشفاعة، وقد اشتمل على ثلاثة مطالب، المطلب الأول: إذن الله تعالى بالشفاعة، والمطلب الثاني: شرط الإيمان، والمطلب الثالث: شرط الرضا، أما المبحث الثالث فخصصته لدراسة أنواع الشفاعة، وقد اشتمل على مطلبين، المطلب الأول؛ تناولت فيه الشفاعة المتعلقة بالأشخاص، والمطلب الثاني؛ تناولت فيه الشفاعة المتعلقة بالعبادات.

أما المبحث الرابع فخصصته لدراسة الآثار العقدية والعملية للشفاعة، قسمته إلى مطلبين، في المطلب الأول: أثر الشفاعة في الجانب العقدي، وفي المطلب الثاني: آثار الشفاعة العملية.

وقد خلص المبحث الأول من الفصل الثالث إلى أن مذاهب المسلمين في الشفاعة ثلاثة؛ مذهب غالي في إثباتها، يمثله كل من المرجئة وغلاة الشيعة انطلاقا من قول المرجئة بدخول المؤمن الجنة مجرد إيمانهم وإن دخل النار لا يخلد فيها ويخرج منها بالشفاعة حتى لو كان من عصاة المسلمين، ومذهب نفى الشفاعة عن العصاة لأنهم من مرتكبي الكبائر، وبالتالي فهم مخلدون في النار بناء على مبدأ الوعيد الذي يقضي

بتخليد مرتكب الكبيرة في النار ولا يخرج منها بالشفاعة، وهم بذلك ضيقوها إلى حد نفيها عن العصاة المذنبين وجعلوها للمؤمنين الصالحين برفع درجاتهم في الجنة.

ومذهب توسط في الأمر بين المثبتين للشفاعة والنافين لها، فأثبتوها للمذنبين والتائبين وحتى لمرتكب الكبيرة بناء على قولهم بأن الشفاعة والغفران موكول إلى الله، وهو مذهب المعتدلين من الشيعة وأهل السنة، وعليه فالشفاعة في الإسلام تتوخى الوسطية في ذلك، فلا يوجد إثبات مطلق لها لأن ذلك يعد شركاً، كما لا يوجد نفي مطلق لأن النفي المطلق يعد إحداداً في أسماء الله تعالى.

وخلص المبحث الثاني من هذا الفصل إلى أن الشفاعة في الإسلام لم تأت على إطلاقها، بل حددت بشرط الإذن حتى تكون الشفاعة لله، وشرط الإيمان لتتنفي بذلك عن الكافر، وبشرط الرضا حتى تكون صلة الشافع بالله مبنية على القرب والرضا الذي يؤهله إلى مرتبة الشفاعة.

وخلص المبحث الثالث إلى أن الشفاعة في الإسلام جاءت على أنواع متعددة؛ فما تعلق منها بالأشخاص تمثلت في شفاعة الأنبياء والملائكة والشهداء والعلماء وغيرهم، ومنها ما تعلق منها بالعبادات تمثلت في شفاعة الصيام والقرآن والصبر، فجاءت الأعمال الصالحة أحد أهم الأسباب التي ينال بها المؤمن يوم القيامة الرحمة الإلهية الواسعة، وذلك بغفران الذنوب بالشفاعة أو بغيرها بالخروج من النار أو برفع الدرجات في الجنة لأن الأعمال أساس الجزاء في الآخرة.

وخلص المبحث الرابع إلى أن الشفاعة لها العديد من الآثار على الإنسان، سواء ما تعلق منها بحياته الدنيوية أو الأخروية، حيث حددت معنى المؤمن الذي تناله الشفاعة في اليوم الآخر وبالتالي حرمة دمه في الحياة الدنيا وهكذا وقفت ضد المد التكفيري الذي انتشر في المجتمعات الإسلامية وذلك بإعطائها المفهوم الصحيح لمعنى المؤمن كما أن الشفاعة الإسلامية الصحيحة لا تبعث على الاتكالية، لأنها لا تنال إلا بشروط، وهذا من شأنه أن يعطي الأمل للإنسان العاصي وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله الواسعة، والشفاعة جعلت علاقة الإنسان بربه بين الخوف والرجاء وبين العذاب والرحمة.

وتبقى الرحمة الإلهية الواسعة أحد أهم العوامل الأساسية التي تبقى علاقة الإنسان بربه قائمة وإن ضعفت بالمعاصي، ويبقى الباب مفتوحاً أمام المذنبين للرجوع والعودة إلى الله وإلى طريقه المستقيم، فيكون بصلاح الفرد صلاح المجتمع وهو أساس عمارة الإنسان في هذه الأرض والهدف من استخلافه فيها.

خاتمة: وقد اشتملت الخاتمة على ما توصل إليه البحث من نتائج وملاحظات وتوصيات.

عبد القادر للعطوم الإسلامية



## Résumé

Cette étude est constituée d'une introduction, trois chapitres et une conclusion.

L'**introduction** est constituée d'une prologue du sujet, son importance, la problématique majeure de la recherche avec interrogations auxiliaires de la recherche, les causes du choix de ce dernier, les objectifs majeurs, la méthode suivie, les études précédentes dans le sujet, les références utilisées et un plan de travail.

**Le premier chapitre**, est un chapitre introductif, je l'ai consacré à l'étude définitionnelle de l'intercession, et je l'ai partagé en deux (02) sections :

La 1<sup>ère</sup>; étude définitionnelle de l'intercession, je l'ai partager en deux (02) partie, la 1<sup>ère</sup>; signification de l'intercession dans le christianisme; j'ai abordé, 1<sup>èrement</sup>; l'intercession dans la littérature, 2<sup>èmement</sup>; dans sa conventionnalité religieuse, et 3<sup>èmement</sup> ; la différence entre l'intercession, la médiation et la prédiction. Dans la 2<sup>ème</sup> partie; j'ai abordé la définition de l'intercession dan l'Islam, 1<sup>èrement</sup> ; littéraire, 2<sup>èmement</sup>; conventionnelle, et 3<sup>èmement</sup>; la différence entre l'intercession et la médiation.

Et dans la 2<sup>ème</sup> section ; étude historique de l'intercession ; il englobe deux (02) partie, dans la 1<sup>ère</sup>; j'ai abordé l'intercession dans

les religions d'antiquité, et le dernier je l'ai consacré pour l'intercession dans la religion Juive.

Ce chapitre conclut que le sens et les différentes utilisations de l'intercession entre le Christianisme et l'Islam, est dans dans le même sens de la prière par ces différentes formes et l'aide, tandis que l'intercession est parmi les doctrines connues par les peuples anciens, elles sont dans le sens d'entraide et la protection, et parmi ces aspects est de présenter les sacrifices aux Dieux, et les sacrifices ont été continuées dans la religion Juive comme l'un des moyens d'expiation des péchés, et le sang était l'intercesseur pour l'homme pécheur, et elle a pris la forme des prières d'intercession et les supplication.

Le **deuxième chapitre** : j'ai abordé l'intercession dans le Christianisme, et je l'ai partagé en quatre (04) sections ; la 1<sup>ère</sup> je l'ai spécifié pour l'étude de l'intercession expiatrice ; au-dedans trois (03) parties ; la 1<sup>ère</sup>; j'ai précisé la définition de l'intercession expiatrice, la 2<sup>ème</sup>; j'ai montré la nature de l'intercession du Christ, la 3<sup>ème</sup> ; les caractéristiques de cette intercession, et la 4<sup>ème</sup>, les limites de l'intercession du Jesus Christ.

Quant à au 2<sup>ème</sup> section, j'ai abordé l'intercession médiatrice, je l'ai partagé en trois (03) parties ; la 1<sup>ère</sup>, j'ai précisé la signification de l'intercession médiatrice, la 2<sup>ème</sup> j'ai abordé les dons du l'intercesseur Saint-Esprit, et la 3<sup>ème</sup> j'ai montré l'intercession du Saint-Esprit dans la théologie chrétienne,

Quant à la 3<sup>ème</sup> section ; j'ai consacré pour l'étude de l'intercession déprécative, cette section englobe trois (03) parties ; dans la 1<sup>ère</sup> j'ai précisé la signification de l'intercession déprécative, dans la 2<sup>ème</sup> j'ai abordé ; 1<sup>èrement</sup> à l'intercession des anges dans la théologie chrétienne, 2<sup>ément</sup> à l'intercession des anges dans la liturgie acclésiastique, quant à la 3<sup>ème</sup> partie, j'ai étudié l'intercession du Saint viêrge, j'ai montré ; 1<sup>èrement</sup> la position du Sainte viêrge dans la théologie chrétienne, 2<sup>ément</sup> l'intercession du Sainte viêrge dans la liturgie acclésiastique. Quant à la 4<sup>ème</sup> partie, je l'ai consacré pour l'intercession des saints, j'ai abordé : 1<sup>èrement</sup> la signification de l'intercession des saints, 2<sup>ément</sup> l'intercession des saint dans la théologie chrétienne, 3<sup>ément</sup> l'intercession des des saint entre la vie mondaine et au-déla.

Dans la 4<sup>ème</sup> section, je l'ai consacré pour l'étude des conséquence causées par l'intercession, autant en relation avec l'au-déla, ou la vie mondaine, et je l'ai partagé en deux (02) parties : d'une part, les conséquences dans l'au-déla, d'autre part, les conséquences mondaines de l'intercession.

En conclusion de la 1<sup>ère</sup> section, l'intercession déprécative est une intercession propre au Christ seul, et elle est limitée à ceux qui croient en lui comme sauveur, et que Jesus Christ a été accordé à cette intercession en raison de son sacrifice déprécative sur la croix, et ce type d'intercession est convenu par tous les sectes chrétiens, elle a des caractéristiques spécifiques par rapport aux autres intercession à cause de son attachement au Christ, ;elle a une

caractère de déprécative, d'efficacité, et d'éternelle, ainsi elle est basé sur la pitié et la charité, et elle est spécifique pour les croyants au Christ.

La 2<sup>ème</sup> section conclut que l'intercession médiatrice est liée au Saint-Esprit comme résultat de son substitution du Christ en guidant et en aidant ses disciples, et cette subvention est son travail d'intercession, et c'est une parmi les intercessions terrestres dont elle est reconnait par tout les chretiens.

La 3<sup>ème</sup> section conclut que l'intercession déprécative est parmi les intercessions dissemblable entre les sectes chrétiens, elle est crue par les catholics et orthodoxes, et baniée par les protestants ; car la satisfaction de l'intercession du Christ, et la recognition de cette dernière, amoindrissent son travail d'intercession, et l'intercession déprécative (des anges, Saints, Sainte viérge) est associée avec l'église chez les chrétiens, où ils demandes l'intercession de ces derniers dans les prières de glorification, dans le messe et chez les icônes consacrées pour les saints dans les églises.

En conclusion du 4<sup>ème</sup> section, l'intercession à des conséquences sur deux (02) plans ; du coté d'au-dela ; où l'intercession est essayée de délivrer le croyant de ses péchés, de ce fait, en lui donnant une vie éternelle et un joie dans l'au-dela ; et d'autre coté dans la vie mondaine, où l'intercession donne une tranquillité et tendresse entre les êtres humains, et une solidarité entre eux.

Le **troisième chapitre**, je l'ai consacré pour l'étude de l'intercession dans l'Islam ; je l'ai commencé par une introduction

sur les types de l'intercession dans le temps, et je l'ai partagé en quatre (04) sections ; la 1<sup>ère</sup> : les points de vue des musulmans envers l'intercession, et il contient trois (03) parties; la 1<sup>ère</sup> : ceux qui croient à l'intercession, la 2<sup>ème</sup>: ceux qui refusent l'intercession, la 3<sup>ème</sup>: ceux qui la reçoivent avec certaines limites.

La 2<sup>ème</sup> section; j'ai étudié les conditions de l'intercession (les conditions pour recevoir l'intercession), elle contient trois (03) parties ; la 1<sup>ère</sup> ; l'accord (autorisation) d'Allah pour intercéder. La 2<sup>ème</sup> ; la foi (croyance). La 3<sup>ème</sup>; la satisfaction.

Quant à 3<sup>ème</sup> section; je l'ai consacrée pour étudier les catégories de l'intercession, elle englobe deux (02) parties; la 1<sup>ère</sup>; intercession associée aux personnes, la 2<sup>ème</sup>; intercession liée aux dévotions.

La 4<sup>ème</sup> section, je l'ai consacré pour l'étude de l'impact (conséquences) doctrinales, fonctionnelles de l'intercession, et je l'ai partagé en deux (02) parties; la 1<sup>ère</sup> les conséquences doctrinales, la 2<sup>ème</sup>; les conséquences fonctionnelles.

En conclusion de la 1<sup>ère</sup> section que les points de vue des musulmans envers l'intercession sont trois; une qui surfaire pour l'affirmer, ce sont les Murji'ah et les extrême Shi'ah, à partir qu'ils affirment l'entrée du croyant au paradis par son croyance uniquement, et s'il est entré dans l'enfer ne resté pas dedans éternellement, et il sort par l'intercession même s'il est parmi les pécheurs.

Une qui refusent l'intercession pour les pécheurs; ces derniers sont dans l'enfer à partir du principe de menace dont il confirme la

perpétuation des pécheurs dans l'enfer, et ils ne sortent pas par l'intercession, et de ça ils la étroitent jusqu'à sa expiration pour les pécheurs, et ils l'ont gardé pour les bons croyants pour élever leurs rangs au paradis, et une sectes médiatrice entre les prouvâtes de l'intercession et ceux qui ont refusé d'elle ; ils l'ont prouvés pour les pécheurs et les repentis, même pour ceux qui ont commis les grands péchés; ils ont basé sur le fait que l'intercession et l'absolution sont mandater à Allah; c'est le dogme des modérés du Chi 'ah et Sounnas; donc l'intercession dans l'Islam envisage la modération, et il n' y a pas de prouve absolue de celle-ci ; car cela concevoir une polythéisme, et il n' y a pas une négation absolue; car cela concevoir une athéisme envers les noms d'Allah.

En conclusion de la 2<sup>ème</sup> section que; l'intercession dans l'Islam n'est pas venue généralisée mais par des conditions: l'autorisation ; pour que l'intercession être pour Allah, l'exigence de la foi pour qu'elle s'est tassé pour les infidèles, et la satisfaction; où la relation entre Allah et l'intercesseur est construite sur la proximité et la satisfaction dont il se qualifiè pour l'intercession.

En conclusion du 3<sup>ème</sup> section que, l'intercession dans l'Islam est venue sur des multiples types, ce qui concernant les personnes, présentées par l'intercession des prophètes, anges, martyrs et les savants...etc; et ce qui concernent les adorations, présentées par l'intercession du jeûne, coran et la patience; donc les actes vertueux sont parmi les raisons principales pour obtenir la meséricorde divine dans le jour du jugement dernier par le croyant, et cela par

le pardon des péchés par l'intercession, ou par un autre moyen pour sortir de l'enfer, ou par lever les rangs dans le paradis, parce que les actes sont la base de la récompense dans l'au-delà.

En conclusion de la 4<sup>ème</sup> section que l'intercession a plusieurs traces sur l'Homme; autant ce qui concernant sa vie mondaine et sa vie au-delà: j'ai précisé la signification du croyant dont il obtient l'intercession dans le jour du jugement ; donc la sainteté de son sang dans la vie mondaine ; ainsi et suis contre l'extension d'athéisme dont il est propagé dans la société islamiques par donation un sens exact à la signification du croyant, ainsi que l'intercession islamique valable (authentique). Ainsi que l'intercession authentique n'est émanée pas à la dépendance, car on ne l'obtient que par des conditions; et cela peut donner un espoir pour l'homme péché, et contre le désespoir de la large pitié d'Allah, et l'intercession est mis la relation Homme – Allah entre la peur et l'espoir, la torture et la pitié.

Donc la pitié divine est parmi les facteurs principaux dont elle conserve la relation entre l'homme et Allah forte même si elle est affaiblie par les péchés, et la pitié d'un particulier est une pitié de toute la société, et elle est la base du peuplement dans la terre, et c'est le but de la succession de l'homme sur la terre.

**Conclusion;** elle englobe tout ce qu'on a aboutie à travers cette étude; résultats et observations

## ABSTRACT

This research consists of an introduction, three main chapters and conclusion.

**The introduction:** includes a background of the study, the problem statement and research questions. Also, the reasons behind choosing this research and its objectives, and the methodology followed this last illustrated by many resources and references and shed light on the previous studies have relations with this subject.

**Chapter one:** is an introductory chapter which discusses the meaning of intercession. It comprises two sections; The first one deals with the meaning of intercession in Christianity and Islam, while the second section deals with the meaning of intercession both in language and religion, but the third one is about the difference between intercession and mediation.

However the section is about the history studies of intercession which have two needs; the first one I deal with intercession in old religions, the second one is about intercession in judaisme religion.

I find out in this chapter that the meaning and the usage of intercession both in Christianity and Islam, it doesn't go far from the meaning of supplication in its various forms and assistance.

In addition to intercession was one of the believes, which were known by people in the past as a sense of assistance and protection.



One of its forms to proved sacrifices for exeds and the last in Judaism considred it a means of forgiveness of doing a sing, by the way blood was intercessor for human gives which took the forms of intercessory prayers and supplication.

**Chapter two:** I work on intercession in christianility and I divided it in four sections as follows:

Section one: I give the meaning of intercession and of atoning intercession and its characteristics.

Section two: The meaning of mediatory intercession, the role of the Holy Spirit in intercession, and the Holy Spirit's intercession in Christian theology.

Section three: The meaning of petitionary intercession, the intercession by Angles in Christian theology, how the Church manifests the intercession by Angles? saints' intercession in worldly life and in the Hereafter, saints' intercession in the Church practices, Mary's intercession in Christian theology and Church's practices.

Section four: The impact of intercession in the Hereafter and in this worldly life.

The first section concludes that atoning intercession is made by Christ alone and limited to those who believe in him as savior. Christ was granted this intercession because of his atoning sacrifice on the Cross. All Christian sects agree upon this type of intercession. It is based on mercy, and it is effective and everlasting.

The second section concludes that mediatory intercession is related to the Holy Spirit as result of his replacement of Christ in guiding and assisting his followers. His intercession is manifested in assistance given to Christians in this worldly life. Christian theologians and sects do not agree upon the validity of this intercession.

The third section concludes that petitionary intercession is related to the Angels, saints and Mary. This type of intercession is accepted by Catholics and Orthodox but denied by Protestants who consider it as undermining Christ's intercession. This intercession is deeply connected to the Church's practices in prayers of praise, mass and saints' icons.

The fourth section concludes that the impact of intercession in the Hereafter is expiation for sins, thus, giving eternal felicity. In this worldly life, the impact of intercession is tranquility, love, and solidarity among Christians.

**Chapter three:** this chapter discusses intercession in Islam. It consists of four sections.

Section one is about the views of Muslim scholars on intercession: those who deny the existence of intercession, those who believe in it without limits, and those who accept it with certain limits.

Section two elaborates on the conditions of granting intercession.

Section three discusses the categories of intercession, which are intercession related to persons and intercession related to worships.

Section four explores the theoretical and practical impacts of intercession.

Section one concludes that some groups such as *murji'ah* and extreme *shi'ah* accept intercession without limits based on their belief that all believers, regardless of their deeds and sins, will enter paradise even if they are punished to the Hellfire. On the contrary, some groups deny intercession to believers who commit gross sins and limit it to righteous believers. In between those two views stand *sunni* and moderate *shi'ah* scholars who believe that intercession may be granted to sinners as well as to repenting people if Allah permits it and He is pleased with them.

Section two concludes that granting intercession, in Islam, have three requirements: permission from God to the intercessor, the one who deserves intercession must be, basically, a believer, and God may be pleased with him.

Section three concludes that intercession in Islam is categorized into two categories: the first one is related to the persons who may be entitled to intercede such as prophets, angles, martyrs, scholars, ...etc. the second category is related to the good deeds such as fasting, reciting and memorizing the Qur'an, patience, ...etc.

Section four concludes that intercession in Islam is designed in a way that, from one side, gives hope to sinners so that their ties

with God will not be totally cut off, and from the other side, by making it conditional, it cannot be an excuse to neglect religious duties and live a sinful life with a false hope that anyone who have the basic belief will automatically benefit from intercession.

**Conclusion:** research findings and recommendations.

المجلة العلمية  
عبد القادر العظم للإسلامية

**People's Democratic Republic of Algeria**  
**Ministry of Higher Education and Research**

**Amir Abdelkader University**  
**of Islamic Sciences– Constantine**

**Faculty of Usuluddin**  
**Department of Faith**  
**and Comparative**  
**Religions**

**The intercession in Christianity and Islam**  
**'A Analytical and comparative study'**

**Name of student**  
**Boudraa Fadila**

**Name of supervisor**  
**Prof. Dr. Assia Chekirb**

**Viva Voce committee members**

**date: ...02/10/2017...**

<b>Pr. Lamir Taibet</b>	<b>Prof. Dr</b>	<b>Amir Abdelkader University</b>	<b>Chairperson</b>
<b>Dr. Assia Chekirb</b>	<b>Prof. Dr</b>	<b>Amir Abdelkader University</b>	<b>Supervisor</b>
<b>Dr. Youcef Laib</b>	<b>Prof. Dr</b>	<b>Amir Abdelkader University</b>	<b>Examiner</b>
<b>Pr. Naima Idriss</b>	<b>Prof. Dr</b>	<b>High School Normal –constantine–</b>	<b>Examiner</b>
<b>Dr. Abdelouaheb Lamri</b>	<b>Prof. Dr</b>	<b>Oum El-Bouagui University</b>	<b>Examiner</b>
<b>Dr. Lilia Chentouh</b>	<b>Prof. Dr</b>	<b>Algiers University 01</b>	<b>Examiner</b>

**Academic Year : 1437/1438 H, 2016/2017**